رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

السابحون ضد التيار

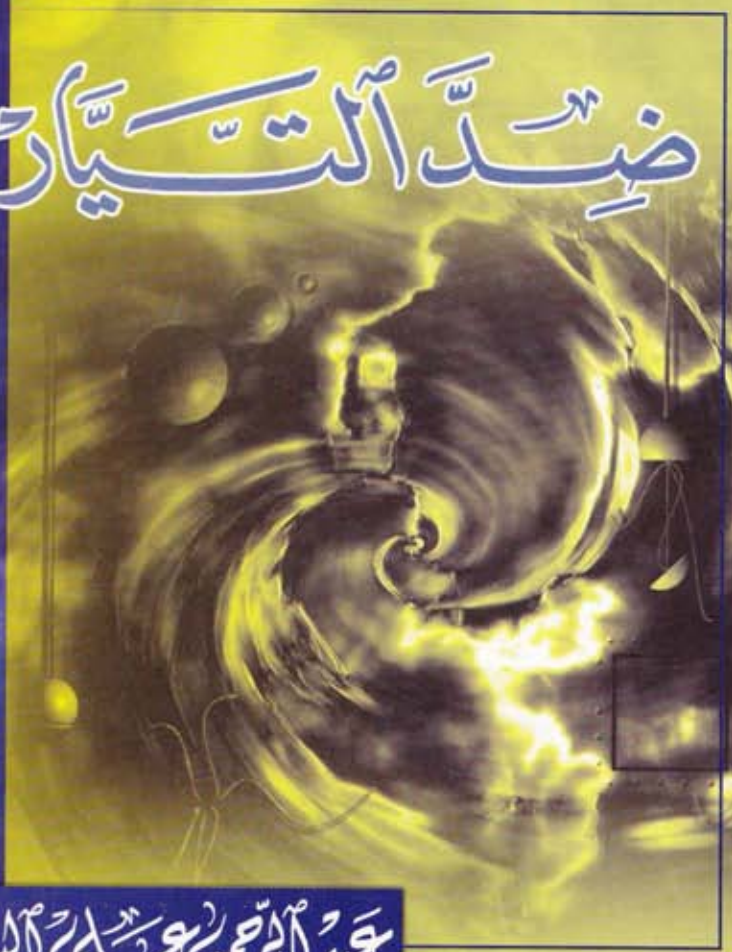

عبد الرحمن علي السقاف

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

السابحون ضد التيار

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - هاتف: ٦٥١٣٢٧ - فاكس: ٦٥٥٣٨٣ - ص.ب: ١٤/٥١٣٦
رمز بريدي: ١١٠٥٢٠٢٠ - بريد الكتروني: ALRAYAN@cyberia.net.lb

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

السّابحون ضدّ التيّار

عبد الرحمن علي البنداق

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى المسرفين على أنفسهم

من أبناء الإسلام

أهدي هذا الكتاب

عبد الرحمن علي البنفلاح

من البيان الإلهي

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية: ٢٣].

صدق الله العظيم

من البيان النبوي

قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (الطبراني)

صدق رسول الله ﷺ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، **وبعد،**

فقد حذر القرآن الكريم من اتخاذ الهوى إلهًا يعبد من دون الله، فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

والإشكالية هنا ليست بسبب الجهل، ولكن بسبب العلم، فقد نجد بعض العذر للجاهل والأمي حين يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانًا، ولكن ما عذر أهل العلم والمعرفة، وحملة أرقى الشهادات العلمية الماجستير والدكتوراه، كيف لا يدركون بعلمهم وشهاداتهم أن للكون إلهًا واحدًا لا شريك له.

حوارنا عزيزي القارئ مع هؤلاء الذين يدخلون في دائرة الأخسرين أعمالًا الذين ضل سعيهم في الحياة والدنيا وهم يحسبون - واهمين - أنهم يحسنون صنعًا.

حوارنا مع الذين يرون الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه رجعية وتخلفًا، ويسعون جاهدين إلى فصل الإسلام عن حركة الحياة، منادين بفصل الدين عن الدولة، متبنين العَلْمانية؛ تلك الشجرة الخبيثة التي نبتت في الغرب وكانت لها أسبابها من طغيان الكنيسة وتحكمها في العلماء وأهل الإبداع، والتهم التي ألصقتها بهم وأدى ذلك إلى محاكمتهم لأنهم تمردوا على تعاليم الكنيسة وطقوسها.

---

(١) الجاثية/ ٢٣

كان هذا عذر أهل الغرب في دعوتهم إلى فصل الدين عن الدولة ولكن ما عذر المسلمين الذين يتبنون هذه الدعوة الباطلة والإسلام دين جاء ليدبر شئون الحياة، ويرسم للإنسان معالم الطريق إلى السعادة في الدنيا والآخرة؟

يقول جوزيف شاخت: (من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى (الشريعة) والشريعة الإسلامية تختلف اختلافًا واضحًا عن جميع أشكال القانون، إلى حد أن دراستها أمر لا غنى عنه لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديرًا كافيًا.

إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية..)[1].

ما عذر المسلمين حين ينادون بما ينادي به مفكرو الغرب من إبعاد الدين عن حياتهم، والإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء كاملًا في تشريعاته، شاملًا للحياة ولما بعد الحياة...

هناك من يقول: لماذا تشغلون أوقاتكم بمجادلة هذا الصنف من المثقفين إنهم يسبحون ضد تيار الإسلام الهادر، بل إنهم ينفخون في قربة مخروقة، وسوف يتعبون حناجرهم وصدورهم، ولن تمتلأ هذه القربة بالهواء لأنها مخروقة، بل إنهم كمن ينطح الجبل الراسي برأسه فسوف يتحطم رأسه دون أن يترك أثرًا في الجبل.

ونقول لهؤلاء: مع إقرارنا بما تقولون، وإيماننا المطلق بأن الإسلام حصن منيع، وبناء عملاق لن تؤثر فيه معاول هؤلاء، ولكن من حق الإسلام علينا أن نكشف سوءات هؤلاء، بل إنهم يخدمون الإسلام من حيث لا يشعرون حين يستفزون الأقلام المخلصة، والعقول الراجحة لكشف عظمة

---

(١) من كتاب " قالوا عن الإسلام " للدكتور عماد الدين خليل (ص٢٠٣).

الإسلام، وجوانب الحسن والبهاء فيه، ورحم الله شيخنا فضيلة العلَّامة محمد متولي الشعراوي الذي قال: شكرًا للمستشرقين الذين يشككون في قضايا الإسلام، فإنهم بذلك يستنفرون طاقات علماء الإسلام ومفكريه لإماطة اللثام عن عظمة الإسلام وجمال تعاليمه، وجوانب الإعجاز في أحكامه، وما كان للمسلمين أن ينشغلوا بهذه الأمور والمباحث، لو لم يستفزهم المستشرقون.

وأنا من المتبنين لهذا الرأي، فضلًا عن أنه عندما تخلو الساحة من المدافعين عن الإسلام، والموضحين لحقائقه، وينفرد بها المسرفون على أنفسهم من الممكن أن يخدع عامة المسلمين ويتبنون هم أيضًا ما يقوله العلمانيون عن الإسلام وعلاقة الإسلام بالحياة.

هذه كانت هواجسي وأنا أكتب موضوعات هذا الكتاب، رغم أنها كتبت في أوقات متفرقة إلا أن هناك جامعًا يجمعها، وخيطًا قد يبدو دقيقًا لا يرى ينظمها في قلادة واحدة تعرف بدايتها ونهايتها.

ولقد قسَّمت الكتاب إلى فصول أربعة:

الفصل الأول تحت عنوان: (الحكومة الإسلامية) وهو يضم الموضوعات التي تعنى بقضية أن الإسلام دين ودولة، وفي هذا الفصل رد عقلي على دعاة فصل الدين عن الدولة ورد الشبهة عن الحكومة الإسلامية بأنها ليست حكومة دينية بالمفهوم الكنسي.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: (العلمانيون.. إلى أين) وهذا الفصل يتناول حوارًا هادئًا مع العلمانيين، ويرد على طروحاتهم المنافية لتعاليم الإسلام، المعادية لشريعته الغراء.

في الفصل الثالث: والذي هو بعنوان (الغرب والإسلام) يقدم وجهة نظر الغرب في الإسلام، ويكشف عن عداء الساسة الغربيين للإسلام ولأمة الإسلام.

أما في الفصل الرابع والأخير والذي هو بعنوان: (الوعي الغائب)

فيناقش قضايا التربية والتعليم، وغياب الوعي عند فئة من المسلمين، وما يؤدي إليه من ضبابية الرؤية والتخبط في السير في الحياة على غير هدى.

هذه بعض الأسباب التي دفعتني إلى جمع هذه الموضوعات في كتاب يلم أشتاتها، ويحقق الهدف من كتابتها.

والله تعالى المستعان على ذلك.

عبدالرحمن علي البنفلاح
١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ
الموافق ١٧ يونية ٢٠٠٣م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول
الحكومة الإسلامية

* الشريعة الإسلامية... والردة الحضارية
* الإسلام شيء... والحكومة الدينية شيء آخر
* بقولون: افصلوا الدين عن الدولة، ونقول لهم: أي دين تعنون.؟! (١)
* يقولون: افصلوا الدين عن الدولة، ونقول لهم: أي دين تعنون.؟! (٢)
* من هنا نبدأ
* أفحكم الجاهلية يبغون؟!
* أيها المسلمون: بأي منطق تريدون أن تحكموا؟
* في الإسلام دولة وإليكم الدليل
* المسلمون... وحل المشكل الحضاري
* الذين يخافون الإسلام!!
* إنهم يخشون يقظة الإسلام
* قل أطيعوا الله والرسول
* هل كان عمر مستبدًا؟!
* في تركيا الإسلام يعود من جديد
* نجم الدين أربكان وديمقراطية العسكر!!

الشريعة الإسلامية.. والردة الحضارية(*)

المحاضرة التي ألقاها الدكتور فرج فودة في الاحتفال الذي أقامه حزب التجمع (المصري) بمناسبة عيده الثاني عشر، وقامت جريدة " أخبار الخليج " البحرينية بنشرها في عددها الصادر في ٤ يونيو ١٩٩٨م، أثارت الكثير من ردود الأفعال بين المسلمين في البحرين، وكان هناك استنكار عام لما تفوه به المحاضر ضد الشريعة الإسلامية، ومجاهرته بأنه لا يقبل أن يحكم بمنطق الحلال والحرام.. وغيرها من المواقف التي أقل ما يقال فيها أنها خروج على الإجماع الإسلامي بحتمية تطبيق الشريعة الإسلامية، واستئناف المسيرة الإسلامية التي توقفت لظروف خارجة عن إرادة المسلمين.. وكان من الممكن ألا نتوقف عند هذه المحاضرة، وألا نلتفت إليها مجرد التفات، أولًا لأنها كما قلنا تمثل خروجًا صارخًا على إجماع المسلمين الذين ما فتئوا ينادون بتطبيق الشريعة الإسلامية في حياتهم ليصلوا ما انقطع من المسيرة الإسلامية الرشيدة منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، وقيام الدولة الإسلامية على أرض الإسلام، وثانيًا لأن الدكتور فودة حدد المعسكر الذي ينتمي إليه وهو معسكر العلمانية، وهو معسكر معاد للإسلام حيث يدعو إلى فصل الإسلام عن حركة المسلمين، ويلغي تاريخًا مليئًا بالممارسات الإسلامية الراشدة التي عمقت قناعة المسلمين بأن هذا الدين إنما جاء ليرشد هذه الحياة، وكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ عند وصوله إلى المدينة المنورة في هجرته المباركة أنه اختط مكانًا للمسجد

(*) أخبار الخليج (البحرينية) ٥ أغسطس ١٩٨٨م.

ومكانًا آخر للسوق، وكأنه بهذا يقول: إن هذا الدين جاء لهذه الدنيا، ليرعاها وليقوّم سلوكها، وليهدي الناس فيها إلى سواء السبيل. أقول كانت لدي من الأسباب ما يجعلني أصرف النظر عن الالتفات إلى هذه المحاضرة لولا أن للقراء علينا حقوقًا لابد من الوفاء بها، هذه الحقوق تتلخص في أن لابد من عرض رأي الإسلام في مجمل ما قاله الدكتور فودة ومن يسير في فلكه.

لقد اتخذ الدكتور فودة موقفًا مسبقًا ضد الشريعة الإسلامية وأجهد نفسه في البحث عن نصوص توافق وتدعم موقفه، وحين يعجز عن ذلك يقوم بمحاولة مستميتة، وهي ليّ النصوص لتوافق هواه، ولتكيف خروجه على إجماع المسلمين تكييفًا شرعيًا مدعمًا بالنصوص المحرفة..

لقد أطلق الدكتور فودة على الخليط من المتناقضات الذي ساقه، أطلق عليه اسم «مصر والردة الحضارية» وأخذ يدور حول الشريعة الإسلامية والمطالبة بتطبيقها، وقرن هذا التطبيق بالردة الحضارة، وكأنه يقول: أن الرسول ﷺ وصحابته الراشدين عندما أقاموا الدولة الحضارية على مبدأ الحلال والحرام فإنهم كانوا يعيشون ردة حضارية، مع أن التاريخ الصادق يؤكد ـ بما لا يدع مجالًا لأدنى شك ـ أن المسلمين لم يعيشوا أزهى عصورهم الحضارية، إلا في ظل الإسلام، عندما التزموا به عقيدة وشريعة، وعبادة ومعاملات..

الدكتور فودة المؤمن بالعقل إلى درجة التصوف يريد منا أن نلغي عقولنا عندما يتهم الشريعة الإسلامية بإنها السبب وراء الردة الحضارية التي تعيشها الأمة.. وهو بهذا لا يفهم الحضارة الفهم الصحيح، وهي في تصوره لا تخرج عن الانفلات من ضوابط الحلال والحرام التي هي قوام الإسلام كله، فما هو الإسلام إن لم يكن الحلال والحرام في مجال العقيدة، والحلال والحرام في مجال الشريعة، والحلال والحرام في مجال العبادات والمعاملات والأخلاق؟

الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له حلال، والشرك به تعالى أو

الكفر به جل وعلا حرام. الإيمان بالشريعة الإسلامية بأنها الحاكمة لحياة المسلمين مع ما لا يتعارض معها من اجتهادات البشر هذا كله حلال، واستيراد الأنظمة الوضعية المخالفة لأصول الإسلام حرام.

الإيمان بأن العبادات التي جاءت بها النصوص من الكتاب والسنة هي الحلال، وإن ما ابتدعه البعض وأضافه إلى دين الله هو الحرام.

الإيمان بأن الله تعالى أحل البيع وحرم الربا..

الإيمان بأن الصدق حلال والكذب حرام، وأن الأمانة حلال والخيانة حرام.

هذا هو الإسلام في مجمله وفي أدق تفاصيله قائمًا على مبدأ الحلال والحرام..

ولنا لقاء آخر مع الدكتور لنستعرض بقية آرائه.

الإسلام شيء.. والحكومة الدينية شيء آخر(*)

في لقائنا الأول مع الدكتور فرج فودة رددنا على بعض مفترياته ومتناقضاته، وهي المتعلقة برفضه وعدم قبوله بأن يحكم بمنطق الحلال والحرام، وكيف بينا له أن الإسلام قائم على مبدأ الحلال والحرام في قضاياه كلها، وقلنا كذلك: إن الدكتور فودة المؤمن بالعقل إلى درجة التصوف يريد منا أن نلغي عقولنا عندما يتهم الشريعة الإسلامية بأنها السبب وراء الردة الحضارية التي تعيشها الأمة.. واليوم وفي لقائنا الثاني معه نستكمل ما بدأناه، فنقول وبالله التوفيق: من المتناقضات التي وقع فيها الدكتور فودة، قوله: (لا أقبل أن أحكم بمنطق الحلال والحرام.. والمنطق الوحيد الذي أقبل به لوطني هو منطق الصواب والخطأ لهؤلاء البشر) (المحاضرة).. ثم يأتي في موضع آخر من المحاضرة ليقول: (أنا ملتزم بالقرآن والسنة في أموري الخاصة، وهذه حسابها عند ربي، أما في الشئون العامة فأنا ملتزم بالدستور والقانون) (نص المحاضرة).

ونحن نقبل منه هذا الاعتراف، وما دام ملتزمًا بالقرآن والسنة في أموره الخاصة، والتي نعتقد أنه لا يستطيع فصلها عن حياته العامة، نقول: نحن نقبل منه ذلك، ونطالبه بالالتزام بكل ما جاء بالقرآن والسنة من أوامر وتكاليف..

والقرآن يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾(١).

(*) أخبار الخليج (البحرينية) ١٢ أغسطس ١٩٨٨م.

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٦٢، ١٦٣.

هذا الدعاء الذي جاء على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام نقوله دائمًا في صلاتنا، وأعتقد أن الدكتور فودة حين يقف للصلاة يدعو بنفس الدعاء. هذا الدعاء العظيم يتعارض مع علمانية الدكتور فودة، فهو - أي الدعاء - يقول وبوضوح أن صلاة الإنسان وعباداته كلها بل وحياته ومماته لله رب العالمين - وبمعنى آخر أن حركة الإنسان منذ أن يولد وإلى أن يودع الدنيا لابد وأن تكون لله، أي محكومة بمنهج الله، بينما العلمانية تقول غير ذلك، فما مدى التزام الدكتور فودة بالقرآن؟

هذه واحدة، والدكتور فودة يصلي في اليوم والليلة خمس صلوات، والصلاة بنص القرآن الكريم - الذي يؤمن به الدكتور فودة - تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهل هناك منكر وفحشاء أشد من أن يتهم الدكتور فودة منهج الله تعالى وشريعته الخالدة بأنها السبب وراء الردة الحضارية، ويعتبر الدكتور فودة أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو المدخل للدولة الدينية، وللرد عليه أحيله إلى الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه «الدولة في الإسلام». والأستاذ خالد محمد خالد أكثر ثقافة من الدكتور فودة، وأكثر منه وعيًا وشجاعة، فقد قال في كتابه الأول «من هنا نبدأ» نفس المقولة التي يرددها د. فرج ولكنه حين اكتشف خطأه الفادح اعترف بشجاعة عظيمة، وسطر ذلك الاعتراف في كتاب يتداوله الناس تحت عنوان «الدولة في الإسلام» نقض فيه أقواله القديمة وعزاها إلى خطأ في المنهج حين حَمَّل الإسلام أخطاء المسلمين، ولنستمع إليه وهو يعترف في شجاعة: «ثم قلت: وفي الحكومات الدينية الإسلامية حدثت أهوال مروعة، حتى أن حاكمًا دينيًا واحدًا - هو الحجاج - أباد البقية الكريمة الصالحة من صحابة رسول الله ﷺ، حتى قال عنه عمر بن عبدالعزيز.. لو جاءت كل أمة بخطاياها، وجئنا نحن بني أمية بالحجاج وحده لرجحناهم.. إذن، فقد كنت في قمة التأثر ببشاعة وجرائم الحكومة الدينية المسيحية، ثم عكست الصورة في غير حق على الحكام السياسين في الإسلام واعتبرتهم حكومة دينية إسلامية..!!

ومضيت أدحض ما اعتبرته حكومة دينية في الإسلام بنفس القوة التي

دحض بها الفكر الإنساني الرشيد الحكومة الدينية التي قامت في ظل الكنيسة وكانت أكثر خطرًا على المسيحية من الشيطان نفسه!!

ثم يتساءل الأستاذ خالد محمد خالد قائلًا: (من قال إن الحجاج حاكم ديني؟. وهل في الإسلام كهنوت يستطيع أي حاكم أن يستمد منه سلطانًا مطلقًا وفي ذات الوقت يكون مقدسًا؟.. لا. ومع هذا فقد اقتنعت قديمًا بهذا الذي يبدو لي اليوم تجنيًا وخطأ.

إن الإسلام ـ والكلام ما زال للأستاذ خالد ـ حتى في فترات استغلاله من بعض الخلفاء والحكام لم يمنح أيًا منهم سلطة بابوية كهنوتية لأنه لا يتسع لأي كهنوت لا في تعاليمه ولا في تطبيقاته.

من أجل هذا كان تسمية الحكومات الإسلامية المنحرفة بالحكومة الدينية وتحميل الإسلام وزرها أمر مجاف لكل صواب[1].

فتطبيق الشريعة الإسلامية شيء والدولة الدينية التي في مخيلة الدكتور فودة شيء آخر لا علاقة بينهما البتة هذا إذا كان حقًا يعرف الفرق بين الحومة الدينية كمصطلح أوروبي والشريعة الإسلامية، وإذا لم يفهم الفرق بينهما فليس هذا ذنبنا.. إن هذا الأسلوب الذي يستخدمه الدكتور فودة أسلوب مفضوح وقديم، ولقد سلكه من قبله بعض الكتاب من أجل الشهرة وذيوع الصيت، فعل ذلك الدكتور طه حسين بكتابه «في الشعر الجاهلي» وغيره.

أما الخلط الذي ذكره الدكتور فودة حول الحدود، ورفضه صراحة قبول بعض الحدود رغم وجوبها نصًا وقطعًا يضعه في موقف حرج لا نريد الخوض فيه، ولكن يكفي أن نسأل سؤالًا: ما حكم المسلم الذي ينكر أو يرفض قبول أمر عرف من الدين بالضرورة؟!!.

ونود في ختام حوارنا مع الدكتور فودة أن نسأله سؤالًا واحدًا ومحددًا وهو: كم هي الحالات التي طبقت فيها الحدود عندما كان الإسلام الحق

---

(١) الدولة في الإسلام/ خالد محمد خالد/ ص ١٣، ١٤.

يحكم حياة المسلمين، واستكمالاً لهذا السؤال نقول: وكم هم الضحايا الذين قتلوا وعذبوا وانتهكت أعراضهم بأيدي الزعماء والقادة والثوار؟!.. هذا سؤال ذو شقين هل يملك الدكتور فودة الشجاعة الكافيه للرد عليه؟.. لا أعتقد ذلك..

يقولون: افصلوا الدين عن الدولة، ونقول لهم: أي دين تعنون؟! [١](*)

دعاة العلمانية في الغرب قد يكون لهم بعض العذر حين ينادون بفصل الدين عن الدولة، ورفع يد الكنيسة عن التدخل في سياسة الدولة، لأن المسيحية ديانة لم تأت لتستوعب كافة شئون الحياة، ويتناقل المسيحيون وخاصة أهل السياسة مقولة منسوبة إلى نبي الله عيسى عليه السلام بأنه قال: (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، وهذه المقولة المنسوبة إلى السيد المسيح عليه السلام هي القاعدة التي ينطلق منها دعاة فصل الدين عن الدولة، وأيضًا واقع الحال عندما كانت الكنيسة ورجالها يتحكمون في مصائر الناس وتكون لهم الكلمة الأخيرة فيمن يكون ملكًا، ولقد عاثت الكنيسة فسادًا وقتلت العلماء والمفكرين وأهل الإبداع.

إذن فللعلمانيين الغربيين بعض العذر، وقد يكون لهم العذر كله فيما فعلوه ونادوا به، ولكن أي عذر من الممكن أن يعتذر به العلمانيون العرب في مجاراتهم للعلمانيين الغربيين؟

وقبل أن يتسرع دعاة العلمانية في بلادنا العربية ليدافعوا بحماس زائف عن دعوتهم التي بنيت على غير أساس، نقول لهم: مهلًا حتى نبسط القول في ماهية الدين الذي تريدون فصله عن الدولة. لقد هيأ رسول الله ﷺ العقول والنفوس لحقيقة أن الإسلام جاء ليدبر هذه الحياة، ويرسم للأحياء

(*) أخبار الخليج/ في رحاب الإسلام.

من الناس الطريق السوي لممارسة حياتهم في ظل منهج ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1].

يقول المصطفى ﷺ: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[2].

وقال ﷺ أيضًا: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[3].

هذان الحديثان على إيجازهما يمثلان القاعدة الصلبة لحقيقة أن الإسلام دين ودولة، دنيا وآخرة.

الحديث الأول يؤكد على حقيقة أن الاهتمام بأمر المسلمين ركن أساسي من أركان المسلم، وأنه لا يحق له أن يكون مسلمًا من أهمل شئون المسلمين وأعرض عن مد يد المساعدة لهم، وأنه حتى يكون مسلمًا حقًّا، فعليه أن يكون مهمومًا دومًا بأمور المسلمين، وأن يكون كالجسد الواحد الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4].

أما الحديث الآخر فهو يعترف بأن لكل إنسان هوى، ومن حقه أن يكون له هوى مختلف عن هوى غيره من الناس، ولكن ليس من حقه أن يحمله هذا الهوى على أن يظلم غيره، أو أن يسلب حقوقهم، أو يعتدي على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وحتى لا يورده هواه هذه المهالك، فعليه أن يكون تابعًا ذليلًا لما جاء به رسول الله، ﷺ، وحين تتحد أهواؤنا جميعًا خلف ما جاء به رسول الله، ﷺ تكون الوحدة الإسلامية الكبرى التي قال عنها الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[5].

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢.
(٢) حديث رواه أبو داود في سننه.
(٣) حديث رواه الطبراني.
(٤) حديث متفق عليه.
(٥) سورة الأنبياء الآية ٩٢.

هذه الوحدة التي قال عنها الله تعالى موجهًا المسلمين إلى أسبابها: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[1].

لقد بيَّن الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات المباركات أسباب الوحدة والاتحاد وأسباب الفرقة والاختلاف.

والاعتصام بحبل الله تعالى أي بالقرآن ليس تلاوة وحفظًا وتفاخرًا بما يحفظ المسلم وما يجوِّد من كتاب ربه، ولكن الاعتصام المطلوب في هذه الآية هو العمل بما جاء في كتاب الله تعالى، وتعضد هذه الآية وتشد من أزرها وتؤكد معها حقيقة ما ذهبنا إليه آية أخرى جليلة يشتكي فيها رسول الله، ﷺ إلى مولاه ﷻ هجران المسلمين للقرآن فيقول: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[2].

وهجر المسلمين للقرآن لا يعني به رسول الله ﷺ هجر تلاوته وحفظه وتجويده وطباعته في أفخر حلة، وإقامة المطابع الخاصة له وإلا لو كان الأمر كذلك لكنا أمة متقدمة ناجحة متميزة، فإن قراءة القرآن في المجالس والمآتم ومحطات الإذاعة والتليفزيون ليلًا ونهارًا لا تكاد تتوقف، بل صارت قراءة القرآن عند كثير من المسلمين شؤمًا ـ والعياذ بالله ـ لأنه دليل على أن هناك عظيمًا من العظماء قد مات.

أن الرسول ﷺ لا يقصد شيئًا من هذا الذي ذكرناه، ولكنه ﷺ يقصد هجران العمل بما جاء في القرآن العظيم من تعاليم وتوجيهات وتدابير لصيانة حياتنا ولسلامة اعتقادنا.

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٠٣ ـ ١٠٥.

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٠.

وسوء فهم بعضنا لهذا ليس دليلًا على اقتصار الإسلام على العلاقة بين الخالق ﷻ والمخلوق، ولكنه دليل على ضحالة الفهم والتدبر عند هؤلاء البعض، وعلاج الجهل ليس الاستكبار والعناد ولكن علاجه الرجوع إلى مصادر العلم والمعرفة الحقة لإزالة ما علق بالعقول من جهل وغرور واستكبار.

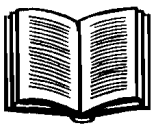

يقولون: افصلوا الدين عن الدولة، ونقوَل لهم: أي دين تعنون؟! [٢](*)

قلنا في الجزء الأول من هذا الحديث: إن العلمانيين الغربيين لهم بعض العذر أو قد يكون لهم العذر كله حين ينادون بفصل الدين عن الدولة بسبب طغيان الكنيسة، وقهرها للعلماء وأهل الإبداع. ولكن أي عذر يقدمه العلمانيون العرب لتبريرهم هذه الدعوة. وما هي المبررات التي تحملهم على تبني ما ينادي به العلمانيون الغربيون؟

إن افتعال معركة مع الإسلام قضية لامبرر لها إطلاقًا لأن الإسلام غير المسيحية حتى في أصولها الصحيحة، بمعنى أن الإسلام جاء دينًا خاتمًا ورسالة كاملة تامة، أما المسيحية فقد جاءت رسالة لقوم معينين ولمرحلة تاريخية محددة، فلا مجال للمقارنة بينها وبين الإسلام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن من يدرس الإسلام دراسة متعمقة سوف يجد أن الحق سبحانه وتعالى عندما قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١). وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٢). وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾..(٣).

(*) أخبار الخليج/ في رحاب الإسلام.

(١) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٣.

حين قال الحق سبحانه وتعالى ذلك كان يوجه الأبصار والبصائر إلى أن علاقة المسلمين بالإسلام علاقة حتمية لا يمكن فصلها أو فك ارتباطها.

الإسلام دين كامل يعني: إنه مستوعب لكافة شئون الحياة الدنيا، وكون الإسلام هو الدين الذي لن يقبل غيره عند الله تعالى يعني أن الإنسان سوف يحاسب يوم القيامة على ما اقترفته يداه في الدنيا بمقاييس وموازين الإسلام، لهذا فلا مجال لفصل الإسلام عن حركة الحياة والأحياء، هذه واحدة، أما الثانية، فإن القول المأثور والمشهور «الدين المعاملة» حين تقرن هذه العبارة الجليلة مع قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾..[1]. فإننا نخلص إلى أن الإسلام لم يترك شاردة ولا واردة إلا ووضع لها التشريعات والنظم التي تكفل سير الحياة وفق مشيئة الله تعالى وبما يحقق السعادة والسلام للإنسان على هذه الأرض، فما حقيقة العلاقة بين الإنسان وخالقه ﷻ، وما علاقته مع باقي المخلوقات من حوله؟

العلاقة بين المخلوق وخالقه ﷻ تقوم على أساس التوحيد الخالص له سبحانه ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[2].

والعلاقة بين الآباء والأبناء تقوم على حسن المعاملة ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾[3]. وعلاقة الإنسان مع زوجه وأولاده قائمة على حسن الخلق، وعلى الرفق واللين ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

---

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة البينة الآية ٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٣، ٢٤.

كَثِيرًا﴾[1]. وعن الأولاد والعناية بهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[2].

ونظم الإسلام كذلك علاقة الحاكم بالمحكومين، فجعل قوة السلطان تقف مع أصحاب الحقوق وإن كانوا ضعفاء لا حيلة لهم ولا قوة، وتقف ضد مغتصبي هذه الحقوق وإن كانوا أصحاب جاه أو مال، وها هو الصديق رضي الله عنه يعلنها صريحة في أول خطبة له بعد توليه الخلافة، قال رضي الله عنه: (أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه).

ولم تكن هذه مجرد كلمات لا رصيد لها من الواقع، بل لقد جيش رضي الله تعالى عنه الجيوش لمحاربة مانعي الزكاة، وهذه أول مرة في تارخ البشرية تستنفر فيها الدولة قواتها لنصرة الفقراء والمساكين حتى تسترد حقوقهم المغتصبة من الأغنياء، فإذا استرد الفقراء والمساكين حقوقهم ساوى الحاكم بينهم وبين الأغنياء في المعاملة.

والحياة الاجتماعية في الإسلام وصلت إلى أرقى مقاماتها. فإن المسلم مسئول عن جاره ولن يتم إيمانه إذا بات شبعانًا وجاره جائع وهو يعلم. قال ﷺ: «ما أمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع وهو يعلم»[3].

ونظم الإسلام العلاقة بين العمال وأصحاب العمل، ووضع معادلة ذهبية إذا عُمل بها سادت روح المحبة والألفة وحسن الخلق هذه العلاقة، فيما يخص حقوق العمال قال عليه الصلاة والسلام: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[4].

---

(١) سورة النساء الآية ١٩.

(٢) سورة الإسراء الآية ٣١.

(٣) حديث رواه البزار.

(٤) حديث رواه أبو يعلى.

أما حقوق أصحاب العمل فقال عنها ﷺ: «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه»[1].

وبنى علاقة المسلمين فيما بينهم على الحب في الله تعالى، يقول علية الصلاة والسلام: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[2].

إن العبادات في الإسلام لا تؤدي لذاتها، بل هي وسيلة لإظهار العبودية لله تعالى، وخالص الولاء له سبحانه، وهي أيضًا وسيلة لصيانة الإنسان من الانحراف، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم يصد عن قول الزور والعمل به، والحج يمنع الإنسان من الرفث والفسوق والعصيان، والزكاة تصفي القلب والنفس عند المزكي وآخذ الزكاة من الفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية حيث تستل الحقد والكراهية من قلوبهم تجاه الأغنياء، وشهادة التوحيد تخلص القلب من أدران الشرك. وحتى يكون المسلم كاملًا يجب أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، ومن كمال الإيمان وتمامه عند المؤمن أن يأمنه المؤمنون على أموالهم وأعراضهم.

والمسلمون يرددون عند الصلاة دعاء يجددون فيه الولاء لخالقهم ﷻ ويعترفون بأن صلاتهم ونسكهم، ومحياهم ومماتهم لله رب العالمين: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين».

---

(١) حديث رواه الطبراني.

(٢) حديث رواه الشيخان.

ماذا بقى للعلمانية، فالكل لله تعالى خاضع ذليل له سبحانه، لا يملك من نفسه ومن ماله ومن حياته شيئًا، هو سبحانه الذي خلقنا وهو ﷻ الذي شرع لنا كيف نعبده ونثني عليه.

فقولوا لي: أي دين تعنون؟!

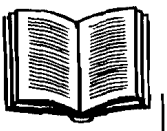

من هنا نبدأ(*)

المحاولات الدائبة لأنصار فصل الدين عن الدولة محاولات مآلها الفشل والخسران المبين، فالتجارب التي تمر بها الشعوب تؤكد كل يوم على حتمية ارتباط حياة الناس بالدين، وأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها أي بالإسلام، ولقد كان الأستاذ خالد محمد خالد موفقًا تمام التوفيق حينما رجع عن موقفه القديم الذي أعلنه للناس في أول كتاب صدرله بعنوان «من هنا نبدأ» واعتبر الأستاذ خالد محمد خالد أن البداية الحقيقية لأي إصلاح هي فصل الإسلام عن الحياة، ولقد تعرض الكاتب يومئذ للمساءلة القضائية، ورغم تبرئة القضاء له إلا إنه ظل مشغولًا بالقضية ليبحث فيها ويعرضها على عقله المرة تلو المرة حتى كانت العودة الحميدة له إلى رحاب الإسلام بعد ثلاثين سنة من تاريخ إصداره كتابه الأول، وتوج هذه العودة بكتاب واضح المعالم صريح في عنوانه وكان كتابه (الوثيقة) «الدولة في الإسلام» نقض فيه مقولته السابقة، وألحق بقناعاته السابقة هزيمة مباركة، حيث أكد في كتابه القيم استحالة قيام دولة ونهوض أمة واستقامة سلوك على أساس غير أساس الإسلام، واستشهد في كتابه «الدولة في الإسلام» بعصر من أزهى العصور الإسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة، وهو عصر عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى الذي ساد فيه العدل واستغنى الناس، وصار عمال الزكاة يجوبون الأمصار بحثًا عمن يدفعون إليه الزكاة فلا يجدون!! الذين أعجبوا بكتاب الأستاذ خالد محمد خالد «من هنا نبدأ»

(*) أخبار الخليج (البحرين).

وأنزلوا مؤلفه منزلة كبيرة في نفوسهم هم نفس الفئة التي وصفته بالرجعية والتخلف بعد ان استقام موقفه، وراجع قناعاته السابقة، ولم يتغير شيء من خالد محمد خالد فهو نفسه صاحب العقل الراجح المفكر، وصاحب الأفق الواسع ورحابة الصدر ولكن فقط انتقل من صفوف العلمانيين الذين ينكرون أي دور للإسلام إلى صفوف المنادين بأحقية الإسلام في رعاية وصيانة شئون الناس من خلال دولة قوية الأركان، ثابتة البنيان.. لقد وصفوه بالرجعية لأنه رجع إلى الإسلام!!

وقد يدهش القارئ إذا اكتفى بقراءة العنوان لأننا استخدمنا نفس العنوان الذي استخدمه الأستاذ خالد محمد خالد لكتابه الأول قبل ما يزيد على أربعين عامًا، ولكن إذا اتسع صدره وقرأ المقال سوف يكتشف أن المضمون مختلف..

سيجد القارئ العزيز أن دعوتنا تنطلق من حتمية الحل الإسلامي، وإن البداية الحقيقية لأي إصلاح تنطلق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.. هذه الآية الكريمة العظيمة تصحح أفهام الناس عن المنهج الحق في إصلاح الواقع والقضاء على الأمراض والأوبئة التي تعوق مسيرة الناس إلى حياة أفضل وغد مشرق سعيد..

الذي يقرأ وثيقة العهد الأول للإسلام يجد أن العرب لم يكن في مقدورهم ولا في استطاعتهم أن يوحدوا صفوفهم، ويستعيدوا مكانتهم، إلا باتخاذهم الإسلام منهج حياة، وبفضل الإسلام صاروا أمة قوية ذات حضارة وتقدم، أمة ذات شأن عظيم بين الأمم، كانت مضرب الأمثال في العدل والمساواة والوفاء بالعهود والوعود، ومن يقرأ قصة خروج الجيش الإسلامي المنتصر من سمرقند بعد أن حكم القاضي المسلم بذلك يرى مثالًا لدولة العدل والإيمان لا نظير له بين أمم العالم قاطبة، فلم يحدث في تاريخ الدول مثل الذي حدث في سمرقند، ولم يعامل أهل بلاد كما عومل أهل سمرقند، حتى إنهم نتيجة للعدل الإسلامي الذي لا نظير له دخلوا في دين الإسلام أفواجًا، فقد علموا أنهم في حماية دين لا يظلم في ظله أحد، دين

ينصف أصحاب الحقوق حتى من المسلمين أنفسهم.. دين يرفع شعار ..﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ويعمل ضمن منهج: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾[1].

هل هناك سماحة أعظم من هذه السماحة، وهل هناك بر وعدل أوفى وأكرم من هذا العدل وذلك البر.. إن الحق في الإسلام يظلل الجميع، وكم هي القضايا التي قدمت بين يدي رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم وكان أحد الخصمين يهوديًا أو نصرانيًا أو من أية ملة أخرى والخصم الآخر مسلمًا، فلم يحاب رسول الله ﷺ لأنه مسلم إذا كان الحق ليس في جانبه، وها هو رسول الله ﷺ ينصف يهوديًا اتهمه بعض المسلمين بالسرقة وهو منها براء فما كان إلا أن تدخل الوحي المبارك ليقف إلى جانب اليهودي ويجرم المسلمين الذين حاولوا إلصاق التهمة باليهودي.

وها هو الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يقول لقاتل أخيه بعد أن أسلم وحسن إسلامه: إني لا أحبك فقال الرجل: إن عدم حبك لي يا أمير المؤمنين يمنعني حقًا من حقوقي؟ فأجاب الفاروق وهو شديد الدهشة وكأن هذا الخاطر لم يرد على قلبه: لا!! فقال الرجل: إذن يبكي على الحب النساء..

وها هو أمير المؤمنين علي ﷺ يقف مع خصمه اليهودي، أمام القاضي، فيحكم القاضي لليهودي ويخضع أمير المؤمنين لحكم الإسلام، فما كان من اليهودي إلا أن أعلنها مدوية «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله» واعترف اليهودي بأن الدرع المتنازع عليه هو ملك لأمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه، فقال له الإمام، أما وقد آمنت فهي ملك لك.. ذلك عدل الإسلام وهذه هي سماحته، وهذه القضايا التي أوردنا

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٨، ٩.

طرفًا منها تقدم نموذجًا باهرًا للرجال الذين صنعهم الإسلام على عينه، من حكام وقضاة كما تقدم تشريعًا لا نظير له أبدًا بين شرائع البشر. تشريعًا يدور مع الحق أينما اتجه، وتحضرني هنا كلمات من نور، انار بها خليفة رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بصائر الناس... قال لهم: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، القوي منكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أخذ الحق له!!).

فالإسلام وخلفاء الإسلام لا يعرفون إلا قوة الحق. فمن كان الحق معه فهو القوي، ومن كان الحق ضده فهو الضعيف.. لأن القرآن الكريم كتاب الإسلام الخالد بالحق انزله الله تعالى وبالحق نزل. وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾[1].

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٥.

أفحكم الجاهلية يبغون؟![*]

لم يأت الإسلام دعوة خلقية فحسب، ولا علاقة خاصة بين الخالق جل وعلا والمخلوق فقط.. ولم يكن الإسلام في يوم من الأيام دينًا خاصًا بالملوك والسلاطين وسيفًا مسلطًا على رقاب العباد من الفقراء والمعوزين.. لم ينزل الإسلام دينًا خاتمًا ليرفع فئة ظالمة ويحط من قدر فئة مظلومة، أو يحابي الأغنياء وذوي الجاه على حساب الفقراء ومن لا جاه لهم.. كما لم يكن الإسلام في أي تفسير من تفسيراته مجرد شعارات لا مضامين لها، يدعو إلى العدل دون إلزام القادرين، وينفر من الظلم دون أن يردع عنه..

الإسلام كان ولا يزال دعوة الخير إلى البشرية كلها، وهو فوق إنه علاقة بين هذا المخلوق الفقير الضعيف وبين خالقه العلي القدير، فهو نظام حياة متكامل، يأخذ بيد من يعمل به إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

في الإسلام وحده تجد الجواب على كل سؤال، والمسلمون هم أكثر الأمم حظًا وتوفيقًا، فهم وحدهم دون سواهم يعرفون كيف وجدوا في هذه الحياة، ولماذا وجدوا وهم يعلمون علم اليقين إلى أين يسيرون.. هم وحدهم دون غيرهم على ثقة تامة بأن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[1]. هم وحدهم يعلمون بأن الظلم

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٠/١٠/١٩٨٦م.

(١) سورة الزلزلة الآية ٧، ٨.

ظلمات يوم القيامة ولهذا فهم لا يظلمون.. وهم يعلمون أن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، وهو الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأن إيمانهم بأن القرآن كتاب تشريع جزء من إيمانهم بالله تعالى وبأنه له وحده تعالى الحاكمية، وأن إعطاء الولاء لغيره خروج من العهد الذي أخذه الله تعالى على الإنسان منذ أن كان غيبًا في ظهر أبيه آدم عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[1].

إذن فكل دعوة إلى تحكيم غير شرع الله تعالى هي دعوة إلى جاهلية جهلاء وعودة بالأمة بل بالبشرية إلى عهودها الأولى حين كان الإنسان أقرب إلى الحيوان في سلوكه وفي تصرفاته، حينما كانت طموحاته لا تجاوز الصراع مع الحيوانات على لقمة تسد جوعه، حينما كانت المشاعة في كل شيء هي القانون الذي يحكم وجوده، والقتل والتدمير هو الصراط غير المستقيم الذي يسير عليه.

إلى هؤلاء يوجه الحق سبحانه وتعالى سؤاله الاستنكاري التعجبي في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]. ولقد سبق هذه الآية أمر صريح من الله تعالى إلى رسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[3].

وتأتي آية بعدها تحذر في وضوح شديد من الركون إلى اليهود والنصارى والثقة بهم وإعطائهم الولاء، فيقول عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٤٩.

(٤) سورة المائدة الآية ٥١.

إن هذه الآيات الثلاث إبطال لحجة القائلين بأن الإسلام دين لا دولة، وفيها رد قاطع على دعاة العلمانية، والذين يهذون بأقوال المستشرقين، وأعداء الإسلام.

إن الآيات صريحة بالغة الصراحة في الحديث عن كتاب الله تعالى بأنه مصدر الحكم، وإن علاقة المسلمين بكتاب ربهم لا تقتصر على تلاوة آياته في صلواتهم، والتبرك به في بيوتهم وقراءته على أرواح أمواتهم، بل هي علاقة تتعدى ذلك بكثير حيث يأخذ منه المسلمون نظام حياتهم، ومحاسن أخلاقهم، ويلتزمون بكل أمر جاء به وينتهون عن كل ما نهاهم عنه وبعد كل هذا: أفحكم الجاهلية يبغون؟!

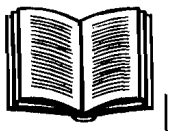

أيها المسلمون..
بأي منطق تريدون أن تُحكموا؟(*)

ما الفرق بين الخطأ والصواب وبين الحرام والحلال؟..

لا شك أن بينهما فرق كبير جدًا بدليل أن دعاة العلمانية يطالبون بإحلال الخطأ مكان الحرام، والصواب مكان الحلال، ولو كانا شيئًا واحدًا لما طالبوا بذلك، والفرق بينهما كبير جدًا لأن الخطأ والصواب مصدرهما العقل، والحلال والحرام مصدرهما الوحي، وفرق شاسع بين الوحي والعقل، الوحي مصدره الحق تبارك وتعالى، وهو علم الله الأزلي الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، وهو علم محيط بكل شيء لا تفوته شاردة ولا واردة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾(١).

أما العقل فهو مخلوق من مخلوقات الله تعالى يطرأ عليه القصور والنسيان والضمور، يستطيع الإنسان أن يغيب عقله بكأس من الخمر، فلا يعلم ما يدور حوله، بل وتجده يرتكب من المعاصي ومن الخطأ ـ على رأي العلمانيين ـ الشيء الكثير المنكور بل إن هذا العقل يتأثر في حكمه على الأشياء والناس بحالة القبول والرفض..

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٨/٩/٩م.

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩، ٦٠.

العقل ما سمي عقلًا إلا لأن له حدًا يقف عنده لا يتجاوزه وهو مأخوذ من عقلت الناقة إذا منعتها عن الحركة، وسمي الحبل الذي تقيد به الناقة «عقالًا» ولله در الشاعر الذي قال:

نهاية إقبال العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وما استفدنا طول بحثنا سوى أن جمعنا قيل وقال

نعم إن النهاية المحتومة لإقبال العقول على قضية من القضايا، أو أمر من الأمور هو عقال، لأن العقل مقيد بما يعرفه من معلومات سابقة عن القضية التي هي موضوع الدرس والبحث، وفي ضوء هذه المعلومات يصل إلى رأي محدد حول هذه القضية..

والعقل كأي جارحة في الإنسان ليست مطلقة ولكن محدودة، فالعين مثلًا لا تستطيع أن ترى إلا ما يقع تحت دائرة قدرتها، فالشيء الذي يبعد بعدًا كبيرًا لا تراه العين وإذا كان صغيرًا جدًا فلا تراه العين أيضًا..

والأذن هي الأخرى لا تسمع إلا الأصوات التي تقع في دائرة قدرتها، فهي لا تسمع مثلًا دبيب النمل لأنه خارج عن دائرة قدرتها وهكذا.. فإن جوارح الإنسان ومنها العقل محدودة بأمور ذاتية وأخرى موضوعية، بمعنى أن تكون الجارحة بها خلل من مرض أو غيبوبة مثل العقل عندما يتعاطى صاحبه الخمر، أو أن يكون في الموضوع، بأن تكون المعلومات حول هذا الموضوع غير كاملة..

إذن فالخطأ والصواب مصدرهما العقل وجزاؤهما ما تشرعه القوانين الوضعية، ولهذا فمن وقع تحت طائلة القانون فإنه يعاقب، ومن أفلت من القانون فلا عقوبة، فيفوز الظالم بظلمه، ويخسر المظلوم مظلمته، ثم لا شيء بعد ذلك، ولا يوجد يوم آخر في عرف القوانين الوضعية، فيستشري الظلم، ويعم القهر والتسلط، وينتشر الفساد، وهذا ما يريده العلمانيون، فإنهم لا يريدون أن تلاحقهم التهمة حتى بعد مماتهم..

والأمر في الحلال والحرام جد مختلف. فهما أولًا: يقومان على

أساس من الوحي، فالحرام ما حرمه الله والحلال ما أحله الله تعالى، وهما ثانيًا: لا تتوقف المحاسبة عليهما في الدنيا بل يستمر ذلك إلى يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1]. صحيح إن من أقيم عليه الحد في الدنيا فلا يجمع الله تعالى عليه عقوبتين، ولكن من أفلت في الدنيا من العقوبة، فإن العقوبة واقعة عليه لا محالة يوم القيامة، وهذه الحتمية في عقوبة العاصي وثواب المحسن تنعكس على حياة الناس وأفعالهم، فالذي ينوي المعصية يتذكر إنه لن يفلت من العقوبة، والذي يحسن فإنه ضامن للثواب يوم القيامة وإن فاته في الدنيا..

هذا اليقين هو الذي يعطي للحياة معنى، ويحمي المجتمع من استشراء الشرور فيه، وهذا ما لا يستطيع الفكر العلماني بقوانينه وتشريعاته توفيره للناس والمجتمع..

فأيهما أفضل لنا نحكم بمنطق الحلال والحرام، أم بمنطق الخطأ والصواب؟! أدع الإجابة للقراء أنفسهم..

(١) سورة الشعراء الآية ٨٨، ٨٩.

في الإسلام دولة.. وإليكم الدليل(*)

جلست مع واحد من المعارضين لإسلامية الدولة ودار الحديث حول دور الإسلام في حياة الناس، وكان السؤال الذي استأثر بمعظم الوقت هو: هل بقي للإسلام دور بصفته نظامًا سياسيًا، أم إنه انتهت صلاحيته، وبقيت القوانين الوضعية هي سيدة الموقف؟

وبداية أردت أن أوجد الأرضية المشتركة للنقاش وألا نبدأ مختلفين، إذ لا فائدة من النقاش ولا جدوى من الحديث والحوار إذا بدأنا بقناعات مسبقة وتعصبنا لها.

قلت له: هل تؤمن بأن الإسلام عقيدة وشريعة.

قال: نعم ـ ولكن..

قلت ولكن ماذا؟

قال: قد يكون للإسلام تشريع فيما مضى، ولكني لا أعتقد أنه اليوم يصلح مع هذا التقدم الهائل في كل شيء.

قلت له: إذن فأنت مقتنع بأنه كان للإسلام نظام وتشريع فيما مضى، وإنه قامت به دولة، وتأسست عليه حضارة، ونهضت به أمة..

قال: من الممكن الاتفاق على هذا مؤقتًا.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٠/٩/١٩٩٩م.

قلت له: هذا يكفيني الآن.

قلت له أيضًا: إنك تقول: إن هذا التقدم الذي حققه الإنسان في كافة المجالات، وفي جميع الأصعدة يستلزم تشريعات جديدة ونظمًا مختلفة ولا أدري لماذا؟

هل تغير الإنسان إلى هذا الحد وأصبح ما كان صالحًا له فيما مضى غير صالح اليوم؟.. هل تغيرت عواطف الإنسان ومشاعره؟ هل توقف سعيه لتحقيق طموحاته، وهل تعجز وسائل الإسلام وآلياته عن الاستجابة لكل هذا؟

أسئلة كثيرة كثيرة، ومن ينكر قدرة الإسلام على الوفاء بكل متطلبات الحياة العصرية فعليه أن يجيب عليها..

وسألته: ألم يرجع الفاتيكان إلى إباحة الطلاق بعد أن وجد استحالة استمرار العلاقة الزوجية بين زوجين يكره بعضهما بعضا؟

ألم ترجع بعض الدول التي أوقفت عقوبة الإعدام إلى ذات العقوبة بعد أن استحر القتل، وزادت معدلات الجريمة، ومن أمن العقوبة أساء الأدب، كما يقول المثل العربي الباهر؟.

ألم يسع كثير من الدول إلى مطاردة أصحاب الأموال القذرة التي حصلوا عليها عن طريق تجارة المخدرات والدعارة، ومنعهم من القيام بغسلها عن طريق إدخالها في مشاريع قانونية؟

ألا ترى كيف أقر العالم بأن هناك أموالًا نظيفة وأخرى قذرة لابد من غسلها وتطهيرها ليجوز الانتفاع بها، وهذا ما قرره الإسلام منذ أول يوم جاء فيه إلى البشرية وقسم الأموال إلى أموال حلال وأخرى حرام، وأكد أن المال الحرام لا يمكن تطهيره وتحويله إلى حلال، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وأمر الرسل عليهم السلام كما أمر الناس أن يأكلوا الحلال الطيب من الطعام ويكسبوا الحلال الطيب من المال، وسوف يسأل الإنسان يوم القيامة عن ماله: من أين اكتسبه وفيم أنفقه، ولا يوجد في الإسلام أبدًا أن

الغاية تبرر الوسيلة، فطهارة التشريع الإسلامي وعدالته وإنصافه تدعو إلى شرف الوسيلة كما تدعو إلى شرف الغاية.

والهم الذي يحمله الإسلام هو أن يكون الإنسان طاهرًا نقيًا في ضميره وفي نفسه، وما نتج عن هذا الإنسان وما صدر عنه لابد أن يكون طاهرًا ونقيًا، أما أن نتمسك بالمال ونحتال لتنظيفه دون أن نغسل ضمائر الناس ونفوسهم، فتلك محاولة فاشلة واحتيال مكشوف يأباه الإسلام وينهى عنه.

قال لي: إذا اتفقنا على أن كل هذا الذي تقوله حق، فما علاقة الإسلام بكل هذا؟

قلت له: إني لشديد العجب والدهشة من كلامك هذا، إذا لم يكن للإسلام الحق في التدخل في كل ما قلناه، فمن له إذن ذلك الحق؟

أليست هذه الأمراض التي ذكرتها وغيرها كثير هي محصلة لفصل الإسلام وعزله في المساجد وترك الحبل على الغارب للناس يفعلون ما يشاءون؟

إني أقولها لك وبكل ثقه ويقين، كما أن الإسلام جاء منذ فجره الأول لإصلاح الحياة والأحياء بعد أن دنسها الشرك والجاهلية، فإن الإسلام اليوم يبعث من جديد لإصلاح ما أفسدته جاهلية القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين والقرون التي سوف تتوالى..

الإسلام هو العلاج الوحيد والدواء الذي لا دواء قبله ولا بعده، والذي لن تنتهي صلاحيته أبدًا؛ لأن الذي قام بإعداده، ومزج مكوناته هو الحق سبحانه وتعالى الذي خلق ..﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[1]؟

ولقد أثبت الإسلام على يد رجل صالح طاهر إنه قابل للتطبيق ليس في قرون، أو سنوات طويلة بل في سنتين وخمسة شهور وبضعة أيام، كان ذلك في خلافة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه..

---

(١) سورة الملك الآية ١٤.

وكلمة أخيرة نقولها: إذا كان لابد للإنسان من نظام وتشريع يحكم تصرفاته، ويضبط سلوكه، وإذا كان الإنسان غير صالح لوضع نظام يستجيب لكل هذا، فلماذا لا يكون الإسلام هو ذلك النظام الرباني الذي وضعه خالق يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟

وحين ننادي بتطبيق الإسلام في حياتنا لا نعني أن يقوم بذلك علماء الدين بل أن يقوم بذلك السياسي المسلم الملتزم وأن يستعين بالعلماء الذين درسوا كتاب الله تعالى، وفقهوا سنة رسوله ﷺ، وهم محل ثقة الناس والمصدر الذي يرجعون إليه في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم.

المسلمون.. وحل المشكل الحضاري(*)

من المقطوع به يقينًا أن الأمة الإسلامية اليوم تواجه تحديات على كافة الأصعدة والمستويات.. تحديات سياسية، وتحديات اقتصادية، وتحديات عسكرية، وتحديات فكرية، وتحديات اجتماعية، وتحديات تربوية.

ومن المقطوع به يقينًا أيضًا أن مواجهة هذه التحديات لابد وأن تكون ضمن خطة منهجية أصيلة تنبع من كيان الأمة المنكوبة ذاتها، ولا يمكن أن تحقق المواجهة فعاليتها وتأثيرها إذا كانت مبنية على خطط ومناهج مستوردة من الأمم التي هي سبب بلاء الأمة الإسلامية ونكبتها، يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي: «لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج، مغفلًا مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه، وأقواله، وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولًا من الشرق أو الغرب، فإن ذلك تضييعًا للجهد، ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار.. فالفرق شاسع بين مشاكل ندرسها في إطار الدورة الزمنية الغربية، ومشاكل أخرى تولدت في نطاق الدورة الإسلامية»(١).

هذا الوعي الحضاري لأصل التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية، وسبل علاجها هو الذي نراهن عليه في طرحنا للمشروع الحضاري الإسلامي.. إذن فالتحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية متيقنة، والحلول

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٠/٧/١٩٨٨م.

(١) كتاب " مالك بن نبي مفكرًا إصلاحيًا " ـ الدكتور أسعد السحمراني.

التي يجب أن تواجه بها هذه التحديات ضرورة حتمية لا فكاك منها إذا أردنا أن تعود للأمة الإسلامية عافيتها وأن تسترد صحتها حتى تمارس دورها الرائد الذي أراده الله تعالى لها في قوله جل شأنه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

النخبة الذين تحدثنا عنهم وقلنا إنهم من الممكن أن يكونوا سلاحًا فاعلًا في يد الأمة تدافع بها عن كيانها، ومن الممكن أن يتحولوا إلى صفوف الأعداء يتخندقون معهم في نفس الخندق، وهم بطبيعة الحال أشد على الأمة التي انسلخوا عنها لأنهم يعلمون عوراتها ونقاط الضعف فيها، فيكونون أداة فاعلة ولكن في صفوف الأعداء.

هذه النخبة التي تحدثنا عنها نراها في أحاديثها وأبحاثها تتجنب الحديث عن الإسلام كحل مطروح لمشاكل الأمة الكثيرة والمتشعبة من سياسية واقتصادية وفكرية واجتماعية وتربوية وعسكرية، ليس باعتباره حلًا جديدًا يستحق التجربة ولكن على أساس أنه طبق بالفعل وحقق للأمة الإسلامية ريادة في كل ميدان، بل إن المتتبع لتاريخ الحضارة الإسلامية يرى أن مراحل التفوق في هذه الحضارة هي المراحل التي كان المسلمون فيها أوثق اتصالًا وأقوى ارتباطًا بالإسلام عقيدة وشريعة، حتى إن كلمة المسلم كانت تعني دائمًا التفوق والريادة في كل شيء وكل ذلك كان بفضل الإسلام الذي أعطى العرب ـ ولا يزال قادرًا على العطاء ـ مكانة عالية بين الأمم، وجعل لهم شخصية متميزة، وفتح لهم آفاقًا واسعة في كل مجال أرتادوه وحققوا فيه إنجازات رائعة.

لقد بهر الإسلام العظيم بحلوله الناجعة المنصفين من مفكري الغرب، فلم يسعهم إلا أن يقروا له بالعدالة في الأقوال والأفعال والريادة، بل لقد قال أحد مفكريهم: إن هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء أخرت وصول الحضارة الإسلامية إلى الغرب قرونًا طويلة. لقد كان الإسلام يحمل

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

معه أينما ذهب أقصى درجات التقدم والتحضر، فالمسلمون ليسوا غزاة متسلطين.. بل هم فاتحون، وكما وصفهم جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» بقوله: «لم ير العالم فاتحين أرحم من العرب».

من العار البيِّن أن نرى الكثير من مفكري الغرب ينحازون إلى الإسلام عقيدة وشريعة، بينما بعض المفكرين العرب يشعرون بالخجل من انتسابهم إلى الإسلام، فيحاولون أن يتنكروا له، ويقدموا عليه أفكارًا ومبادئ ما أنزل الله بها من سلطان، فهؤلاء في رأيي أحد المشكلات التي تواجهها الأمة الإسلامية في مسيرتها الحضارية ولابد لهذا المشكل من أن يحل لتلتفت الأمة إلى قضاياها الحقيقية بجهود أبنائها جميعًا ذلك في رأيي الأسلوب الأمثل لمواجهة تلك التحديات التي تعترض مسيرة المسلمين نحو الخير.

الذين يخافون الإسلام!!(*)

هناك فزع شديد عند بعض الزعامات في عالمنا العربي من شبهة أن يكون الإسلام قادرًا أن ينتصر في أية معركة يخوضها، لأنهم يرون أن انتصار الإسلام في زمن الحرب سوف يكون دافعًا للمسلمين أن يطلبوه في حالة السلم، والمنهج الذي يثبت كفاءته في الظروف غير العادية لا شك أنه أكثر كفاءة في الظروف العادية هذه بدهية لا نحتاج إلى جهد لإثباتها.. ولقد دخل الإسلام في حرب العاشر من رمضان المبارك، دخل بواسطة الجنود المؤمنين الصائمين الذين كانوا يتحرقون شوقًا وهيامًا للشهادة في سبيل الله، ولذلك رفضوا الإفطار مع أن الإسلام يبيح لهم ذلك حتى يتقووا على أعدائهم، رفضوا الإفطار لأنهم كانوا يريدون الإفطار على الأرض المحررة، وكانوا يريدون أن يلقوا الله تعالى وهم صائمون.. ولقد عرف الحق تبارك وتعالى صدقهم فصدقهم وأظهر المعجزات على أيديهم، وانهارت السدود والحدود أمام ضرباتهم المؤمنة، وبعد أن هزم خط بارليف الخبراء الروس، وفشلوا في هدمه والخلاص منه، ألهم ألحق سبحانه وتعالى جنودًا غير معروفين فكان على يدهم المتوضئة إزالة هذا الهم، وحصل نفس الشيء مع أنابيب النابالم المدسوسة في القناة والتي كان متوقعاً لها أن تقذف بحممها المشتعلة إلى القناة فتمنع العبور ومن يحاول ذلك يموت محترقًا، وكما ألهم الحق تبارك وتعالى أولئك الجنود الذين أزالوا بارليف، ألهم هؤلاء فجعلهم يقومون بسد هذه الأنابيب قبل أن تتمكن إسرائيل من تنفيذ مخططها الرهيب الذي أعدت له منذ سنين.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩١/٣/٨م.

هكذا الإسلام، وهكذا الصدق مع الله تعالى يفجر الطاقات ويلهم المعجزات.

ولكن هل يستسيغ البعض هذا التدخل من الإسلام في شأن يعتبرونه خاصًا بهم؛ بل هل يقبلون أن ينتصر الإسلام وفي هذا مظنة أن يطلبه المسلمون في السلم كما ساهم في الحرب؟

هذا البعض هو الذي أخذ يهون من انتصار العاشر من رمضان، ويزعم أنه كان نتيجة الإرادة المصرية والتقدم في الأسلحة، وتفوق الجندي المصري في التعامل مع السلاح، وأخذ هؤلاء البعض يستهزئون بالمسلمين الذين كانوا يقولون بأنه لولا الإسلام ما انتصرنا، وأن النصر ليس بالعدد والعدة، فقد كان عندنا العدد والعدة في سنة ١٩٦٧م فلماذا انهزمنا وانتصرت إسرائيل؟!

كل الدلائل كانت تشير إلى أن الإسلام كان له دور بارز وعظيم في حرب العاشر من رمضان، ولم يكن المسلمون مبتهجين بالنصر قدر ابتهاجهم بالإسلام الذي يشاركهم ولأول مرة القتال ضد أعداء الله تعالى، وكانوا يمنون النفس أنه قد آن الأوان لاستعادة الإسلام لدوره في حياة المسلمين، وكانوا يأملون أن يقتنع ولاة الأمر بحتمية الحل الإسلامي لجميع مشاكل المسلمين، ولكن خاب ظنهم بعد أن بدأ العلمانيون والشيوعيون يهونون من شأن الإسلام ومن دروه في الحرب، وكيف كانوا يجتهدون ليشككوا فيه وفي جدوى التمسك به، ولكن الأحداث بعد العاشر من رمضان كلها تفضح زعمهم وتؤكد كل لحظة على أنه لا طريق إلا طريق الإسلام، ولا حل لمشاكلنا، ولا تقدم ولا إنجاز إلا بالإسلام .﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

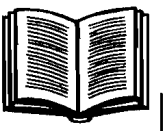

إنهم يخشون يقظة الإسلام(*)

قصة اللورد البريطاني الذي رفع «المصحف» بيده وأخذ يلوح به ويقول: إنه ما دام هذا الكتاب بين أيدي المسلمين، فلن نستطيع أن نحقق ما نريد من السيطرة عليهم، فقام أحد المتهورين من أعضاء مجلس اللوردات البريطاني وأخذ المصحف من يده ومزقه وداس عليه، فقال له اللورد: ليس هذا ما أعنيه، ولكن أن يكون هذا الكتاب عندهم ولكن لا يعملون بمقتضى تعاليمه.. هذه القصة مشهورة وتوضح إلى أي مدى هم يخشون الإسلام، ويحاذرون يقظته.. لأنهم يعلمون قدرة الإسلام على إنهاض الهمم، وإطلاق الطاقات، وتفجير كوامن الإبداع في النفس البشرية.

لقد درس أعداء الإسلام تاريخ المسلمين وعلموا أن حياة المسلمين ووجودهم مرتبط بالإسلام، ولا حياة لهم بدونه.

درسوا تاريخ العرب منذ أن كانوا قبائل متناحرة متصارعة على كلأ أو ماء أو ناقة أو فرسي رهان، وكيف كانت الحرب تدوم بينهم سنين طويلة، فتوحدوا بالإسلام، وزالت ما بينهم من عداوات وشحناء بفضل تعاليمه العظيمة..

قرأوا عن خضوع المناذرة للفرس، والغساسنة للروم، وكيف استطاع الإسلام أن يحررهم من هذه التبعية البغيضة، وبعد أن كانوا عبيدًا لغيرهم أصبحوا سادة أعزة بعزة الإسلام..

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩١/٧/٢٦م.

كان العرب قبائل رحل قبل الإسلام، يسعون وراء الماء والكلأ، فصاروا بالإسلام أمة ذات حضارة وشوكة يخطب ودها الأقارب والأباعد..

جاء الإسلام بمبادئ الحرية والعدل والمساواة وتكافؤ الفرص، وهذه كلها مبادئ يمقتها الاستعمار ويسعى جاهدًا لإحلال غيرها في أي شعب من الشعوب لأنه مع الحرية والعدل والمساواة وتكافؤ الفرص تكون العزة والكرامة والقوة، وهذه كلها تقف حجر عثرة في طريق الدول الاستعمارية فلا يمكنها من احتلال بلاد الإسلام.

حرر الإسلام العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى، وأنقذهم من جور الأديان والأفكار والأيديولوجيات، ونقلهم إلى عدل الإسلام. جعل إرادتهم بأيديهم لا بأيدي غيرهم.

ذاق العرب ولأول مرة في حياتهم طعم العدل.. ولذة المساواة.. كان أمير المؤمنين كأحدهم لا يأكل حتى يأكلوا، ولا يشبع حتى يشبعوا.. كان لا يتميز عليهم بطعام أو شراب أو لباس أو سكن.. جاء الإسلام ليجعل الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى..

وجعلهم أخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم..

إنهم يخشون الإسلام الذي يدعو المسلمين أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، وأن يكونوا أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين..

إنهم يخشون الإسلام الذي يحرض أتباعه على العلم والمعرفة والإبداع، فها هي أول آية من قرآن العظيم تزكي العلم وتدعوا إلى القراءة وتحصيل المعرفة ..﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

إنهم يخشون الإسلام الذي رفع من شأن العلم، وأحل العلماء مكانة

---

(١) سورة العلق الآية ١ ـ ٥.

رفيعة، فهم ورثة الأنبياء، وجزاؤهم عند الله تعالى يفوق جزاء العبّاد والزهّاد.. إنهم يخشون الإسلام الذي ربط الإيمان بالعمل الصالح، وجعل من الأعمال مكفرات للذنوب.. الإسلام الذي جعل إماطة الأذى من الإيمان، والنظافة من الإيمان، وإتقان العمل وتجويده من الإيمان، إنهم يخافون الإسلام لأنه يحارب الظلم والقهر والفساد، ويجرد حسامه لقتال الطغاة، والجبابرة، الذين يستذلون الشعوب، ويسومونهم سوء العذاب.

من أجل كل هذا هم يحاربون الإسلام، ويحاولون ما وسعتهم المحاولة وضعه تحت الإقامة الجبرية في المساجد، ومن أجل هذا هم يروجون للعلمانية التي هي في حقيقتها فصل الدين عن قيادة حركة الحياة.

قل أطيعوا الله والرسول(*)

المحاولات اليائسة التي يبذلها المعارضون والمخالفون لمنهج الله تعالى كلها تبوء بالفشل. لأن الأحداث وما يستجد في حياتهم من قضايا سرعان ما تكشف حقيقة صلتهم بمنهج الله تعالى، هذه الصلة التي تظهر أوضح ما تكون حيث يتجدد الحديث عن تطبيق شرع الله تعالى في حياة المسلمين، وحين يكثر النقاش والجدل في حتمية الحل الإسلامي لنهضة المسلمين، ولانعتاقهم من التبعية للغرب، وأشد ما يكون هؤلاء انفعالًا حينما تحاول إقناعهم بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأنه ليس مجرد مبادئ مثالية ولكنه منهج قابل للتطبيق، ولقد شهدت القرون الأولى دولة إسلامية عظيمة، وحضارة إيمانية تتقطع دونها الأعناق ولا تصل إلى شيء يسير من عظمتها، وهذه الحضارة وتلك الدولة قامتا على منهج الإسلام الذي يحتفي بالعقل والحرية والعلم، وبهذه كلها استطاع المسلمون أن يقدموا للعالم نموذجًا باهرًا، ومثالًا يسلب العقول قبل القلوب للدولة الحديثة التي يعيش الناس في ظلها في أمن وأمان وفي حرية وعدالة، وكان المسلمون الفاتحون ينطلقون في فتوحاتهم وهم يحملون الإسلام العظيم في قلوبهم وبين جوانبهم، ولذلك كانت الأمم التي ذهب إليها الفاتحون المسلمون يرحبون بهؤلاء الفاتحين لأنهم يحملون لهم الخير العميم، وهكذا فعل شعب مصر حينما استقبل القائد المظفر عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه الذي رفع عن الشعب المصري ظلم الرومان وجبروتهم، وأطلق الحرية كاملة في أن

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/٢/٧م.

يختاروا العقيدة التي يريدون، مع تمتعهم بكامل الحقوق التي يتمتع بها المسلمون، بل لقد أعطى رسول الله ﷺ لهم ضمانًا، ألا يعتدي عليهم أحد من المسلمين، عندما وجه ﷺ عناية المسلمين إلى رعاية ذمة أهل مصر من الأقباط، وأن من يعتدي عليهم فإن رسول الله ﷺ سوف يكون خصمه يوم القيامة.

في ظل الدولة الإسلامية استطاع القبطي المصري أن ينال حقه كاملًا من ابن عمرو بن العاص الفاتح العظيم ووالي عمر بن الخطاب خليفة المسلمين على مصر كان عمر هو القاضي الذي حكم بأن يجلد القبطيُ ابن عمرو بن العاص دون النظر إلى مكانة أبيه، بل لقد أمر الخليفة الراشد القبطي بأن ينزل بالسوط على رأس عمرو بن العاص لأنه بسبب سلطانه تصرف ابنه هذا التصرف الذي لا يقره الإسلام، ولقد ضمن الفاروق رضي الله تعالى عنه لأهل إيلياء في فلسطين من النصارى ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود، وأن تصان كنائسهم ودور العبادات التابعة لها.. كل هذا حدث في ظل الإسلام وبرعايته.. وحتى يتحقق للأمة الإسلامية التميز، وحتى يستعيد المسلمون وجودهم، ويستأنفوا مسيرتهم المظفرة، عليهم واجب الطاعة لله ورسوله ﷺ وأن يحكموا الله ورسوله فيما يشجر بينهم من قضايا، وجعل الحق سبحانه وتعالى من أدلة حب العباد لخالقهم جل وعلا هو اتباعهم لرسوله ﷺ الذي ختم به الحق سبحانه وتعالى موكب الرسل الكرام، وختم بدعوته المباركة ركب الرسالات السماوية.

يقول الحق سبحانه وتعالى في هذا السياق: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

الطريق إلى حب الله تعالى ومغفرته هو اتباع الرسول الذي جاء بالبلاغ عن ربه، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليرتقي بالإنسان إلى

(١) سورة آل عمران الآية ٣١، ٣٢.

أعلى درجات الرقي البشري، جاء لينشر العدل والرحمة والمساواة والإنصاف، جاء ليرفع راية الحرية، ويعيد للعقل اعتباره، وللإنسانية مكانتها اللائقة بها.

جاء بالحياة في أسمى معانيها، وأكمل صورها، ألم يقل ربه تعالى في محكم تنزيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

إن دعوة الرسول الكريم ﷺ فيها حياة لهذه الأمة ولقد تحقق لها ذلك في قرون الإسلام الأولى فلما تخلت عن هذه الدعوة ردت أسفل سافلين ولن تعود مرة أخرى كما كانت أمة رائدة قائدة ما لم تعد إلى كتاب ربها وسنة نبيها «ولن يصلح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها».

(١) سورة الأنفال الآية ٢٤، ٢٥.

هل كان عُمر مستبدًّا؟!(*)

يقول الكاتب هادي العلوي مؤلف كتاب " في الدين والتراث " بعد أن يؤكد أن الاستبداد والبيروقراطية وجهان لعملة واحدة، يقول: " لدينا ما يدل على أن جذور البيروقراطية نبتت في العهد الراشدي، وعلى وجه التحديد في خلافة عمر، وقد وصف عمر نفسه فإنه كان شديدًا مهيبًا وكان الناس إذا أرادوا أن يكلموه في حاجة وسطوا عبدالرحمٰن بن عوف لاختصاصه به "(١).

وقفت طويلًا أمام هذه الجملة، وأخذت أقلبها لأحاول أن أجد تفسيرًا لها غير الذي فهمته ولكن دون جدوى، فالكلام واضح ولا توجد مجرد شبهة تصرفه إلى معنى آخر، فهو يقول وبعبارة صريحة وواضحة: إن جذور البيروقراطية التي هي الوجه الآخر للاستبداد نبتت في عهد الخلفاء الراشدين، بل هي بدأت بالتحديد في عهد عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني الذي وصفه رسول الله ﷺ بـ «الفاروق» وكان في عدله ورحمته ولينه مضربًا للمثل في التاريخ الإسلامي، كما قال المفكر الإسلامي الأستاذ خالد محمد خالد في كتابة «بين يدي عمر» وذلك ردًّا على قارئ أرسل إليه يسأله بدهشة: بأنه لا يستطيع ـ أي القارئ ـ أن يفهم كيف يوفق الأستاذ خالد بين إيمانه المطلق بالديمقراطية وكتابته عن العادل المستبد عمر بن الخطاب.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٢٢/٨/٧م

(١) في الدين والتراث/ هادي العلوي/ ص٤٤.

فقال له الأستاذ خالد محمد خالد: «إنه لو اجتمعت جميع المتناقضات في الدنيا، ما اجتمع العدل والاستبداد في رجل واحد».

نعم إن العهد الذي يرتفع فيه صوت المعارضين والمنتقدين عاليًا واضحًا كيف يسمى بعهد الاستبداد ".

والحاكم الذي يقول: رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي، كيف يوصف بأنه مستبد؟.

والخليفة الذي يطلب من الناس توجيه النقد إليه صراحة إذا وجدوا فيه تقصيرًا أو انحرافًا، فيقول لهم: لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها، ويقف يومًا خطيبًا في المسجد ويقول للناس: ماذا لو رأيتم في اعوجاجًا؟ فقام رجل وقال له: نقومك بحد سيوفنا! فقال: الحمد لله الذي أخرج في أمة محمد من يقوّم اعوجاج عمر بحد السيف.

خليفة هذا شأنه مع المخالفين والمنتقدين كيف يفكر مجرد تفكير كاتب أو ناقد أن يصفه بالاستبداد، أو يصف عهده بأنه كان فاتحة للاستبداد. إن التطرف في هذا الرأي، والانحياز لفكر معين يؤمن به الكاتب واضح بيِّن.. فشهرة عمر في العدل وفي الرحمة والرفق برعيته لا تعدلها شهرة، وأنباؤه التي ملأت الدنيا، وأخباره التي ازدحم بها سجل التاريخ لخير شاهد على دحض هذه الفرية، ورد تلك التهمة، فلم يكن عمر بن الخطاب الفاروق في يوم من أيامه في الإسلام مستبدًا أو بيروقراطيًا، بل كان عادلًا رحيمًا رفيقًا، فعمر هو الذي يبكي لبكاء أطفال جوعى، وعمر هو الذي يحمل فوق كتفه المؤونة لإطعام أولئك الأطفال الجياع، وهو الذي يطبخ لهم، ثم يضع الطعام بين أيديهم ثم ينتظر حتى يأكلوا ويضحكوا كما كانوا يبكون، وعمر هو الذي أخذ معه زوجته أم كلثوم ابنة الإمام علي كرم الله وجهه و ﷺ ليقوما معًا برعاية امرأة من المسلمين جاءها المخاض فكانت هي تطببها. وكان هو يعد لها الطعام.

إن تاريخ عمر بن الخطاب مع العدل والرحمة والرفق برعيته لتاريخ طويل، ولو حاولنا أن نسرد شيئًا من أخباره لاحتجنا إلى صفحات

وصفحات، ولكن بإمكان الكاتب ومن يؤمن بدعواه أن يرجع إلى كتب التاريخ، وإلى سيرة المصطفى ﷺ ليعرف شيئًا من أخبار عمر ومن عظمة عمر..

إن العدل إذا ذكر، ذكر الفاروق كما يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وإذا أردتم أن يحلو المجلس فأفيضوا في ذكر عمر كما تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، ولقد قال الإمام علي كرم الله وجهه عن عمر يوم أن قتل: «والله ليس أحب إليَّ إلا أن ألقى الله بصحيفة هذا الرجل».

إن الرجال الذين رباهم رسول الله ﷺ بلغوا منزلة في العدل والرحمة والرفق بالرعية لا يمكن أن يماري فيها إلا إنسان جعل ولاءه للمذهب وللفكر الذي يؤمن به فوق ولائه للعقيدة.

إن الإسلام جاء حربًا على الاستبداد في أية صورة من صوره، وهاهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ينفي العصمة عن نفسه، ويؤكد للناس بأنه واحد منهم وليس بخيرهم يقول: أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ".

هؤلاء هم رجالات الإسلام، وهؤلاء هم خلفاء الرسول ﷺ الراشدون الذين يتيه الزمان بأخبارهم، ويشرف بذكر أنبائهم..

في تركيا الإسلام يعود من جديد(*)

سبعون سنة مرت على التجربة العلمانية في تركيا المسلمة.. سبعين عامًا قضتها تركيا بعيدًا عن الإسلام.. حاول الكماليون ـ نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك ـ الانسلاخ عن الإسلام، واللحاق بالغرب، فما استطاعوا أن يحققوا واحدة من الاثنتين.. إن التظاهرة العظيمة التي احتشد فيها قرابة مائة ألف مسلم تركي في مدينة قونية عام ١٩٨٠م بزعامة نجم الدين أربكان، وبعد مرور سبعين عامًا على التجربة العلمانية لتؤكد بما لا يدع مجالًا لأدنى شك إن سلخ تركيا بلد الخلافة الإسلامية عن إسلامها أمر يفوق المستحيل، وأن من يفكر مجرد تفكير في تحويل تركيا المسلمة إلى تركيا العلمانية فإن أقل ما يقال عنه: إنه إنسان مختل العقل، فاقد الإدراك، ولم يستفد أبدًا من تجارب التاريخ، ولم يع حقائق الواقع الإسلامي، ولم يعرف أبدًا قوة الإسلام الذاتية، وقدرته اللامحدودة في النفوس والضمائر. الهدف الثاني الذي حاول الكماليون العلمانيون إدراكه فأخفقوا هو اللحاق بالغرب حضارة وتقدمًا فكانت النتيجة المرة كالعلقم أن تركيا تراوح في مكانها محلك سر! بل إنها صارت أكثر تأخرًا)، فقد كانت وهي دولة الخلافة الإسلامية مرهوبة الجانب، ويخطب الجميع ودها، كانت عزيزة قوية حتى في لحظاتها الأخيرة، ولما فكت ارتباطها بالإسلام في المؤامرة الاستعمارية التي دبرت بليل، بدأ العد التنازلي لمكانة تركيا، وبدأت تلحق بركب الدول المتخلفة التي تمد يدها تطلب الصدقة المغموسة بالذل والعار، ولم يزد عن ان تكون

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٩/٥/٢٦م.

قاعدة لحلف الأطلسي تستفيد منها دول الحلف في تحقيق أهدافها الاستراتيجية تجاه المعسكر الشيوعي.

إن تركيا لن تستعيد احترامها وهيبتها إلا في ظل الإسلام، ولن تكون عزيزة قوية إلا وهي تستمد العزة والقوة من الله تعالى العزيز القوي..

إن على تركيا أن تعلم أن الغرب لا يريد أن تكون تركيا منه، بل يريدها ذليلة تابعة، واستمعوا إلى أحد مفكري الغرب وهو يفضح نوايا الغرب تجاه تركيا وكل بلد يهجر تعاليم إسلامه ليبحث في مزابل القوانين الفاسدة العفنة عن لقمة ملوثة يسد بها رمقه، ويقيم بها أوده.. يقول المفكر العربي تويني: من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم المتحمس الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من عَلٍ على أننا زنادقة.. حاولنا أن نحط من كبريائه إلى أن استطعنا أخيرًا أن نحطم سلامه النفسي وحرضناه على القيام بهذه الثورة (أي انقلاب أتاتورك على الخلافة الإسلامية) التي استهلكته الآن أمام أعيننا، والآن بعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلًا لنا وللشعوب الغربية.. «الآن نحس بالضيق والحرج ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق عليه..»[1].

هذا هو الغرب الذي خدع تركيا وجعلها تسير وراءه مغمضة العينين حتى إذا نال مآربه منها رماها كالجيفة القذرة فرحًا مسرورًا بما حققه في دولة مسلمة..

(١) مجلة " المجتمع " الكويتية العدد (٩١٦).

نجم الدين أربكان وديمقراطية العسكر!!(*)

فاز حزب الرفاه الإسلامي بقيادة زعيمه نجم الدين أربكان في الانتخابات الأخيرة وصار مؤهلًا لتشكيل حكومة ائتلافية مع أحد الأحزاب الرئيسة، وفي نجاح الحزب الإسلامي دلالات عميقة في مقدمتها وعلى رأسها أن كل الجهود التي بذلها كمال أتاتورك وحاول فيها جاهدًا أن يفصل تركيا عن جسد الأمة الإسلامية باءت بالفشل والخسران، وهاهي تركيا تعود مرة أخرى إلى رحاب الإسلام، وها هي المرأة التركية تعود إلى دينها، وها هو الوجه الإسلامي الذي كانت تحملة تركيا أيام الخلافة الإسلامية يعود مرة أخرى ليؤكد على أن الإسلام حينما جاء تركيا إنما جاء ليبقى وينتصر، وأن كل محاولة لصده وتعويق مسيرته ـ مهما عظمت ـ فإنها لن تنال منه، ولن تحقق إلا مزيدًا من الفشل والخسران المبين.. انتصر أربكان على خصومه ليس لأنه نادى بالإسلام شعارًا لحملته الانتخابية فحسب، بل لأنه أنزل الإسلام إلى واقع الناس فأوجد حلولًا كثيرة للمشاكل التي يعاني منها الناس، ولكن هل يستطيع نجم الدين أربكان ـ الذي ضرب بصبره وسعة صدره المثل لكثير من الزعماء ـ أن يحقق كل ما يتمناه ويطمح إليه؟

قد يقول قائل «ولماذا لا يستطيع تحقيق ذلك، وهو الآن على رأس الحكومة التركية بعد أن كافح طويلًا وصبر وصابر حتى تحقق حلمه في فوز حزبه من خلال القنوات الديمقراطية التي أقر بها، وعمل وفق مناهجها، ولكن هل ترضى به الديمقراطية، وهل تتيح له الفرصة ليحقق كل ما يتمناه

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٦/٨/٢م.

لصالح الشعب التركي المسلم، أم أن الطريق مايزال في بدايته، وأنه تنتظره عوائق ومصاعب جمة، لن تدعه ينجز ما وعد به الناخبين الذين بادروا إلى صناديق الاقتراع ليختاروه زعيمًا إسلاميًا يعيد إلى تركيا وجهها الإسلامي المشرق؟

أسئلة كثيرة يواجه بها نجم الدين أربكان ونسأل الله تعالى له العون والمدد ليستطيع الإجابة عليها عمليًا من خلال ما ينجزه في مجال الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية.

إننا لن نتفاءل كثيرًا ونحمل نجم الدين أربكان فوق طاقته، فوصوله إلى رئاسة الحكومة لا يعني أن الإسلام عاد إلى تركيا شامخًا حاكمًا ومنظمًا لحياة الملايين من الأتراك المسلمين الذين طالت غربتهم، وتحملوا الكثير من أجل التمسك بدينهم بسبب الحقبة الكمالية التي حاربت الإسلام وعزلت تركيا (الخلافة) عن محيطها الإسلامي ما يزيد على السبعين عامًا ذاق فيها الشعب التركي صنوفًا من الذل والقهر على يد كمال أتاتورك، لقد ظن أتاتورك أنه بمجرد أن يطيح بالخلافة الإسلامية، ويقدمها قربانًا لأسياده من دول الغرب، فإنه بذلك صار منهم أوربيًا ولكن الذي حصل غير ما توقعه أتاتورك، لقد ظلت تركيا مكروهة من قبل الغرب وتعامل كدخيل على عالم الغرب، وعندما يكون النزاع بين تركيا واليونان، فإن الغرب ينحاز إلى اليونان باعتبارها بلدًا غربيًا.

ما فعله أتاتورك بالخلافة الإسلامية، وما ورط فيه تركيا من معاهدات وتعهدات جعل الخروج منها أمرًا بالغ الصعوبة، وهاهم الكماليون الجدد يدخلون تركيا (الإسلامية) في اتفاقية عسكرية مع إسرائيل موجهة ضد العرب وضد قضيتهم التي هي قضية إسلامية بالدرجة الأولى.

صحيح أن نجم الدين أربكان، زعيم حزب الرفاه الإسلامي وصل إلى رئاسة الحكومة بالديمقراطية، ولكنها ديمقراطية غير كاملة لأن الجيش الأتاتوركي بيده أن يلغي نتيجة هذه الانتخابات إذا أراد، بل هو قادر على أن يأمر تانسو تشيلر بالانسحاب من الائتلاف فتسقط الحكومة.

إذن فالنظام في تركيا ليس ديمقراطيًا بل هو عسكري علماني، والجيش له الكلمة الأخيرة والفاصلة في نوع الحكم الذي تتبناه أية حكومة تتسلم السلطة.. هناك معاهدات ومواثيق دولية ترتبط بها تركيا ولن يسمح الجيش بأن تتنصل منها أية حكومة تصل إلى السلطة، وإذا حاول أربكان أن يفعل ذلك فإن الجيش لن يقف مكتوف اليدين بل سوف يقوم بإسقاط الحكومة إما بانقلاب عسكري وإما بالإيعاز إلى تانسو تشيلر رئيسة حزب الطريق القويم بأن تنسحب من الائتلاف الحكومي فتسقط الحكومة سلميًا.

أمام نجم الدين أربكان فرصة ذهبية في مجال الإصلاحات الداخلية كالتي بدأها في البلديات وكانت السبب في فوز حزبه على منافسيه وتحقيق أكبر نسبة أصوات لصالحه مما جعله الحزب الأول في تاريخ جمهورية أتاتورك[1].

إن الشعب التركي ليتطلع في أمل وتفاؤل إلى حزب الرفاه الإسلامي وإلى زعيمه نجم الدين أربكان ويتمنى أن يتمكن من حل مشاكله الكثيرة التي يواجهها وأهم هذه المشاكل:

١ المشلكة الكردية جنوب شرق البلاد.

٢ ـ هيكلة الدولة والاقتصاد.

٣ ـ الاستمرار في الانتماء إلى اتفاقية الجمارك الأوروبية وممارسة كافة الفعاليات المتعلقة بها وفق المصالح الوطنية التركية مع تقوية صلاتها بالعالم الإسلامي[2].

ما يواجهه نجم الدين أربكان في الأشهر القليلة القادمة خاصة مع وقوف الجيش متحفزًا لأي انتهاك للإنجازات الأتاتوركية العلمانية، في ظل هذه الظروف وهي تحكم الجيش في الحكومة يصبح امتحانًا عسيرًا لصلابة أربكان ولقدرته على المقاومة وإلا لن يكون مصير ائتلافه بأفضل من

---

(١) مجلة الوسط/ ص ٣٠/ ٢٩ صفر ١٤١٧ هـ.

(٢) مجلة المجلة/ ص ٢١/ ٢١ يوليو ١٩٩٦م.

الائتلاف الذي سبقه. ولكن تظل هناك حقائق وراء انتصار أربكان وحزبه على الزعماء والأحزاب الأخرى من هذه الحقائق:

* إن الشعب التركي وفيٌّ لإسلامه وإنه مهما حاول أعداء الإسلام من علمانيين ومتغربين أن يبعدوه عنه فإنهم لن يقدروا على ذلك.

* إن المستقبل في تركيا للإسلام، وإن المنهج العلماني الذي ظل يحكم تركيا ما يزيد على سبعين عامًا ـ ولا يزال فلوله تحاول التشبث بالحياة ـ قد أثبت فشله في حل مشاكل تركيا الكثيرة، كما أثبت فشله في جعل تركيا (الإسلامية) دولة أوروبية.

* إن الحلول الإسلامية للمشاكل التي تعاني منها تركيا هي الحلول الناجعة.

* إن الإسلاميين إذا أعطوا نفس الفرصة التي يتمتع بها باقي الأحزاب والتوجهات فإنهم لا يقلون عن هذه الأحزاب كفاءة وفهمًا لمتطلبات الديمقراطية وشئون الحكم.

الفصل الثاني
العلمانيون.. إلى أين؟

* العلمانية ضد العلمانية.
* العلمانية.. والوهم.
* مناقشة هادئة جدًا..
* وماذا عن تطرف العلمانيين؟
* الدعوة إلى علمنة التاريخ الإسلامي!
* لا علمانية في الإسلام.
* وقفتان.. مع دعاة التنوير.
* من هنا.. ننتهي!
* المثقفون: بين الرأي والعقيدة.
* تضليل النخبة!!
* النخبة المتخاذلة.
* الحاقدون.
* الدكتور صادق جلال العظم واختلاط المفاهيم.
* مأساة إبليس أم مأساة العظم؟!
* سلامة موسى والحجاب.
* أمية الرسول.. بين الكتاب والسنة.
* الرصافي وشبهات حول الرسول.

العلمانية ضد العلمانية(*)

رغم الدعوة المغالية في تقليد الغرب حذو النعل بالنعل، وهذا أمر نهى عنه رسول الله ﷺ وحذر المسلمين من الوقوع فيه، لأنه بمثابة كتابة شهادة وفاة للأمة، وذهاب ريحها وعزها، يقول ﷺ: «لتركبن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدكم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه»(١).

ومنذ أن نقضت عروة الحكم، والمسلمون أو بعبارة أصح القائمون على شئون المسلمين من الساسة وولاة الأمر يستوردون الأنظمة والقوانين من الغرب تارة ومن الشرق الشيوعي أخرى ظانين أنهم وحدهم الذين يمكلون الحق والسداد نظرًا لتقدمهم في المجالات العملية، وما حققوه في مجال الإبداع والاختراع وفات هؤلاء النفر من المسلمين الذين آلت إليهم مقاليد شعوبهم أن التفوق الغربي الأوروبي في مجال الصناعة والابتكار سببه أنهم أخذوا بسنن الله تعالى في الحياة، وأمعنوا النظر والتدبر واستطاعوا بكل ذلك أن يتقدموا بشعوبهم ويحققوا ما حققوا من إنجازات علمية ومعرفية وصناعية كبيرة مع فساد عقائدهم وتصوراتهم عن الحياة والأحياء لأنهم لا يصدرون عن عقيدة صحيحة في الكون والحياة.

ومن المذاهب والنظم التي استوردها المسلمون من الغرب مذهب

(*) أخبار الخليج (البحرين).

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين/ لأبي الفضل عبدالله بن محمد بن الصديق الحسني/ ص ٤٥٩.

«العلمانية» التي هي في الحقيقة فصل الدولة عن الكنيسة، ولجأ السياسيون الغربيون إلى هذا المذهب بعد أن استشرى شر الكنيسة ورجالها، وساموا العلماء وأهل الرأي والفكر سوء العذاب، ووقفوا حجر عثرة في طريق التقدم الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بالإبداع والابتكار الذي هو في الغالب يخالف توجيهات الكنيسة ورجالها، لهذا وجد أهل السياسة والحكم في الغرب أن عليهم واجبًا تجاه شعوبهم وهذا الواجب يدعوهم إلى محاربة الكنيسة ورجالها ووقف تدخلهم في شئون الحكم والعلم والإبداع، فنادوا بالعلمانية، وهي فصل الدولة والحكم عن الكنيسة.

والعلمانية في الغرب تعطي الإنسان الحرية الكاملة في أن يعتقد ما يشاء وأن يعبد ما يشاء، وان يمارس حياته بعيدًا عن تسلط الكنيسة ورجالها، وكالعادة المسلمين الذين وهنت علاقتهم بكتاب ربهم استوردوا هذه البدعة الغربية التي هي حسنة عندهم، ولكن حين استوردناها حكمناها في إسلامنا العظيم وفات هؤلاء المستوردون من المسلمين أو المتمسلمين أن الإسلام غير المسيحية، وأن في الإسلام لا يوجد كنيسة ولا رجال دين يتحكمون في مصائر الناس. ويقفون حجر عثرة في سبيل العلم والعلماء، وغني عن القول: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي بدأ وحيه المبارك بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

وحتى حين يجبر المسلمون على تطبيق شرع غير شرع الله تعالى، ويلزمون بقوة القانون على الانصياع لنظم مستوردة من الغرب أو الشرق حتى حين يجبرون على هذا فلا تطبق هذه القوانين كما تطبق في البلاد التي استوردت منها، فالعلمانية مثلًا في بلادنا تتدخل في شئون المسلمين الدينية رغم أن من مبادئها عدم التدخل في تدين المتدينين، وها هو المثال العلماني الصارخ في تركيا وهي أكثر الدول الإسلامية تطبيقًا للعلمانية لكنها تشكل هذا المذهب تشكيلًا يتناسب مع أطماع السياسيين والعسكريين الذين قفزوا

(١) سورة العلق الآيات ١ ـ ٥.

على كراسي الحكم بغير إرادة المحكومين، وها هي العلمانية التركية إذا جاز التعبير تسجل كل يوم تراجعًا عن مبادئها وتسجل كل لحظة أن العلمانية هي ضد العلمانية، ونعني بالأولى العلمانية التركية ونعني بالثانية العلمانية الغربية، ولنستمع إلى السياسي المحنك والمجاهد الإسلامي نجم الدين أربكان الذي ذاق حزبه الإسلامي «حزب الرفاه» الأمرَّين من تدخل العلمانية «التركية» في شئون المسلمين الدينية، ومصادرة حق المسلمين في أن يعبدوا الله تعالى في حرية ودون خوف، يقول أربكان عن عداء العلمانية للإسلام: «تحت اسم العلمانية يمارس النظام القمعي العداوة للإسلام»[١]. ويقول نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه الإسلامي: «كل واحد (في الغرب) يملك الحرية الدينية. ولا أحد يستخدم الإكراه والعنف لإجبار الآخرين على قبول اعتقاده»[٢].

لهذا يطالب أربكان «بإلغاء كلمة علمانية من الدستور التركي، لأن هذه الكلمة غير التركية، لا تؤدي المعنى المراد به حقيقة من العلمانية»[٣].

ويورد نجم الدين أربكان في المؤتمر الرابع لحزب الرفاه في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٣م بعضًا من الممارسات المخالفة للعلمانية:

- عدم منح جواز سفر للمرأة المحجبة.
- وضع عراقيل أمام من يريد أداء فريضة الحج[٤]. وبعد، ألا تتفقون معي على أن العلمانية أصبحت ضد العلمانية على الأقل في بلد مثل تركيا حكمت فيها العلمانية ما يزيد على السبعين عامًا ولا تزال تتحكم في مصائر المسلمين هناك؟

(١) كتاب (قبعة وعمامة مدخل إلى الحركات الإسلامية في تركيا/ محمد نور الدين/ ص ٦١).

(٢) نفس المصدر ص ٦١.

(٣) نفس المصدر ص ٦١.

(٤) نفس المصدر ص ٦١.

العلمانية.. والوهم(*)

نقطة الضعف في النخبة التي تتصدى لتمثيل الفكر العربي هي أنهم يجهلون الإسلام، وحين تسمعهم يتحدثون عنه تشعر أنهم يتحدثون عن دين آخر غير الإسلام قد يكون المسيحية أو اليهودية، لكنه بالتأكيد ليس الإسلام، فهم يطرحون قضية العلمانية على أساس أنها المعادل الموضوعي للإسلام، وهذا منتهى الجهل الذي لا يمكن أن يوصف صاحبه بأنه مفكر أو يعد من زمرة المفكرين فضلًا عن أن يكون واحدًا من النخبة..

العلمانية شجرة نبتت في الغرب وسقيت بمائه، وتعهدها المفكرون الغربيون بالرعاية، ونزلوا بها سلاحًا بتارًا ضد تسلط الكنيسة ورجالها، وكان الانتصار الذي حققته العلمانية، انتصارًا طبيعيًا لأن الصراع كان بين العلم ممثلًا في رجال العلم والفكر وبين الجهل ممثلًا في رجال الكنيسة الذين حجروا على العقول أن تنطلق في آفاق الحياة لترتاد مجاهيلها، وتقدم الحلول لمشاكلها الكثيرة، كان الجهل المركب في رجال الكنيسة الذي كان يرى في العلم عدوًا خطيرًا للمسيحية كان هذا الجهل المركب هو الذي انهزم في الصراع الذي نشب مع العلمانية ولم تنهزم المسيحية كدين يستمد أصوله من الحق تبارك وتعالى.. إذن كان أمرًا عاديًا أن تنتصر العلمانية على الجهل الكنسي.. ولكن ما بال العلمانية والعلمانيين والإسلام.. ما علاقة الكنيسة ورجالها بالإسلام؟

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٩/٨/٤م.

هل كان الإسلام في يوم من الأيام عدوًا للعلم ولحملته؟!

هل تجنب القرآن الكريم والسنة المطهرة ذكر العلم ورجاله بالخير؟

هل واجه العلماء المسلمون ما واجهه العلماء والمفكرون الغربيون؟

ألم يحتف الغرب بعلماء الإسلام؟ ألم يعتمدوا على المؤلفات الإسلامية ويدرسوها في جامعاتهم قرونًا طويلة؟

ألم يبعث الغرب بأبنائه وبناته لتلقي العلوم والآداب والأخلاق على أيدي علماء الإسلام في الأندلس وبغداد والقاهرة وغيرها من الحواضر الإسلامية التي كانت كعبة القصاد لنهل العلوم والثقافة الإسلامية؟

إن العلمانية غربية المولد والنشأة وقضيتها مع الكنيسة ورجالها، أما الإسلام.. أما علماؤه فلا توجد قضية لها معهم، لأنه ومنذ فجر الإسلام كان العلم له المكانة الرفيعة، وكان العلماء لهم الدرجات العلا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

إن المفكرين العرب الذين يدينون بوعيهم الثقافي للغرب لم يحسنوا الانتقاء من الحضارة الغربية، بل هم لم يحاولوا الانتقاء بل نقلوا ما وقعت أيديهم عليه دون النظر إلى مدى ملاءمته لعقيدة الأمة. قرأ هؤلاء المفكرون تاريخ الصراع الفكري والعلمي بين الكنيسة ورجالها وبين رجال العلم، فأرادوا أن يكون لديهم نفس هذا الصراع، فافتعلوا صراعًا وهميًا بين الإسلام وبينهم، وأخذوا يشحذون أسلحتهم وهي عين الأسلحة التي استخدمها المفكرون الغربيون، ونزل المفكرون العرب إلى ساحة القتال التي توهموها وصاروا يحاربون بسيوفهم الخشبية ولكن كانوا يحاربون الوهم، لأن الإسلام ليس له قضية مع العلم، وليس بينه وبين العلم عداوة أو صدود، بل تربطهما ألفة ومحبة ومودة، ومن يقول غير هذا فعليه أن يرجع إلى نصوص الكتاب والسنة ليجد كيف اهتم الإسلام بالعلم والعلماء.

(١) سورة المجادلة الآية ١١.

مناقشة هادئة جدًا..(*)

يصر أنصار العلمانية (بفتح العين) والسائرون خلفها حذو النعل بالنعل على فصل الدين عن نظام الحياة، ويعنينا هنا الإسلام باعتبارنا مؤمنين بدين خاتم شامل، لم يترك شاردة ولا واردة من أمور الحياة إلا وضع لها التشريعات وقدم لمعضلاتها الحلول.

المسلمون الذين لا يعرفون مشرعًا غير الله تعالى يقفون على طرفي نقيض مع أنصار العلمانية المنادين بإبعاد الإسلام عن حركة الحياة، ويجعلون دوره مقتصرًا على العبادات في المساجد.

ونرى واجبًا علينا كمسلمين ألا ندع أصحاب هذا الاتجاه ينفردون بالساحة الثقافية، ويدسون أفكارهم فيما يقدمونه للناس من ثقافة فيختلط الأمر على كثير من الناس ويظنون ألا تعارض بين الإسلام والعلمانية خاصة عندما يقدمها هؤلاء المفكرون والكتاب على أساس أنها تعني استخدام العلم في أمور الحياة وكلنا لا ننكر دور العلم في حياتنا وهنا مكمن الخطورة.

فكون العلم قاسمًا مشتركًا في حياتنا لا يعني أننا نطرد الدين من هذه الحياة، ونرد كل حلوله لمشاكلنا، ونقصر دوره على المساجد ودور العبادة، فهذا أمر بالغ الخطورة وينذر بزوال ريح المسلمين وتحولهم إلى أتباع بعد أن كانوا روادًا مبدعين.

ونحن هنا بصدد إجراء مناقشة هادئة جدًا مع أصحاب فصل الدين عن

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٩/٥/٢١م.

حركة الحياة.. هم يحتجون بأن لفظ " الحكم " الذي ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرة يقصد به " القضاء " وليس إدارة شئون الدولة، أي ليس له معنى سياسي يوحي بمشاركة الإسلام في إدارة شئون الناس، من سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية وعلاقات دولية.

ونقول لهؤلاء: إن القضاء هو إحدى السلطات الثلاث التي تقوم عليها الدولة، وهو الحكم العدل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، وهو الرقيب على التزام السلطة التشريعية في سلامة تشريعاتها من أية مخالفة للإسلام عقيدة وتشريعًا وعبادات ومعاملات وأيضًا هو رقيب على السلطة التنفيذية في التزامها بما يشرع لها من أحكام وقوانين.

وهذا يعني أنه لا قيام ولا وظيفة للسلطة القضائية من دون قيام السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، وفي وجود هذه السلطات الثلاث توجد الدولة هذه واحدة، والثانية إن التقاء الرجل بالمرأة لتكوين الأسرة، وهي الخلية الأولى واللبنة الأساسية لقيام الدولة لا يتم إلا بناء على إرشادات الإسلام وتوجيهاته/ وإن الدين وحده هو الاساس المشترك الذي يتم به وعليه لقاء الرجل بالمرأة، يقول عليه الصلاة والسلام لأولياء الفتاة: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1].

وقال للشباب وهم مقبلون على الزواج: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك»[2].

والوحدة التي تنشدها الأمم والشعوب لها في الإسلام أساس مكين، فالحق سبحانه وتعالى يدعو المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله المتين وهو «القرآن الكريم» وما يضمه من منهج تشريعي قويم، فيقول تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً

(١) حديث رواه الإمامان الترمذي وأحمد.

(٢) حديث متفق عليه.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

هذا في السلم، وأما في الحرب فقد دعاهم ليكونوا صفًا واحدًا متراصًا حتى لا يجد عدوهم ثغرة فيخترقها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[2].

وبين السلم والحرب حياة طويلة وشئون كثيرة لم يتخلف الإسلام عن رعايتها ووضع الحلول الشافية لها، فعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الأبناء بالآباء تقوم على مراقبة الله تعالى، وعلاقة الرجل بأخيه وجاره مبنية على الدين وتوجيهاته، والعلاقة مع الخدم ومن يقومون بشئوننا أمر لا يغفله الدين ولا يدعه للأهواء تسيره كيف تشاء، بل جعلها علاقة قائمة على الرحمة والمودة والتعاطف.

بل إن علاقة المسلمين بأعدائهم سواء المسالمين منهم أو المحاربين لهم وضع لها الإسلام الأسس العادلة المنصفة، فقال تعالى في الفئة الأولى التي عاهدت المسلمين وحافظت على عهودها معهم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[3].

أما الفئة الثانية المعادية للمسلمين المظاهرة لأعدائهم، فيقول تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[4].

هذه حجتنا من القرآن والسنة على أن الإسلام دين ودولة، دنيا وآخرة أما واقع المسلمين وما قام به رسول الله، ﷺ في المدينة من إقامة الدولة،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.
(٢) سورة الصف الآية ٤.
(٣) سورة الممتحنة الآية ٨.
(٤) سورة الممتحنة الآية ٩.

والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكتابة العهود مع من بقي على دينه من اليهود والرسل والبعوث الذين أرسلهم لدعوة الأمم إلى الإسلام، وتجهيزه للجيوش وقيادته لها وتوليته الولاة على الأمصار ومحاسيتهم حسابًا عسيرًا على تفريطهم أو إفراطهم، ومراقبته ﷺ للمسلمين في أسواقهم وإيجاد الحلول لما يواجهونه من مشاكل وقضايا وتنظيم العلاقات الداخلية بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة وبينهم وبين الأمم والشعوب الأخرى خارج دائرة الدولة الإسلامية وإقامة الحدود على المخالفين لمنهج الإسلام ولأحكام الشريعة الإسلامية.

هذا الواقع التاريخي هو حجتنا الثانية التي نرد بها على دعاة فصل الدين عن الدولة، وإقصاء الإسلام عن المشاركة الفعالة في حل مشاكل المسلمين وإقامة دولتهم وصيانة حقوقهم.. إنها مناقشة هادئة جدًا لا تشنج فيها ولا تنابز بالألقاب بل طرح للنصوص وللواقع التاريخي على أن الإسلام ليس كهانة ولا تقوقع في الكهوف وإنما حياة مليئة بالعطاء والبذل والإنصاف..

.. وماذا عن تطرف العلمانيين؟(*)

«التطرف الديني».. عبارة يتستر خلفها المعارضون لعودة الإسلام واستئناف مسيرته المباركة في إدارة شئون المسلمين، فهم يرمون المسلمين الداعين إلى إقامة دولة الإسلام بأنهم متطرفون يريدون أن يتحكموا في رقاب العباد باسم الدين، ويحاول هؤلاء العلمانيون ان يلبسوا عباءة الحياد والموضوعية فينفون عن الإسلام اعترافه بالحكومة الدينية على اعتبار إن في الإسلام لا توجد حكومة دينية كما هو الحال في المسيحية، ولم يقل أحد من المسلمين الداعين إلى إقامة دولة الإسلام أنه يريدها دولة دينية، أو إن في الإسلام ما يشبه هذه الدولة سيئة السمعة..

نعم لم يقل أحد من المسلمين بهذا، ولكنها تهمة روج لها العلمانيون ثم نصبوا أنفسهم محامين يدافعون عن الإسلام، وكما قال الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه «الدولة في الإسلام» إنه لا يوجد في الإسلام دولة دينية، وأنه حتى في المراحل الحرجة التي يطغى فيها الحكام لم يدع أحد منهم أنه يحكم بأمر الله أو يستمد القداسة من قداسة الإسلام(١)..

تهمة ليس للإسلام علاقة بها ودعوى لم يدعيها المسلمون المنادون بتطبيق الإسلام في حياتهم.. وأهمية شهادة الأستاذ خالد محمد خالد تنبع من أنه كان من الداعين إلى فصل الإسلام عن الدولة في كتابه الأول «من

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩١/١/١١م.

(١) راجع كتاب " الدولة في الإسلام " للأستاذ خالد محمد خالد.

هنا نبدأ» ولكنه عندما استطاع أن يتخلص من آثار الغزو الفكري الذي وقع تحت سيطرته بإطلاعه على الفكر المسيحي وما قامت به الكنيسة تجاه رجال الفكر، فإنه عاد إلى أصالته الإسلامية، وأطلق العنان لعقله الراشد لكشف زيف هذه الدعوى الباطلة، فكانت له جولات وصولات في التاريخ الإسلامي استطاع بعدها أن ينقض دعوته القديمة ويحل محلها الحقيقة الأصيلة بأن الإسلام منهاج حياة كامل وأن الدولة في الإسلام كالهواء والماء وكما أنه لا يوجد في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف نصوص تدعو الإنسان إلى أن يتنفس فكذلك لا حاجة إلى نصوص تدعو إلى إقامة دولة لأنها من الأمور الفطرية التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش إلا في ظلها.

وإذا سألنا العلمانيين لماذا تخشون الإسلام؟ ولماذا لا تريدونه حاكمًا لحياتنا وحياتكم؟

هل تخشون من الاستبداد؟ إذًا فاعلموا أنه لا يوجد في الإسلام استبداد بل إن الإسلام حارب الاستبداد والمستبدين بل أنه شدد النكير حتى على من يمشي مع مستبد يعينه على استبداده وهو يعلم.

هل تخشون غياب تكافؤ الفرص إذن فاعلموا أن البشر لم يعرفوا مساواة وتكافؤ فرص كما عرفوهما في الإسلام، فقد أكد الإسلام في الكثير من نصوص القرآن والسنة على أن الناس خلقوا من آدم وآدم من تراب وأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1]. هل تخشون غياب الديموقراطية؟ إن في الإسلام الشورى التي هي أرقى من أي ديموقراطية.. هل تخافون أن يصل إلى الحكم من هو ليس بأهل له؟

فاعلموا أن الأصل في تولي أمور المسلمين يتم عن طريق البيعة الحرة بدون إكراه أو تزوير، وأنه بمقتضى هذه البيعة فإن الحاكم أو الرئيس أو

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

الأمير بقاؤه مرهون بالتزامه بالدستور والدستور في الدولة الإسلامية هو القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ فإن خالفهما نقضوا بيعته، وحق للمسلمين خلعه وتنصيب من هو أقدر منه وأكثر وفاء للإسلام، ولقد سار المسلمون في عهودهم الزاهرة على هذه القواعد الشرعية في اختيار الحاكم ومحاسبته، فلما انحرفوا عنها ابتلاهم الله تعالى برعاة سوء عاثوا في الأرض فسادًا وأكثروا في رعيتهم القتل والتعذيب.

إذا كانت هذه مخاوفكم فاعلموا أنها مخاوف لا تقوم على أي أساس واقرأوا التاريخ الإسلامي قراءة محايدة لتطمئن نفوسكم، ولتقر قلوبكم، واعلموا أن الإسلام الذي نريده ليس هو الذي رسمتم له صورة مشوهة في عقولكم بل هو الحق الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ والذي أقام دولة، وأبدع حضارة، وأنشأ تقدمًا متميزًا.. لن تجدوا الأمن والاطمئنان إلا في ظله، وفي رعايته..

الدعوة إلى علمنة التاريخ الإسلامي(*)

لا أدري لماذا يحاول البعض فصل الإسلام عن جميع حياتنا نحن المسلمين، وهذا البعض لا يحاول فصل الأديان الأخرى عن حياة أصحابها.

هم لا يريدون أن تكون للمسلمين حضارة إسلامية، ولا اقتصاد إسلامي ولا تقدم إسلامي، ولا تاريخ إسلامي هم يريدون أن يجردوا المسلمين من كل شيء ويعيدهم قبائل متناحرة تدور في فلك أمريكا أو روسيا أو بريطانيا، لماذا تضيق نفوسهم، وتصعد الدماء إلى رؤوسهم حينما يسمعون اسم الإسلام يأتي في أعقاب ألفاظ الحضارة والتاريخ والاقتصاد والدولة؟ ماذا صنع الإسلام فيهم حتى يعادوه كل هذا العداء، ولماذا الإسلام وحده الذي ينكرون رعايته للحضارة والتاريخ والدولة والاقتصاد، بينما لا ينكرون على أن يكون للمسيحيين واليهود حضارة مسيحية ويهودية وتاريخ مسيحي ويهودي، ودولة مسيحية ويهودية، بل إنه في كثير من البلاد الأوروبية أحزاب قامت على أساس الدين، وإسرائيل نفسها دولة دينية للديانة اليهودية المكان الرفيع فيها، ولرجال الدين عندهم الحظوة الأولى.. بينما هم لا يقبلون أن تقوم أحزاب إسلامية في بلاد المسلمين.. لماذا ينقمون على الإسلام مع أن الإسلام أعزهم بعد ذل، وشرفهم بعد خزي، وجعلهم خير الأمم؟

إن الجواب الوحيد على جميع هذه الاسئلة هو أن هؤلاء البعض

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩١/٤/٢٦م.

يدينون بالولاء لأعداء الإسلام، ويرون في هؤلاء الأعداء بأنهم أصحاب فضل على البشرية. ولهذا فلابد أن يدينوا لهم بالولاء حتى لو كان في ذلك تنكر لإسلامهم، بل ومعاداة له، هؤلاء البعض يخشون الالتزام بأعباء الإسلام إن هم أقروا للإسلام بالسيادة والقيادة هم يريدون أن ينطلقوا يعيثون في الأرض فسادًا والإسلام لا يقبل هذا، ويعاقب من تسول له نفسه الخروج على حدوده.

أنكروا أن للإسلام وجهة نظر في الحياة، وأنكروا أن يكون له نظام حكم، ونظام اقتصاد، ونظام تعليم، أنكروا أن يكون له أي رعاية لحياة المسلمين، وهم اليوم يحاولون أن يجردوا التاريخ من إسلامه، يقول الدكتور محمود إسماعيل في كتابه «فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية».

«وإذا كان لهذه الدعوات ـ يقصد الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ ـ من دلالة، فهي أن جمهرة المؤرخين العرب تعارك أزمة وأن التاريخ العربي لم يكتب بعد وإن ما هو مكتوب بحاجة إلى (العلمنة) أو إن شئت التحرر من إسار (الأدلجة)»[1].

والمؤلف الذي يدعو إلى علمنة التاريخ، وتحريره من إسار الأدلجة، يدعو في مكان آخر إلى مركسة التاريخ إذا جاز التعبير أي تفسيرالتاريخ تفسيرًا ماركسيًا[2]، فيقول: «ليس أمامنا إلا الإحاطة بإنجازات هؤلاء والدراية باجتهادات أولئك بهدف الوصول إلى قناعة الأخذ بالمنهج العلمي، والرؤية المادية للتاريخ ـ أي الماركسية ـ التي أسهم في صياغتها كل اولئك وتطبيق هذا المنهج وتلك الرؤية على تاريخنا من أجل علمنته وتنظيره».

حلال عليهم حرام علينا هذه هي حقيقة دعوتهم، هم لا يريدون الإسلام ولكن ليس لديهم أدنى مانع أن تكون الماركسية هي البديل، هم لا

---

(١) فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية/ للدكتور محمود إسماعيل/ ص ٩.

(٢) المصدر السابق/ ص ١٣.

يريدون أن يفسروا التاريخ تفسيرًا إسلاميًا لأن هذا أدلجة له، ولكنهم يفسرونه تفسيرًا ماركسيًا، ونسألهم أليست الماركسية أيدلوجية، وبهذا تكونون قد أدلجتم التاريخ أدلجة ماركسية.

هؤلاء البعض مع الأسف لا يتمتعون بشيء من الشجاعة، لماذا لا يقولون وبعبارة صريحة أنهم يقبلون بكل الديانات إلا الإسلام وأنهم لا يريدون الإسلام ولكنهم يريدون المسيحية واليهودية والماركسية والوثنية. هؤلاء البعض لا يتمتعون بنفس الشجاعة التي يتمتع بها الماركسيون أنفسهم، فهاهي روسيا بزعامة جورباتشوف بل هاهي أوروبا الشرقية جميعها تكفر بالماركسية، وتكشف زيفها وباطلها، ويقرون على الملأ أنهم كانوا مخطئين، وعلى ضلال، فروسيا اليوم في مجال التقدم الاقتصادي والتكنولوجي تعتبر من الدول المتخلفة قياسا على أمريكا وألمانيا، وهاهي روسيا تسعى لربط اقتصادها بالاقتصاد الرأسمالي، وتحاول لاهثة الحصول على معونات اقتصادية تدعم بها اقتصادها المنهار وتعيد الحياة إليه، وأما في مجال التقدم التكنولوجي فهي أقل تقدمًا من دول صغيرة فرضت نفسها على العالم..

لا عَلْمانية في الإسلام(*)

كثر الحديث والجدل حول مصطلح العلمانية، وهناك من يلفظه بالفتح أي «عَلمانية» وهناك من يلفظه بالكسر أي «عِلمانية»، الفريق الأول يعتمد في الفتح على أن المقصود باللفظ هو العالم، أو الدنيا، أما الفريق الثاني، فإنه يعتمد على الكسر على أن أصل المصطلح هو العلم وحسمًا لهذا النزاع الذي يوجد الشقاق والخلاف بين المتحاورين يجب الرجوع إلى أصل الكلمة ومنشئها والبيئة التي ترعرعت فيها.

يقول الدكتور محمد عمارة في كتابه القيم: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام (مصطلح العلمانية هو الترجمة التي شاعت. بمصر والمشرق العربي. للكلمة الإنجليزية SECULARISM. . . بمعنى الدنيوي.. والعالمي.. والواقعي. من الدنيا والعالم والواقع. المقابل «للمقدس» أي الديني الكهنوتي، النائب عن السماء، المحتكر لسلطتها، والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها، والذي قدس الدنيا قداسة الدين وثبت متغيراتها. العلمية والقانونية، والاجتماعية. ثبات الدين[1].

ويقول الدكتور عمارة أيضًا: «ولأن هذا هو معنى المصطلح في نشأته وملابساته الأوروبية. النزعة الدنيوية، والمذهب الواقعي في تدبير العالم من داخله وليس بشريعة من ورائه. فلقد كان قياس المصدر هو

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٧/١٢/٢٦م.

(١) الدكتور محمد عمارة/ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام/ ص ٢٣.

«العالمية» أو «العالمانية» لكن صورته غير القياسية «العلمانية» هي التي قدر لها الشيوع والانتشار»[1].

ويقول الأستاذ محمد كامل الخطيب في كتابه «المجتمع المدني والعلمنة» (من هنا كذلك ينبغي أن تكون علاقات العيش الإنساني. الاجتماعي في المجتمع المدني محكومة بنواظم العقل. العلم البشري حسبما تقوله العلمانية..»[2].

ويقول صاحب كتاب «المجتمع المدني والعلمنة» أيضًا:

«في مثل هذه الحال تكون الاعتقادات الإيمانية الأيديولوجية الفكرية شأنًا خاصًا من شئون الضمير الفردي وغير ملزمة للآخرين في علاقات العيش الاجتماعي ضمن مجتمع متعدد بالضرورة في اعتقاداته وآرائه الفكرية والإيمانية والاجتماعية والسياسية»[3].

إذن فالعَلمانية هي فصل الدين عن الحياة وعن معايش الإنسان وإن الدين والتدين والإيمان شأن خاص بالفرد ليس له علاقة بمعاملاته مع الآخرين وأن من أراد الدين فعليه بالمساجد ودور العبادة، أما حين يريد ممارسة حياته اليومية بكل تفاصيلها في بيته، وفي المدرسة وفي العمل وفي الشارع فعليه أن تكون مرجعيته فيما يأخذ وفيما يدع وفيما يتعاطاه من علاقات مع غيره، أن تكون مرجعيته في كل هذه التصرفات هي العلمانية التي تكف يد الإسلام عن أن تتدخل في شئون الناس، فالإسلام بهذه الكيفية نظام موضوع تحت الإقامة الجبرية، ومحرم عليه أن يخالط الناس ويقدم الحلول لمشاكلهم اليومية، وأريد أن أطرح على دعاة العلمانية بهذا المفهوم سؤالًا، وهو أن المسلم يردد في اليوم والليلة دعاء خاصًا للدخول في الصلاة بعد تكبيرة الإحرام وهو: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي

---

(١) المصدر السابق/ ص ٢٣.

(٢) المجتمع المدني والعلمنة/ محمد كامل الخطيب/ ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق/ ص ٢٦، ٢٧.

ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين» ومفهوم هذا الدعاء والاستفتاح به في كل صلاة هو إن الإنسان كله لله تعالى من يوم مولده وحتى وفاته، ولا شيء للنظم الوضعية التي تدعو إليها العلمانية، والسؤال: كيف يوفق المسلم بين هذا الولاء التام لمولاه ﷻ، وتجديد العهد في كل صلاة بأنه لن يكون عبدًا لأحد سواه سبحانه وتعالى، ولن يخضع في شئون حياته إلى تشريع غير تشريع الإسلام.. كيف يوفق المسلم بين كل هذا وبين ما يدعو إليه دعاة العلمانية؟ والسؤال يبدو شائكًا ومحيرًا، وعلى دعاة العلمانية أن يحاولوا إزالة هذه الحيرة والأشواك من طريق المسلمين لتستقيم خطاهم على الطريق وليهدأ الصراع والنزاع بين الفريقين: دعاة تحكيم شرع الله تعالى، ودعاة تحكيم العلمانية. إن أقصى ما يوصف به المخالف في التشريع العلماني بأنه مخطئ، أما في التشريع الإلهي فإنه يوصف بأنه عاص، ولقد يفلت المخطئ من العقوبة إذا أحكم التدبير ولم تطله يد القانون، أما العاصي فإن لم تطبق عليه العقوبة في الدنيا لأي سبب من الأسباب فإن العقوبة لا تسقط عنه فإنه يحملها معه إلى يوم القيامة، لهذا يحذر المسلم حين يفكر في المعصية إنها لن تسقط عنه وإن أفلت من العقوبة في الدنيا، فإنها سوف تلاحقه يوم القيامة، وسوف يقتص الله تعالى منه لخصمه على رؤوس الأشهاد بل إنه سوف يؤخذ من حسناته على قدر ما ارتكبه في حق أخيه من اعتداء فإذا لم تف حسناته بما عليه أخذ من سيئات خصمه وطرحت عليه ثم طرح في النار. وذلك هو الإفلاس الحق الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ.

إن الإسلام دين تدبير، ومطلوب من المسلم الذي يقبل على قراءة القرآن الكريم أن يتدبر معانيه لأنه نزل للعمل به، والتقيد بضوابطه الشرعية، فالمسلم لم يسم مسلمًا إلا لأنه خضع للإسلام ولشرائعه قلبًا وقالبًا، فهو لا يمتنع عن شرب الخمر لأن القانون الوضعي يعاقبه بل لا يعاقرها لأنها محرمة في دين الله تعالى وإنها من الكبائر التي ينهى عنها الإسلام.

ومعصية الزنا وإن كانت بعض القوانين الوضعية تتسامح فيها إذا كانت برضا من الطرفين، ولكن الزنا في الإسلام معصية كبيرة محرمة لذاتها، بل

إن الإسلام يحرم مقدماتها والأسباب التي تقود إليها والمسلم مأمور بأن يجتنب الزنا فضلًا عن الوقوع فيه.

وأكل الربا محرم لذاته لأنه فاحشة كبيرة ولا يتهاون الإسلام مع من أكل الربا حتى لو كان مصدره البنوك الأجنبية، فالإسلام لا يكيل بمكيالين، وحين يحرم الفعل يحرمه بجميع صوره بغض النظر عمن يقع عليه هذا الفعل المحرم، ولهذا دائمًا يخاطب القرآن في الأمور التكليفية المؤمنين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1]: (أي يا من دخلتم مع الله تعالى في عقد الإيمان): ..﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾[2] ..﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[3].. وهكذا.

إذن فالعلمانية (بالفتح) لا مقام لها في ديار الإسلام ولا محل لها من الإعراب في ألفاظ لغة القرآن وعلاقة المسلم مع الوجود كله قائمة على شريعة الإسلام، فلا يأتي من شئون حياته إلا ما أحله الله تعالى، ولا يدع من هذه الشئون إلا ما حرمه الله تعالى، وهناك باب واسع أسمه باب المباحات يدخل منه المسلم متى شاء وكيفما شاء وفيه سعة ومرونة ويسر يجعل حياة المسلم سوية لا تناقض فيها بين الأصالة الإسلامية والمعاصرة الحديثة.

(١) سورة البقرة الآية ١٧٨.
(٢) سورة البقرة الآية ١٧٨.
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٣.

وقفتان.. مع دعاة التنوير(*)

دعاة التنوير في بلادنا الإسلامية يزعمون أنهم حين يحاربون «الإسلام السياسي» فإنهم في الحقيقة يدافعون عن الإسلام من أن تلوثه ألاعيب السياسيين، وأن يستغل لأغراض جماعات تزعم أنها تملك وحدها الحقيقة، ونحن إذ نشكرهم على هذه الغيرة ـ إن كانت صادقة ـ إلا أن لنا معهم وقفتين نحاول أن نقترب من فكرهم، ونمد جسورًا بيننا وبينهم باعتبارنا مسلمين مثلهم ويشغلنا الهم الإسلام الذي يشغلهم.

الوقفة الأولى: هي تصحيح خطأ شائع لم يكن له وجود في تاريخ الإسلام، ولم يسبق لمفكري الإسلام أن طرحوه في ساحة الحوار بينهم وبين خصومهم. هذا الخطأ الشائع على ألسنة دعاة التنوير هو الوصف الذي ألحقوه بالإسلام بأن قالوا «الإسلام السياسي» ولا يصح أبدًا إطلاق هذا الوصف على الإسلام بينما يصح العكس، فالأولى أن يقولوا: السياسة الإسلامية. فالكل ـ كما هو معروف ـ لا ينسب إلى الجزء، ولكن الجزء هو الذي ينسب إلى الكل ـ فالإسلام كل لا يصح أن ننسبه إلى السياسة وهي جزء، لأن السياسة جانب من جوانب النشاط البشري، وهذا النشاط إما أن يكون إسلاميًا وإما أن يكون غير ذلك، وحين نصف السياسة بأنها إسلامية فنحن نخضعها لضوابط الإسلام، ولقيمه، ولكننا حين نصف الإسلام بأنه سياسي فإننا نجعله خاضعًا لقوانين السياسة وألاعيبها، فمن السياسة مثلاً أن

(*) أخبار الخليج (البحرين).

«الغاية تبرر الوسيلة» وهذا المبدأ مرفوض في الإسلام، ولا يصح أن يتبناه الساسة المسلمون، لأن هذا المبدأ يعني أنه إذا لم تتحقق الغاية إلا بوسائل غير شريفة فلا مانع من ذلك، إذ يكفي أن يكون أحد أطراف المعادلة شريفًا، بينما في الإسلام لابد وأن تكون جميع أطراف المعادلة شريفة، ولابد أن تكون الغاية شريفة والوسيلة كذلك شريفة.

وحين نلحق السياسة بالإسلام فإننا نريد لها الخير كل الخير، نريد لها أن تحظى برعاية الإسلام، وتتمتع بقيمه ومثله السامية، وتنعم ببركته وتوفيقه، ولا نريد للإسلام أن يفقد هذا كله حين تفسره قسرًا، فنلحقه بالسياسة المتقلبة، والمستبيحة لكل خلق سيئ، السالكة كل درب أعوج.

وإليكم مثلًا صارخًا لتلون السياسة، وانحراف توجهاتها، فهاهم أصحاب السياسة العالمية، الكبار الذين يوصفون بأنهم دول عظمى، هاهم يكيلون بمكيالين، ويزنون بميزانين، هاهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا تعرضت حياتهم أو مصالحهم للخطر، ولكنهم حين يتعرض غيرهم إلى نفس الخطر لا يحركون ساكنًا، انظر إليهم وهم يتسابقون إلى رفع شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة والحرية فلا يصلون إلى نهاية مضمار السباق حتى يتساقطوا على الدرب عند أول امتحان يتعرضون له.. لقد كشفت قضية فلسطين والظلم الذي وقع على أهلها عدم مصداقية الكبار، ولقد فضحت قضية مسلمي البوسنة والهرسك أكذوبة الديمقراطية وحقوق الإنسان التي يلوحون بها ويصدعون بها رؤوسنا صباح مساء.. ولقد انكشف المستور في قضية الصومال وتبين أن مشروع إعادة الأمل إلى الشعب الصومالي لم يكن سوى التسابق إلى الحصول على أكبر نصيب من الصالح. هذه هي السياسة التي نريد لها الخير حين نلحقها بالإسلام، أما أن نعزلها عن الإسلام فإن ذلك يعني أن تظل على انحرافها، وعدم التزامها بالقيم الكريمة.

أما الوقفة الثانية مع دعاة التنوير فهي: إنكم مع غيرتكم هذه التي تحاولون أن تحموا بها نقاء الإسلام من أن يتلوث إذا خالطته السياسة، فأنتم

مؤهلون إذن لترفعوا راية الإسلام الحق الذي تزعمون أنكم تعرفونه حق المعرفة، فلماذا لا تدعون إلى إقامة دولة إسلامية بالمفهوم الذي تعتقدونه، وتفوتون على دعاة «الإسلام السياسي» الفرصة، وتفضحون تسترهم بالإسلام ـ كما تقولون ـ، من المنطق أن تقدموا البديل للإسلام السياسي الذي تنكرون بالإسلام الحق الذي تزعمون أنكم تعرفونه حق المعرفة، أما أن تقدموا البديل علمانية تمزق نسيج الأمة، وتحرمها من بركة دينها وسداد رأيه، ورشاد هدايته، فذلك ما نرفضه رفضًا قاطعًا.

ارفعوا راية الإسلام وسوف نسير خلفكم، نشد على أيديكم، ونبارك خطواتكم، ولكنكم إن أصررتم على علمانيتكم، فإنكم سوف تسيرون وحدكم، وسوف تضيع وتتلاشى خطواتكم، وسوف تختفي أصواتكم وسط أصوات الأمة الهادرة التي تنادي بتحكيم كتاب ربها ﷻ في حياتها.

إنكم تتعرضون لامتحان صعب، وإن مصداقيتكم سوف تواجه موقفًا حرجًا والخيار لكم، هل تنضمون إلى إجماع الأمة، وتتحد إرادتكم مع إرادتها فتكونون أبناء بارين، أوفياء، أم تتمردون على إجماع أمتكم وتعارضون إرادتها؟ الخيار ليس صعبًا، ولا مستحيلًا لو ارتفعتم إلى مستوى إسلامكم، وتخففتم من الحمل الثقيل الذي ينوء به كاهلكم.

أنتم تريدون العدالة والمساواة والحرية لأمتكم ونحن نريد لها ذلك، وفي الإسلام آفاق رحبة، مترامية الأطراف لكل طموحاتكم.. أنتم تريدون تكافؤ الفرص، فابحثوا عنه في الإسلام، ففيه بغيتكم.. أنتم تريدون أن يأتي الحاكم بإرادة الأمة، ففي البيعة الإسلامية ضالتكم المنشودة.

تريدون منهجًا ينشئ حضارة، ويحقق تقدمًا، فكل ذلك في الإسلام المنهج الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هاتان وقفتان نرمي من ورائهما مد جسور الثقة بيننا وبين دعاة التنوير، نحاول أن نقترب من فكرهم أكثر، لنعرف دوافعهم، ومبررات مواقفهم التي يعلنونها تجاه الإسلام ودعاته.. وهل هناك أمل في أن نضيق الفجوة التي تفصل الفريقين، ونزيل سوء الفهم والتفاهم لتتحد الخطى على درب واحد،

وتتجمع الإرادات في إرادة واحدة تكون سدًّا منيعًا أمام تسلط الزعامات وتفردهم بالأمر، ونزوعهم إلى الظلم والتجبر، وإخضاعهم الأمة ومصالحها ومصيرها لنزواتهم الشخصية، ومصالحهم الآنية التي تتعارض بالتأكيد مع مصالح الناس وهمومهم؟

يا دعاة التنوير ابدأوا مصالحتكم مع الإسلام، وحاولوا أن تقتربوا منه لتكتشفوا عظمته وسماحته ورفعته.

من هنا.. ننتهي(*)

في عام ١٩٥٠م صدر أول كتاب للأستاذ خالد محمد خالد بعنوان «من هنا نبدأ» وأثار هذا الكتاب ضجة كبيرة وشغل الناس ردحًا من الزمن ولقد تعرض المؤلف للمساءلة القضائية بسبب ما ورد في الكتاب من الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة وتحجيم دور الإسلام في العلاقة الخاصة بين العبد وخالقه جل وعلا. وبعد واحد وثلاثين سنة في عام ١٩٨١م أصدر المؤلف كتابًا بعنوان «الدولة في الإسلام» نقض فيه ما قرره في كتابه الأول، وأكد على أن الإسلام إنما جاء لهذه الحياة، وأن الحكم وإدارة شئون الناس ورعاية مصالحهم جزء أساس من هذه الحياة، ومستحيل أن يكون الإسلام دينًا شاملًا وخاتمًا لجميع الرسالات السماوية ثم يستثني شئون السياسة والحكم من تشريعاته.

قال الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه الأول عام ١٩٥٠م: (إن الدين حين يتحول إلى «حكومة» فإن هذه الحكومة الدينية تتحول إلى عبء لا يطاق)(١).

وبعد واحد وثلاثين عامًا في عام ١٩٨١م قال الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه «الدولة في الإسلام»:

إن النموذج الذي يقدمه لنا «عمر بن عبدالعزيز» يرينا في أية أفاق

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٩/٢/١٧م.

(١) كتاب من هنا نبدأ/ للأستاذ خالد محمد خالد.

رفيعة شامخة تحلق الدولة ويحلق الحاكم حين يكون الإسلام الحق هو المنهج وهو القدوة، والإمام).

إن المسافة جدًا واسعة بل هائلة بين القولين، أو لنقل بين الموقفين.. بين موقف المتأثر بقراءاته السابقة، وثقافاته الواسعة عن الدولة الدينية في المفهوم الكنسي المسيحي وبين موقف المفكر الذي تخلص من قناعاته السابقة ونظر إلى القضية نظرة الباحث عن الحقيقة دون أن يلقي بالًا، أو يقيم اعتبارًا ما إذا كانت هذه الحقيقة ـ التي سوف يصل إليها ـ موافقة لهواه ولقناعاته السابقة أم مخالفة لها.. المهم أن يصل إلى هذه الحقيقة.. هذا الانقلاب الخطير في فكر الأستاذ خالد محمد خالد لم يأت عفوًا، أو مصادفة ولكنه كان ثمرة جهد مبرور بذله الأستاذ خالد محمد خالد في سبيل التخلص من التبعية الفكرية التي كان سجينًا لها، ومن خلال سعيه المتواصل في قراءة الإسلام الحق قراءة عميقة ومتأنية ومن خلال رصد كتابات الأستاذ خالد محمد خالد ومؤلفاته التي تجاوزت الثلاثين مؤلفًا وإضافة إلى مقالاته التي تتوزع على الصحف والمجلات.. الذي يرصد كل هذا الجهد الفكري المتميز للأستاذ خالد محمد خالد يجد أن المؤلف قد أعلن توبته عن أفكاره التي ضمنها كتابه الأول «من هنا.. نبدأ» في الكثير من مؤلفاته التي سبقت كتاب «الدولة في الإسلام» وما كان هذا الكتاب إلا الوثيقة التي يعلنها المؤلف للبراءة من موقفه الفكري القديم ومؤلفات الأستاذ خالد منها كتبه «وجاء أبو بكر، بين يدي عمر، وداعًا عثمان، وفي رحاب علي، ومعجزة الإسلام عمر بن عبدالعزيز» هذه الكتب، وخاصة كتاب بين يدي عمر، وكتاب معجزة الإسلام عمر بن عبدالعزيز، هما أكبر دليل على رجوع المؤلف عن أفكاره القديمة ذلك لأن أوضح شيء في حياة هذين الخليفتين هو الدولة ونظام الدولة، وشئون السياسة.. نعم لقد عاد الأستاذ خالد محمد خالد إلى الإسلام، وتاب وأناب، وبدأ يسخر فكره وقلمه من أجل تعميق مفهوم الدولة في الإسلام، وكان كتابه المعنون بهذا الاسم هو تتويج لذلك كله.. قد يسأل سائل ويقول: ما دام الأستاذ خالد محمد خالد قد تاب وأناب، ورجع عن أقواله وأفكاره القديمة، فما الداعي لهذا الحديث الطويل؟

أقول لهذا وربما لغيره ممن يرون نفس الرأي:

إذا كان الأستاذ خالد محمد خالد قد راجع موقفه القديم من قضية على جانب عظيم من الأهمية وبذل جهدًا مبرورًا في سبيل الوصول إلى الحقيقة التي أعلنها في كتابه «الدولة في الإسلام» فإن هناك من ما يزال يقف نفس موقف الأستاذ خالد القديم، ويتزعم الفريق المعارض لرعاية الإسلام لشئون الناس، وتنظيم حياتهم..

هذا التيار الذي يدعو إلى فصل الدين عن الدولة مازال يتبنى هذه الدعوة وينظر لها، ويدافع عنها، ويدعو إليها، وهؤلاء لم يستفيدوا من تجربة الأستاذ خالد محمد خالد، ويراجعوا مواقفهم على ضوئها، وإنما أخذتهم العزة بالإثم، وازدادوا تعصبًا لهذا الفكر، ودفاعًا عنه، بل إنهم أخذوا يهاجمون الأستاذ خالد محمد خالد ويصفونه بالرجعية تارة، وبالتأخر أخرى وهم قبل ذلك كانوا من المعجبين بكتاباته وبمواقفه، وهؤلاء لا نستطيع أن نحسن الظن بهم لأنهم يُعدُّون أنفسهم أو يعدهم البعض من كبار المفكرين وأيضًا فإنهم قرأوا تجربة الأستاذ خالد محمد خالد، ووعوها، وأدركوا الخطأ الذي وقع فيه، وكان بسبب قناعاته السابقة عن الحكومة الدينية فيما قرأه في التراث الكنسي المسيحي..

حديثي هذا موجه إلى هؤلاء الذين لا يزالون متأثرين بالثقافة الغربية عن الدين ومجال عمله.. حديثي موجه إلى الذين ما يزالون يحملون لواء الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة من المسلمين أو من الذين يحملون أسماء إسلامية فقط، ولكن ولاءهم لغير الإسلام.. إذا كان هذا الفريق ما يزال يتبنى هذه الضلالة المستوردة، ويعتبرها البداية الحقيقية لنهضة الأمة، وقيامها بالدور المنوط بها في ركب الحضارة الإنسانية، إذا كانوا يعتبرون تلك الضلالة هي البداية التي ستقود إلى ذلك الذي يحلمون به، فإني أقول لهم: إنها هي النهاية لأمة كانت رائدة في كل ميدان من ميادين الحياة، الأمة التي قدمت للبشرية حضارة متميزة، وتعاملًا مع العلوم والمعرفة الإنسانية متفردًا.. الأمة التي قدمت بوحي إسلامها حضارة يسير العلم مواكبًا للأخلاق والقيم العليا بخطى حثيثة نحو خير البشرية..

عندما شاعت هذه الضلالة في عالمنا الإسلامي، وتبنتها فئة آلت إليها مقاليد الأمور دب الضعف والوهن في الجسد الإسلامي، وتحولت الأمة الرائدة إلى أمة تابعة ذليلة، وبعد أن كنا نقود الركب الإنساني صرنا في المؤخرة، وصرنا نستجدي العلم والحضارة والتقدم من غيرنا لنستهلكه لا لتساهم فيه بالإضافة والتصحيح وفق قيمنا الإسلامية وانتهينا عندما فصل الإسلام عن حركة الحياة، وعندما وضع تحت الإقامة الجبرية في المساجد، وحُرّم عليه مخالطة الناس والتعرف على همومهم ومشاكلهم وتقديم الحلول الشافية لهذه المشاكل والهموم..

نقول لهؤلاء: إن البداية الحقيقية هي الالتحام بالإسلام من جديد عقيدة وشريعة، واخلاقًا..

المثقفون.. بين الرأي والعقيدة(*)

قيل قديمًا: «عندما ترى الرأي يدخل في دائرة معلوماتك، ولكنك حين تعتقده يسري في دمك ويدخل في مخ عظامك» ولا شك أن هناك فرقًا كبيرًا جدًّا بين الرأي والعقيدة، فالعقيدة إيمان بقضية محددة تلتزمها وتدافع عنها وقد تضحي من أجلها بالغالي والنفيس، أما الرأي فهو مجرد وجهة نظر قابلة للتعديل والمراجعة، بل وقابلة للرجوع عنها إلى وجهة نظر أخرى، فإذا تمحص الرأي وتبلور فإنه عندئذ يتحول إلى عقيدة فيستقر في وجدانك ويأخذ حظه الوافر من الثبات والاستقرار.

وما الحماس الذي يبديه أصحاب العقائد حتى الباطلة منها إلا تأكيدًا لما تقدم، وبرهان على إن ما تعلمناه من المدارس ومن الكتب له نصيب من الصواب كبير.

ولكن قد يسأل سائل: وما مناسبة الحديث عن الرأي والعقيدة، والفرق بينهما؟ وكان من الممكن أن يكون لهذا التساؤل وجاهته لو لم يكن عصرنا هو عبارة عن صراع الأفكار والآراء والعقائد وما المصائب والمحن التي تواجهها البشرية إلا بسبب تعدد الأفكار والعقائد التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي يحاول أصحابها والمؤمنون بها أن يحلوها محل الشرائع السماوية بحجة أن الشرائع السماوية قد تجاوزها الزمن ولا تصلح إلا للعصور التي نزلت فيها، أما في ظل التقدم الهائل وتنوع وسائل الاتصال،

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٥/١٢/١٥م.

فإن على الإنسان أن يخترع ويبتدع عقائد أخرى تستجيب لرغباته وشهواته ولا تقف حجر عثرة في طريق تحقيق طموحاته المشروعة وغير المشروعة، ونقول: إنه لا توجد شريعة سماوية صحيحة تقف أمام طموحات الإنسان المشروعة، أما الطموحات غير المشروعة فإنه حتى العقل السليم المجرد يرفضها ويستنكرها، أما العقول الملوثة بالشهوات المادية، فهي وحدها التي تحسن القبيح وتقبح الحسن.

إذن حين نسأل: متى يتحمس الإنسان لفعل معين أو لقضية معينة؟

يكون جوابنا هو: حين تخرج هذه القضية من دائرة معلوماته لتسري في دمه وتدخل في مخ عظامه، وتتحول إلى جزء أصيل من نسيجه العقلي، عندها فقط يكون هذا الإنسان على أتم الاستعداد أن ينشط، ويوظف جميع إمكاناته المادية والمعنوية والثقافية لخدمة هذه القضية وتوضيح جوانبها الغامضة، وإزالة ما علق بها من شبهات، بل إنه يحرص أن تكون حياته كلها في خدمة هذه القضية، وإذا قرأ وتثقف فإن ذلك من أجل زيادة معارفه واتساع دائرة معلوماته لخدمة القضية، وإذا كتب فإنه يكتب ليسخر قلمه للدعوة إلى هذه القضية وكسب مزيد من الأنصار لها، وإذا اختار تخصصًا بعينه في دراساته فهو يفعل ذلك من أجل القضية، وهو قد يحمل نفسه الكثير من الجهد، وقد يقتطع من أوقاته الكثير، فيحرم نفسه من ساعات اللهو والاستمتاع المشروع كل ذلك من أجل أن يتفرغ لهذه القضية، لهذا فإني على يقين أن تكاسل القادرين على الكتابة، وتقاصر الهمم عن التحصيل الثقافي فضلًا عن التحصيل العلمي إنما وراءه غياب القضية «الهدف» من حياة هؤلاء الناس التي هي بمثابة الدافع والمحرك للإنسان لأن يسعى لكسب مزيد من المعرفة وبذل الوقت والجهد لتحقيق خطوة إيجابية في سبيل الوصول إلى ذلك الهدف «القضية».

لقد سألت أحد الأخوة وهو من الذين نالوا درجات علمية عالية، وأعرف عنه اهتمامه بالثقافة وتمتعه بسمعة ثقافية كبيرة بين أقرانه، كما أعلم أن له مساهمات في مجال الكتابة، في الماضي، سألته عن السبب في غياب

قلمه وإحجامه عن المساهمة في الصفحات الثقافية والإسلامية، وفي صحفنا المحلية أو الصحف الخليجية أو حتى العربية، فقال إنه لا يقدم على مثل هذه الخطوة، ولا يتحمس لإمساك القلم وصرف اهتمامه وجهده إلى الكتابة وما تحتاجه من معاناه إلا إذا كلف من قبل جهة معينة، فقلت له وأنا شديد العجب من ذلك: ولماذا لا تكلف نفسك بنفسك، ويكون الدافع إلى الكتابة دافعًا ذاتيًا وهاجسًا نفسيًا يلح عليك كلما رأى منك تكاسلًا أو ترددًا؟ وأقول أن خير التزام يلتزم به الإنسان ما كان نابعًا من ذاته بعد قناعة لا يخالطها شك بأن ما يقوم به هو رسالة لابد من الوفاء بها وتحمل أعبائها لأن ذلك حق لإسلامه عليه أو للناس الذين ينتظرون منه ذلك.

نعم للإسلام حق على أمثال هؤلاء القادرين على المساهمة في الحوار الدائر حول الإسلام وقضاياه، للإسلام على هؤلاء حق أن يسارعوا لإزالة ما يحاول أعداء الإسلام إلصاقه به من شبهات ومعايب شريطة أن يكون ذلك بدافع ذاتي يحركهم لا بعوامل خارجية تختلف قوة وضعفًا، وإقبالًا وادبارًا، وحماسة وتخاذلًا.

وعلى كل من لديه القدرة والكفاءة والاضطلاع الواسع ألا يظل في مؤخرة الصفوف، بل عليه ان يشق هذه الصفوف ليكون في المقدمة، فحاملو لواء الإسلام، المدافعون عنه، المؤمنون بشرعه ومنهجه أولى الناس وأحقهم بالريادة والسبق.

المسلمون أحق الناس بذلك، لا نقولها عصبية واستعلاء ولكن نقولها لأنها تكليف من الحق سبحانه وتعالى حينما نزلت سورة العلق وبدأت بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

هذا التكليف الإلهي يجعلنا أحرص الناس على تحصيل العلم والمعرفة من أي وعاء كان، وهذا التحصيل المعرفي يقتضي العمل به وتوظيفة لخدمة

(١) سورة العلق الآيات ١ ـ ٥.

قضايا الإسلام، والقيام بما كلفنا به من قبل المولى ﷻ ورسوله الكريم ﷺ الذي روى عنه قوله عليه الصلاة والسلام: «بلغوا عني ولو آية» ومن هذا المنطق فنحن مأمورون ومكلفون بأن نبلغ الناس ما وصلنا من علم وأننا محاسبون يوم القيامة على ما فرطنا في جنب الله تعالى، وعن تقاعسنا في القيام بهذه المهمة الجليلة. ما نفع العلم، وما فائدة الثقافة إذا ظلا حبيسان في الصدور ولم يخرجا إلى الناس، بل إن من الخير العميم للمثقف أن ينفق من علمه وثقافته إذ في الانفاق زيادة ونماء للعلم والمعرفة، وفيه فتح لآفاق جديدة ومساحات واسعة في مجال العلم والمعرفة، والذي يقرأ دون أن يحرك ما قرأ من خلال الحوار والتواصل الثقافي والمعرفي يشبه البركة التي لا يتحرك ماؤها، فإنها تكون مرتعًا خصبًا للجراثيم والميكروبات، وتكون بعد ذلك مصدرًا للأمراض والأوبئة، وكذلك الأفكار والمعلومات إذا لم تحاور الأفكار الأخرى، فإن الشخص المثقف قد يفهم قضية على غير وجهها الحقيقي ولا يتبين الخطأ في ذلك إلا إذا استمع إلى الرأي الآخر وقارن بين ما وعاه وما وعاه غيره في نفس القضية.

العلم مسئولية، والثقافة مسئولية، والمعرفة بعمومها مسئولية وكل أخذ يقابله عطاء، فإلى العطاء أيها المثقفون.

تضليل النخبة!!(*)

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(١).

الحق سبحانه وتعالى يجعل من الواجب تخصص فئة من المسلمين في علوم الدين ليقوموا بمهمة التفقيه لقومهم، وتوعيتهم بحقوق الله تعالى عليهم، ويحذرونهم من مخالفتة سبحانه فيما أمر ونهى، وقس على هذه الفئة فئة أخرى في المجتمع تسمى فئة المثقفين أو كما يطلق عليهم فئة «النخبة» المفروض في هذه الفئة أنها على درجة من الوعي تؤهلها لأن تقود خطوات أمتها إلى ما فيه خيرها، وتكشف لها ما يدبره أعداؤها وما يخططون من أجل عرقلة مسيرتها، هذه الفئة المتميزة مسئولة مسئولية كبيرة في فضح الدسائس والمؤامرات التي تحاك بليل للقضاء على أمة الإسلام وتشويه صورتها بين الأمم باتهامها بالتخلف تارة، وبالإرهاب تارة أخرى، وهي مسئولة كذلك عن تشخيص أدواء التخلف، إذا كان موجودًا ووصف الدواء الشافي لها هذا هو دورها وهذه هي مسئوليتها، ولكن إذا وصل الداء إلى هذه النخبة وصارت عاجزة عن علاج نفسها فضلًا عن علاج غيرها، فإنها تصبح عبئًا ثقيلًا على أمتها، وأداة تضليل وتزوير وتزييف. وربما تتحول إلى معول هدم، وهي لا تدري!!

(*) أخبار الخليج (البحرين).

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢.

عندما اعتدى صدام حسين على الكويت واحتلها في محاولة منه لضمها إلى العراق تحت دعاوى مختلفة، زار البحرين الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة المصرية للكتاب، وألقى محاضرة عن أثر حرب الخليج (العراق ـ الكويت) على الثقافة العربية وسألته عن مساهمة المثقفين والكتاب العرب في تضليل الرأي العام العربي حول حقيقة صدام حسين، فسألني كيف؟ فقلت له: حين يشتركون في المهرجانات الفنية والادبية والثقافية التي ينظمها صدام وأمثاله لتجميل صورته بين الناس ويقوم بشراء أصوات هؤلاء الكتاب وتأييدهم بالمكافآت الجزيلة أو بالرشوة التي يدفعها لهم. فوافقني على رأيي هذا..

وقلت له: حينما يقوم كاتب له قراؤه ومعجبوه بمدح صدام حسين أو غيره من الطغاة فإن القارئ المحب المعجب بهذا الكاتب يتأثر بموقف كاتبه الذي يحبه ويعجب بموهبته، وفي هذا تضليل للرأي العام العربي، وتزييف لحقيقة هذا الطاغية أو ذاك، ومن الأمثلة على ذلك أن الأديب والكاتب يوسف إدريس كان أحد الذين شملتهم رعاية صدام حسين، وعمهم رخاؤه فحصل على جائزة قدرها ثلاثون ألف دولار، فلما احتل صدام حسين الكويت لم يكتب يوسف إدريس حرفًا واحدًا يدين هذا العمل، ولم يتحدث إلى الصحافة أو أجهزة الإعلام منددًا بالجريمة التي ارتكبها صدام حسين، وحينما سئل عن ذلك؟ قال: إن صدام منحه مبلغ ثلاثين ألف دولار فلو استطاع أن يدفع المبلغ لصدام لاستطاع أن يتكلم، ويوسف إدريس غضب عندما استقبل صدام نزار قباني ولم يستقبله هو، فكأنما يوسف إدريس الكاتب والأديب المشهور في حاجة ماسة لدعم صدام حسين المعنوي كما دعمه ماديًا، هكذا تتصاغر همم بعض الكتاب والمثقفين وتصل إلى مستوى اللهفة في أن يستقبلهم هذا الرئيس أو ذاك، مع أنهم يعلمون علم اليقين أن هذا الرئيس طاغية متجبر يسوم شعبه وأمته سوء العذاب، وها هو صدام الذي روّج لسياسته المثقفون والكتاب العرب، ها هو يتحدى العالم ضاربًا عرض الحائط بمصالح شعبه، غير آبه لصراخ الأطفال الذين لا يجدون الحليب، والجياع الذين يبحثون عن كسرة خبز بينما يتمتع هو بكل ما لذ

وطاب في مخبئه تحت الأرض المزود بكل وسائل الراحة والرفاهية، يصنع صدام كل ذلك من أجل تحقيق أحلام العظمة التي يسعى إليها بأي ثمن..

مثل آخر من أمثلة المثقفين الذين يضللون أمتهم بدعمهم للباطل، ووقوفهم مع الطغيان، الوفد المصري الذي حاور الوفد الإيراني وعلى رأس الوفد المصري الدكتور علي هلال عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، والأستاذ والكاتب والمفكر المصري لطفي الخولي، جاء في مقال بعنوان «إيراني في القاهرة» نشره الأستاذ لطفي الخولي في مجلة «الوسط» في عددها رقم ١٤٣ الصادر في ١٩ ـ ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٥هـ حول موقف إيران المعارض لمشروعات التسوية السياسية السلمية للصراع العربي ـ الإسرائيلي، على اعتبار أن هذه المشروعات هي نابعة من إرادة جماعية، للشعوب العربية، حيث ورد في المقال العبارة التالية: " العمل المضاد ضد مشروعات التسوية السياسية السلمية للصراع العربي ـ الإسرائيلي التي ارتضتها الغالبية العظمى من الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني، وهناك فرق بين حق الاختلاف وإعلانه من جهة والعمل المضاد التخريبي من جهة ثانية»[1].

لقد استوقفني عبارة «الغالبية العظمى من الشعوب العربية» وأخذت اتساءل: كيف وصل الأستاذ لطفي الخولي أو الوفد المصري (مجتمعًا) إلى هذه النتيجة «الحاسمة» هل هو مجرد تخمين أم أن هناك استفتاء عامًا أجري بين الشعوب العربية وأن هذا الاستفتاء أدى إلى هذه النتيجة التي جاءت في مقال الأستاذ لطفي الخولي؟ أم أن الأستاذ الخولي يعتبر نفسه والنخبة المثقفة التي هللت لهذه المشروعات الاستسلامية هم الغالبية العظمى من الشعوب العربية، إذ لم أقرأ ولم أسمع أن هناك استفتاء عامًا قد أجرته دولة عربية أو حتى مؤسسة تعنى بمثل هذه الأمور؟

إذن فمن أين جاء الأستاذ الخولي في مقاله بهذه الغالبية العظمى من

---

(١) مجلة الوسط (اللندنية)/ ص ٣٣.

الشعوب العربية؟ ربما أخذه من قول فرعون «في قوله تعالى»: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[1].

أو ربما يعتبر الأستاذ الخولي إن الذين وقعوا على اتفاقيات الاستسلام يمثلون الغالبية العظمى من الشعوب العربية..

في فرنسا استفتى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران الشعب الفرنسي في الدخول في المعاهدة الأوروبية، ولما صوت الشعب الفرنسي ضد المعاهدة امتثل الرئيس الفرنسي لإرادة شعبه، فهل سمع أحد أن الذين وقعوا الاتفاقيات مع الكيان الصهيوني أو حتى أحدهم أجرى استفتاء لشعبه ليعرف رأيه في الدخول مع هذا الكيان الغاصب في صلح أو سلام؟

أنا وكثيرون غيري لم نسمع أو نقرأ شيئًا عن هذه القضية، فهل الأستاذ الخولي لديه علم بذلك؟ فنرجو، أن يخبرنا عنه لنكون على بينة من أمرنا، إنه تساؤل نرجو أن نجد له جوابًا شافيًا عند واحد من رموز النخبة حتى نطمئن إلى إن ما يجري على الأرض العربية من تجاوزات وحلول استسلامية يتحمل الشعب العربي نصيبه من المسولية عنها، أنه أصبح شعبًا له أهمية وقيمة يؤخذ رأيه في القضايا المصيرية التي سوف يصطلي بنارها أو ينتفع بخيرها إن كان لها خير.. وإذا كان ما قاله الأستاذ لطفي الخولي في مقاله إنما هو مجرد حماس واقتناع بمشاريع التسوية، فإنه بذلك يقوم بعملية تضليل للرأي العام العربي الذي منهم من يعجب بمهارات الأستاذ الخولي الأدبية والفكرية وهذا أخطر دور تمارسه النخبة المثقفة ضد أمتها العربية والإسلامية..

(١) سورة غافر الآية ٢٩.

النخبة المتخاذلة(*)

توظيف المادة لصالح الإنسان أمر يحض عليه الإسلام والتفاعل الإيجابي مع الوجود كله بجماده ونباته وحيوانه قضية انشغل بها الإسلام، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة اهتمت بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا وأولته عنايتها بشكل واضح وملحوظ، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[1]. فكل ما في الأرض مسخرًا لهذا الإنسان ومهمة الإنسان أن يتفاعل مع ما في الأرض فيحقق الإبداع والتقدم والإصلاح.

وإذا كان التفاعل مع ما في الأرض مطلوب في أيام السلم فإنه مطلوب أكثر في أيام الحروب، لهذا جاء البلاغ القرآني واضحًا ومحددًا في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[2].

فالإسلام يعترف بالقوة المادية ويحض على التزود بها لملاقاة الأعداء، ولكنه لا يجعلها السبب الوحيد للنصر، وحتى تؤدي القوة المادية دورها وتحقق الهدف من استخدامها لابد لها من قوة إيمانية تساندها بل وتحولها

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٤/١/٢١م.

(١) سورة الحج الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠.

من مجرد قوة غاشمة إلى قوة تبني وتعمر وتصلح، فالإيمان بأن النصر من عند الله تعالى وأنه سبحانه خالق الأسباب ومانحها الاستجابة للإنسان حين يقبل عليها، من هنا ندرك أسباب انتصارات المسلمين في عهودهم المجيدة رغم قلة عددهم وعدتهم فهم في حساب المادة لا يجارون أعداءهم، فهم دائمًا أقل من عدوهم عدة وعددًا ولكن كانوا يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وكانوا أحرص على الموت من عدوهم، وكانوا يحبون الموت كما كان عدوهم يحب الحياة، بهذه المقاييس وبهذا التفرد حقق المسلمون ما حققوا من انتصارات..

إن المسلمين من سلفنا الصالح لو نظروا إلى قوتهم المادية وانشغلوا بها دون سواها لما استطاعوا أن يحركوا ساكنًا ولما قدروا على حمل ما تيسر لديهم من سلاح لرد المتربصين بدينهم الدوائر من هنا نجد أن الهلع الذي يشعر به قطاع من مثقفينا من قوة الكيان الصهيوني الرادعة ومن امتلاكه لرؤوس نووية، وصواريخ عابرة للقارات، ومصفحات ومدرعات وطائرات شاهدة على ضعف إيمانهم بأن النصر من عند الله تعالى وليس من عند أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا أو روسيا، وأن الله تعالى الذي بيده أن يجعل الأسباب المادية فاعلة وبيده سبحانه أن يعطلها عن الفعل هو الذي قال للمؤمنين أن يعدوا ما يستطيعون من القوة ولقد تكفل سبحانه وتعالى بالباقي.. لقد خاض المسلمون حروبهم المظفرة بما استطاعوا أن يعدوه من قوة فأمدهم الله تعالى بمدد منه، فنصرهم في بدر بالملائكة يقاتلون معهم، ونصرهم في الأحزاب بالريح التي عاثت في الكفار دمارًا فقلبت القدور، وكفأت الخيام، وأعمت أبصار القوم، ونصرهم الحق سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة بالرعب، وما يعلم جنود ربك إلا هو سبحانه.

المسلمون إذن كانوا ينطلقون بعقيدة راسخة بأنهم الأعلون لأن إعلاء كلمة الله تعالى هو الذي أخرجهم لملاقاة أعدائهم.. ودعونا نقدم نماذج من انتصارات المسلمين في العصر الحديث ألم ينتصروا في العاشر من رمضان على قوة الكيان الصهيوني الضاربة، ألم تهزم أفغانستان وهي من دول العالم العاشر قوة عظمى هي روسيا، ألم تزلزل الانتفاضة المباركة الأرض من

تحت أقدام اليهود الغاصبين؟ ألم تدفعهم دفعًا إلى عقد اتفاقيات السلام والتنازل عن غزة وأريحا من أجل القضاء على الانتفاضة؟

إن الدور الذي يقوم به بعض المثقفين في زرع بذور اليأس في قلوب المسلمين لهو دور مشبوه فهم بذلك يقفون في خندق واحد مع أجهزة الإعلام الصهيونية والغربية التي تحاول جهدها بث الرعب في قلوب المسلمين، وتيئيسهم من مجرد التمني بإمكانية الانتصار على الكيان الصهيوني وإجلائه عن الأرض المباركة أرض فلسطين الغالية.

نعم إنه دور مشبوه الذي يقوم به بعض المثقفين في بلاد الإسلام ويصب في نفس المجرى الذي يسير فيه الإعلام الغربي الذي يقود حملة نفسية عاتية لتخذيل المسلمين وتثبيط عزائمهم.

إن الغرب يعلم علم اليقين أن قوة المسلمين وقدرتهم على البقاء والاستمرار تكمن في إسلامهم فما حقق المسلمون انتصاراتهم العسكرية إلا بالإسلام وما أبدعوا في ميدان الحضارة والتقدم إلا بفضل الإسلام، وعندما عجز الغرب بكل اتجاهاته عن الانتصار على المسلمين المتمسكين بإسلامهم عمل بهمة ونشاط على فصل الإسلام عن حياة المسلمين وتحويله إلى تهمة تطاردها الانظمة الحاكمة، فإذا وضع الإسلام تحت الإقامة الجبرية في المساجد أصبح المسلمون بغير إسلام يرشد حركتهم، ويزرع الأمل في قلوبهم ويمدهم بقوة لا تقهر ويقين لا يهزم وقدرة على العطاء لا تنفد. أيها المثقفون المتخاذلون أفيقوا من غفلتكم واعرفوا حقيقة دينكم واعلموا أننا عندنا من نبأ رسولنا الكريم أن الإسلام جاء لينتصر وأن المسلمين لا شك منتصرون على اليهود في حرب إيمانية ينطق فيها الشجر والحجر ويقولان يا عبدالله.. يا مسلم ورائي يهودي فتعال فاقتله، ولن يتحقق ذلك إلا إذا صرنا مسلمين حقًا، فكل من يساهم في تأخير المسلمين في أن يكونوا مسلمين حقًا إنما هو يقف مع أعداء الإسلام وأعداء المسلمين في خندق واحد.

يا أيها المثقفون المتخاذلون هل أنتم منتهون؟!

الحاقدون!!(*)

فئة من المسلمين تعيش بيننا، وليس لها من الإسلام إلا كلمة تسطر في شهادة الميلاد وهي كلمة «مسلم» وهم يزعمون أنهم مسلمون وحظهم من الانتماء إلى الأمة الإسلامية الخالدة اسم ألصق بهم عند مولدهم «كإبراهيم، وعبد المنعم، وفؤاد، وزكريا، وفرج، ويوسف، وإدريس، هم لا يتخلفون أبدًا عن الركب إذا كان الحادي يحدو في كره الإسلام والحقد على أهله.. وهم عند «سوء» الظن بهم من قبل المسلمين، فكلما دعا داعي الجهاد شرعوا أقلامهم، ، وسنوا أسلحتهم التي لا تخرج من مخازنها إلا إذا كان العدو هو الإسلام.. عندما بدأ الجهاد في أفغانستان وجد هؤلاء مادة خصبة لهجومهم على الإسلام والتنديد بالمسلمين وكأن المسلمين هم المعتدون والأعداء هم المعتدى عليهم، ولم يتخلف عن رشق الجهاد الإسلامي في أفغانستان واحد منهم، فالشيوعيون الذين ينصرون روسيا ظالمة أو مظلومة صوروا النظام في كابل بأنه هو النظام الشرعي، وأن استنجاد الحكومة بالاتحاد السوفيتي هو استنجاد مشروع بدولة صديقة تقف دائمًا حامية لجبهات التحرر، وفاتهم أن روسيا في هذه الحرب وقفت ضد جبهات التحرر، حيث عارضت إرادة الأمة الأفغانية ووقفت في صف نظام آيل للسقوط لأنه لا يمثل إرادة شعبه..

والعلمانيون الذين يحملون لواء فصل الدين عن الدولة رأوا هم أيضًا

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩/٦/١٩٩٢م.

أن التدخل الروسي في أفغانستان تدخل مشروع، ولأنهم يفصلون الدين عن الدولة فإنهم لم يلحظوا أن المجاهدين مسلمون يجاهدون غازيًا كافرًا ملحدًا يريد القضاء على إسلامهم، والقوميون الذين يرفعون شعار العروبة ولا شيء قبلها أو بعدها، قالوا: إن ما يدور في أفغانستان هو شأن غير عربي ولا علاقة لنا نحن العرب بمن يقتل أو يشرد من الشعب الأفغاني ويجب أن يكون همنا منصبًا على قضايانا العربية المصيرية، وعلى النقيض من هذا نجد شعب الأفغاني المسلم يؤكد من خلال تصريحات قادته وزعمائه أنهم لن يهنأ لهم نصر، ولن يهدأ لهم بال حتى يحرروا فلسطين من أرجاس اليهود الغاصيبن، وأن ما يدور على أرض أفغانستان هو الخطوة الأولى تعقبها خطوات على أرض فلسطين.. وشتان بين هذا الموقف وذاك.

وبعد أن تحررت أفغانستان ودحر الكفر وسقطت الدولة الشيوعية في أوروبا الشرقية، ولم يجدوا ما يبررون فشلهم وفشل أسيادهم إلا أن يتشفوا بما يدور في أفغانستان من نزاع محدود بين بعض فصائل المجاهدين، وهو أمر قد يحدث حتى تستتب الأمور وتقوم الدولة ويطبق النظام..

وها هم اليوم يجدون في الجهاد الإسلامي في البوسنة والهرسك مادة ثرية لأقلامهم، وهدفًا ظاهرًا لأسلحتهم هاهم يشوهون الحقائق، وينكرون الأدلة الدامغة التي تبثها أجهزة التلفاز كل يوم والتي تظهر معاناة الشعب المسلم في البوسنة والهرسك على يد الصليبيين الجدد، وحتى لا تسارع هذه الفئة لتتهم هذه الأجهزة بأنها عميلة للاستعمار الإمبريالي، فإنا نقول لهم: إنه وبعد سقوط النظام الشيوعي لم يعد هناك إمبريالية ولا شيوعية، أو أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية، ولكن توجد أوروبا الموحدة، وهاهو جورباتشوف ينظم في أمريكا معلقات من الشعر وكان قبل زمن ليس بالطويل العدو الأول لأمريكا..

نعم هاهي الفئة الكارهة للإسلام تندد وتستنكر وتشجب وتطالب ليس بمعاقبة الصرب المدعومين بالجيش الأتحادي اليوغسلافي بل تطالب بإسكات أنين الجرحى من المسلمين، وصرخات النساء والأطفال الذين قتلوا وشردوا وهتكت أعراضهم، واستبيحت حرماتهم..

الكارهون للإسلام يريدون من المسلمين في البوسنة والهرسك ألا يبدون أية مقاومة تجاه الغزو الصليبي الحاقد بل عليهم أن يسلموا تسليمًا وأن يطلقوا عبارات الشكر والثناء على القوات اليوغوسلافية والصربية التي تخلصهم من عناء الحياة.

فئة ضالة آلت على نفسها أن تعطي ولاءها لأعداء الإسلام، فئة أخذتها العزة بالإثم فلم تملك الشجاعة الكافية لتعترف كما اعترف أسيادها بأن الشيوعية نظام فاشل منذ بدايته وأنه كان يخوض حربًا غير متكافئة ضد الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كانت الشيوعية تحاول جاهدة أن تنزع من الإنسان الفطرة التي غرسها الحق سبحانه وتعالى فيه، وهي أن يملك الإنسان ولكن بضوابط، وأن يكون له الحق في أن ينشئ أبناءه النشأة التي يريد، وأن يستمتع بثمار جهده وعقله فلا يصادر حقه في ذلك، والشيوعية ترى غير ذلك، هي ترى أن الإنسان ترس في آلة ولابد من أن ينسجم هذا الترس مع بقية التروس حتى تؤدي الآلة مهمتها، ولن يكون ذلك ممكنًا حتى يستسلم الإنسان لإرادة الحزب الشيوعي ويلقي إليه مقاليد أمره وأمر أسرته بل وأن يتنازل عن عقله ومشاعره وأحاسيسه.

كان لا بد لهذا الفكر المشوه أن يسقط، وكان لابد لدولة أو دول تقوم على مثل هذا الفكر اللقيط أن يتداعى بنيانها وأن يتهاوى على رؤوس أصحابه، وكانت إرادة الله هي الغالبة، وسنته تعالى هي التي تحققت، ولكن المهزومين عقائديًا وحضاريًا لا يرون ما تراه الزعامة الشيوعية، ولا يزالون يتمسكون بوهم ثبت لهم بطلانه وفشله.. بسبب هذا هم يكرهون الإسلام لأنه يذكرهم بخيبتهم، وهم يكرهون المسلمين لأنهم يرون فيهم عنوانًا على التمسك بالعقيدة الحقة، والاتجاه السديد.

الدكتور صادق جلال العظم واختلاط المفاهيم(*)

يقول الدكتور صادق جلال العظم في كتابه (نقد الفكر الديني):

«من الأقوال التي يرددها الموفقون الخطابيون لإثبات دعواهم الحديث النبوي القائل (اطلب العلم ولو في الصين)[1]، والآيات القرآنية العديدة التي تحث الإنسان على التعقل والتأمل في الأشياء وطلب العلم والمعرفة إلى آخره مما هو معروف، كل ذلك ليبينوا مدى اهتمام الإسلام بالعلم والعقل منذ القدم.

بطبيعة الحال يعطي هؤلاء المفكرون معنى مطلقًا لهذه العبارات الإسلامية وكأنها لا تنتمي إلى أي زمان أو مكان، منفصلة عن الظروف التاريخية التي قيلت فيها والمناسبات التي حددت معناها ومغزاها وقتئذ. من ضمن هذا الاعتبار يتضح لنا أن العلم الذي حث على طلبه الإسلام هو في جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها ويتفرع عنها وليس الفيزياء والكيمياء مثلًا والعقل الذي طلب الإسلام من الإنسان استخدامه كان الغرض منه التوصل إلى معرفة الله من تأمل صنعته وخلقه، وليس غرضه صياغة نظرية المادية الجدلية أو نظرية دوركهايم في الطقوس والعبادات الدينية أو نظرية الكون المحدب. ولا ضير على الإسلام في ذلك. ففي تلك الأزمنه كانت العلوم الدينية تعتبر أرفع العلوم شأنًا وأعظمها قدرًا والغاية القصوى التي يصبو إليها كل مريد للعلم[2].

(*) أخبار الخليج (البحرين).

(١) يقول أهل العلم: إن هذا ليس بحديث.

(٢) نقد الفكر الديني/ د. صادق جلال العظم/ ص ٢٨.

قبل الدخول في مناقشة أفكار الدكتور صادق جلال العظم، ومدى سداد رأيه أو عدمه في نقد الفكر الديني عند بعض مفكري الإسلام نود أن نؤكد على أن للدكتور العظم أو لغيره من الكتاب والمفكرين الحق في نقد أي فكر بشري مهما بلغ صاحبه قدرًا ومكانة بين المفكرين، فالناس جميعًا على اختلاف مستوياتهم العلمية، يؤخذ من أقوالهم ويرد عليهم إلا رسول الله ﷺ، ولهذا فلا عصمة إلا لنبي، أما البشر فهم يصيبون ويخطئون، وخطؤهم أكثر من صوابهم إلا من رحمه الله تعالى وأنار له بصيرته وسدد له رأيه.

والآن وبعد أن أكدنا على حق كل إنسان في أن يناقش وينتقد أفكار الآخرين نعود إلى العبارة التي صدرنا بها حديثنا والتي اجتزأناها من كتاب الدكتور صادق جلال العظم (نقد الفكر الديني) نقول:

في التحليل المبدئي لمقولات الدكتور العظم في هذه العبارة تستوقفنا عدة قضايا نبسطها فيما يلي:

[الحديث النبوي الشريف ـ والشريف هذه من عندنا ـ «اطلب العلم ولو في الصين» والذي يعتقد الدكتور العظم بأن الموفقين الخطابيين من مفكري الإسلام يحملونه أكثر مما يحتمل، وأنه خاص بالعلوم الدينية والشرعية، ولا يدل من قريب أو بعيد على شمولية العلم التي تتعدى العلوم الدينية والشرعية إلى غيرها من علوم العصر، ونحن نطرح على الدكتور العظم هذا التساؤل: هل يقصد الرسول الأعظم ﷺ بهذا الحديث أخذ علوم الدين والشريعة من الصين؟ وإذا كان هذا ما يعتقده الدكتور العظم، فأية علوم دينية وشرعية سوف يجدها المسلمون في الصين؟ ونحن نعلم أن الصين دولة وثنية. إذن، فالعلوم التي قصدها رسول الله ﷺ هي مطلق علوم، أو كل علم نافع لا يوجد مثيل له في جزيرة العرب، فعلى المسلم أن يشد الرحال إلى مظانه وإن كان في الصين وهي من البلاد البعيدة عن جزيرة العرب بوسائل السفر والانتقال المعهودة في عصر النبوة العظيمة.

إذن، فلا دليل عند الدكتور العظم على أن العلم الذي ورد في

الحديث الذي ذكره مقصور على العلوم الدينية فقط بل هو علم شامل وتأتي بالدرجة الأولى العلوم الدنيوية التي ينتفع بها المسلمون في حياتهم ولنا في حياة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فهو قد استفاد من علوم المسلمين الذين جاءوا من أقطار الدنيا، فقد عمل بنصيحة ومشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي عندما أشار عليه بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، واستفاد المسلمون في عهد عمر رضي الله تعالى عنه عندما نقل نظام الدواوين من الحضارتين الرومية والفارسية إلى نظام الدولة الإسلامية فهذه العلوم وأمثالها هي ما يقصده رسول الله ﷺ وليست العلوم الدينية. أما عن الآيات التي يستشهد بها المفكرون المسلمون على اهتمام الإسلام بالعلم بنوعيه الديني والدنيوي فإن الأدلة على سداد رأيهم، وسلامة فهمهم لكثيرة نورد بعضًا منها..

ذكر الله تعالى في سورة فاطر علومًا كثيرة ليس من بينها علوم الدين، وإن كانت في المحصلة الأخيرة تقود إليها، وتساهم في كشف عظمة الخالق وقدرته وكماله، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[1].

الآية تحدثت عن علوم المياه، والنبات وعلوم الإنسان والحيوان ثم ختمت بقوله تعالى .﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾... أي أن كل عالم في هذه العلوم هو أحق العلماء بخشية الله تعالى، وذلك بما يكتشفه من عظمة صنعه تعالى وكمال قدرته، وسر حكمته فيما أبدع وصور.

ويذكر الحق سبحانه وتعالى في آية أخرى عبادة التفكر ويقرنها بعبادة الصلاة وذكر الله تعالى، وفي هذا ربط محكم للعبادتين معًا، فإذا كانت الصلاة وذكر الله تعالى عبادة يثاب المسلم على أدائها، فإن التفكر في

(١) سورة فاطر الآيات ٢٧، ٢٨.

مخلوقات الله تعالى، ومعرفة قوانينها، وسر حركتها ونشوئها هو عباده أخرى تحقق للمسلم ما تحققه الصلاة من جزاء وثواب. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[1].

فدراسة الفلك وعلم طبقات الأرض ودورة الليل والنهار، وما يحكمها من قوانين وسنن هي أمور يحث الحق سبحانه وتعالى عليها، وذلك ليتوصلوا من خلالها إلى الهدف الأعلى، والغاية العظمى وهي معرفة الخالق ﷻ ليتمكن الإنسان بعد ذلك من القيام بحقه سبحانه وتعالى على خلقه.

نحن نتفق مع الدكتور العظم في أن القرآن هو كتاب هداية وإرشاد، ولم يزعم الرسول ﷺ أنه جاء ليضع النظريات العلمية، أو يبحث في الفيزياء والكيمياء بل لقد قال للمسلمين في المدينة: أنتم أعلم بأمور دنياكم "، ولكن الذي ننبه الدكتور العظم إليه ـ هو ومن يتبنى منهجه في قراءة النصوص الدينية ـ: أن هناك إشارات علمية وردت في العديد من آيات القرآن الكريم، وأن هناك اتفاقًا بين العلماء على أن القرآن هو كتاب الله (تعالى) المقروء، وإن الكون هو كتاب الله (تعالى) المنظور، وما دام قائل القرآن هو خالق هذا الكون، وهو الله تعالى، فلابد وأن تنطبق حقائق القرآن على حقائق الكون، وإن من يقرأ القرآن قراءة تدبر وتفكر فإنه لا محالة سوف يقوده إلى فهم للكون أعمق وأشمل ـ وإن من يتفكر في الكون ويمعن النظر فيه فإن ذلك لا محالة سوف يقوده إلى فهم للقرآن أعمق وأشمل وأصوب.

ولقد ألف جماعة من العلماء الأمريكيين كتابًا بعنوان «الله يتجلى في عصر العلم» وتحدث كل عالم عن تجربته العلمية في معرفة الله تعالى وأن

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٩٠، ١٩١.

العلوم الحقة أيًا كان نوعها سوف تقود في النهاية إلى معرفة الله تعالى وإدراك عظمته ودقة صنعه، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة من سورة فاطر التي تقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾...

لقد اختلطت الحدود بين الفكر الديني وبين النصوص الدينية، فتداعت الحدود فيما بينهما في عقل الدكتور العظم، فأخذ ينقد الدين وهو يظن إنه ينقد الفكر الديني، ومعلوم أن نقد فهم المفكر المسلم للنص الديني مختلف تمامًا عن نقد النص الديني ذاته، وهذا ما وقع فيه الدكتور العظم عندما حاول يائسًا أن ينفي عن الإسلام اهتمامه بكل علم نافع مع أن الأدلة على ذلك كثيره لا حصر لها في كتاب الله تعالى.

مأساة إبليس أم مأساة العظم؟!(*)

تحدثنا عن الخلط في المفاهيم التي وقع فيها الدكتور صادق جلال العظم في كتابه " نقد الفكر الديني " حين تعرض لعلاقة الإسلام بالعلم ونفى أن يكون في القرآن ما يشير إلى العلوم الحديثة، وإن ما جاء فيه تحت مادة " العلم " مقصود به العلوم الدينية فقط، ودللنا على خطأ رأيه بما أوردناه من أدلة يمكن الرجوع إليها في مظانها.

واليوم نناقش قضية أخرى من قضايا الكتاب وهي " مأساة إبليس " وقبل أن ندخل في حورا مع الدكتور العظم حول هذه القضية نود التقديم لهذا الحوار بعرض مجموعة من الحقائق لها علاقة وثيقة بموضوع الحوار، وهذه الحقائق هي:

الحقيقة الأولى: إن الله تعالى خلق الملائكة من نور وجعل من صفاتهم أنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فقد جبلهم على عمل الخير فقط، فهم ليسوا مخيرين في الطاعة أو المعصية، وخلق سبحانه وتعالى خلقًا آخر من نار هم الجن، وخلق ﷻ خلقًا ثالثًا هم البشر المنسوبون إلى آدم عليه السلام، وآدم خلق من طين، والصنفان الأخيران وهم الجن والإنس هما موضوع التكليف جعلهم الله تعالى مخيرين بين الطاعة والمعصية، فمن يختار الطاعة ويخلص فيها يرقى إلى مراتب عليا قد تفوق درجة الملائكة، ومن يختار المعصية ويصر عليها ينزل إلى أسفل سافلين ويكون مع إبليس وأعوانه.

(*) أخبار الخليج (البحرين).

الحقيقة الثانية: " إن إبليس كان من الجن وما وجوده مع الملائكة إلا لأنه أخلص في العبادة، فلما عصى أمر ربه لعنه الله وأخرجه من رحمته، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾[1].

الحقيقة الثالثة: إن السجود الذي أمرت به الملائكة ومعهم إبليس لم يكن سجود عبادة، ولكن كان سجود تكريم لآدم هذا المخلوق الذي خلقه الله تعالى ليكون خليفة في الأرض، وزوده بالعلم والمعرفة ليكون أهلًا لهذه الخلافة، وتأكيدًا لهذه الأهلية أمر الملائكة والجن ممثلين في إبليس بالسجود له ليلفتهم إلى منزلته وقدره عند مولاه .ﷻ

ودليلنا على أن السجود هنا هو سجود تكريم لا سجود عبادة، إن الله تعالى لا يأمر عبادة بالشرك وقد نهى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[2].

والسجود هنا في حق آدم عليه السلام مثل الصلاة في حق رسول الله ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[3]. فهل الصلاة هنا هي عين الصلاة (العبادة) التي نؤديها لله تعالى أم إنها دعاء وتكريم لرسول الله ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء والمرسلين وصفوة الخلق أجمعين؟

الحقيقة الرابعة: إن الله تعالى استأثر بعلم الغيب عنده، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[4].

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠.

(٢) سورة النساء الآية ٤٨.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

(٤) سورة النمل الآية ٦٥.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[1].

الحقيقة الخامسة: زعم إبليس إنه خير من آدم لا لشيء إلا لأنه خلق من نار وآدم من طين، والسؤال هو: هل الخيرية لذات المادة أم للمهمة التي تقوم بها هذه المادة؟ فالله تعالى خلق البشر جميعًا من أب وأم متساويين في أصل الخلقة وجعل مجال التفاضل والخيرية فيما بينهم «التقوى» قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[2]. وحين أمر الله تعالى الملائكة ومعهم إبليس بالسجود لآدم كان هذا إشارة منه سبحانه، ودليلًا على أن آدم بالمهمة التي خلق من أجلها أعظم منزلة وأعلى قدرًا من بقية خلقه.

الحقيقة السادسة: إن الخلق جميعًا لا يملكون أن ينزلوا أنفسهم المنزلة التي يطمحون إليها، بل الله تعالى هو الذي يضعهم حيث يشاء، وإبليس حين اعترض على مولاه ﷻ بقوله: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾. جاء ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾[3].

لقد ظن إبليس بفهمه القاصر وبتكبره إنه خير من آدم عليه السلام، وحاول أن يزكي نفسه. وينزلها منزلة لا يستحقها فكان جزاؤه اللعن إلى يوم الدين..

في ضوء هذه الحقائق الست نبدأ حوارنا مع الدكتور صادق جلال العظم، فنقول: إن المأساة التي ذكرتها في كتابك «نقد الفكر الديني» ليست هي مأساة إبليس، وإنما هي مأساتك أنت يا دكتور في تعاملك مع كتاب الإسلام الخالد، مع القرآن الكريم الوحي المنزه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ

---

(١) سورة سبأ الآية ١٤.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٣) سورة الإسراء الآية ٦١.

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ والذي حوى حقائق الوجود كلها، القرآن الكريم يا دكتور حين قص على رسول الله ﷺ وعلينا من بعده قصص الأمم الغابرة لم يكن يروي لنا الأساطير بل كان يقص علينا أحسن القصص ولو رجعنا إلى مادة «قص» في القواميس لوجدنا إنها من قص الأثر أي أن هناك أثرًا نسير خلفه ليقودنا إلى أحداث وقعت بالفعل، يقول الله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾[1].

فما جاء في القرآن الكريم حق ولا صلة له بالأساطير والخرافات التي فتن بها الدكتور العظم وجعلها من مصادرة الرئيسة عن إبليس وما جرى له نتيجة عصيانه.

لقد اختلط الأمر على الدكتور العظم مرة أخرى حين ظن أن إبليس كان من الملائكة لا لشيء إلا لأنه كان معهم حين صدر إليهم الأمر الإلهي بالسجود، ومعلوم أنه وصل إلى درجتهم لإخلاصه في العبودية لله تعالى قبل أن يتكبر، وبسبب هذا الخلط نفى الدكتور العظم عن الملائكة إنهم مجبورون على الطاعة[2].

وبسبب عدم إيمان الدكتور العظم بعصمة القرآن الكريم من التحريف والتزييف، وإنه الكتاب الذي عجزت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، فإنه يجعل الأسطورة مصدرًا من مصادر القرآن الكريم[3].

ينكر الدكتور العظم أن الله وإبليس والجن، والملائكة والملأ الأعلى تشير إلى مسميات حقيقية فيقول: «سأختم هذا الجزء من بحثي بالتأكيد على أن كلامي عن الله وإبليس والجن والملائكة والملأ الأعلى لا يلزمني على الإطلاق بالقول أن هذه الأسماء تشير إلى مسميات حقيقية موجودة ولكنها

---

(١) سورة يوسف الآيات ١-٣.

(٢) انظر كتاب نقد الفكر الديني/ ص ٦١.

(٣) نفس المصدر/ ص ٥٨.

غير مرئية. إن تركيب اللغة يتطلب مني بطبيعة الحال أن أكتب وأتكلم بطريقة معينة توحي في الظاهر وكأن الشخصيات التي أذكرها موجودة بالفعل ولكن يجب ألا يخدعنا هذا الوهم اللغوي»[1].

أرأيت عزيزي القارئ إلى أين وصلت مأساة العظم؟ فهو حين تكلم في هذا الفصل من كتابه من " مأساة إبليس " فإنه في الحقيقة يتكلم من مأساته هو مع الوحي، ومع كتاب الإسلام الخالد الذي تحدى الله تعالى به جميع الخلق في أن يأتوا بسورة منه فلم يقدروا، وظل التحدي قائمًا والعجز أيضًا قائمًا.. وما يفعله الدكتور صادق جلال العظم ومن يسير على نهجه ما هو إلا حرث في البحر وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[2].

وسيظل القرآن العظيم كما وصفه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[3].

(١) نقد الفكر الديني/ ص ٥٩.
(٢) سورة الكهف الآيات ١٠٢ ـ ١٠٦.
(٣) سورة الكهف الآية ١٠٩.

سلامة موسى والحجاب(*)

الذي يتأمل منهج «سلامة موسى» في الإصلاح يرى أمرًا عجبا، فهو بقدر ما يتشدد في دعوة غيره وبالأخص المسلمين إلى أمر من الأمور فهو يكون أول مخالف لهذا الأمر وأول مترخص ومتساهل فيه..

دعا إلى تحديد النسل وأقر بلسانه أنه أول من خالف هذه الدعوة نزولًا عند رغبة زوجته التي كانت تتمنى ـ كعادة النساء دائمًا ـ أن تنجب ولدًا ذكرًا حتى بلغ عدد الإناث ثمان وكان التاسع ذكرًا.. ودعا إلى أن تعمل المرأة وجعله شرطًا لازمًا ـ لو كان الأمر بيده ـ ألا يسمح للمرأة بالزواج ما لم تحضر شهادة تثبت فيها أنها عملت في مجال الرجال أي في اختلاط خمس سنوات، وأقر أيضًا وبلسانه وسجله في بعض كتبه أن بناته تزوجن جميعهن وهن سعيدات ناجحات دون أن تعمل واحدة منهن فضلًا عن أن يكون هذا العمل في وسط مختلط مع الرجال.

إذن، فسلامة موسى يقصد بهذه الدعوات المسلمين فقط، هو يريد أن يحدد نسل المسلمين، ويريد أن تختلط نساء المسلمين مع الرجال أما بناته هو.. أما نسله هو فلا وألف لا!!

من خلال هذا المنهج الإصلاحي الغريب والعجيب يجب أن ننظر إلى دعوته في مهاجمة الحجاب، وجعله السبب الأول والأخير في المصائب والمحن والكوارث التي تقع بالعرب..

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٠/١٢/٢١م.

في كتابه «مقدمة السوبرمان» يقول سلامه موسى: «والحق إننا الآن بواسطة هذا الحجاب نعيش في العالم وكأننا في محجر بمثابة المجذومين لا يمسهم أحد. نتجنب الناس والناس يتجنبونا. فالعالم المتمدين يجري مع نسائه على قواعد الحرية والمساواة، إلا نحن فإننا نحبسهن، فنعطل كفاياتهن ونقف أمام الأوروبيين موقف المتوحشين»[1].

ويقول: «للحجاب أثر آخر وهو أنه يحمي المرأة البلهاء أن يكشف نقصها أمام خطيبها، فتتزوج وتنسل نسلًا عجيبًا، له نصف بلاهتها، من حيث إنه لو كان هناك سفور لما أتيح لمثلها الزواج، لأن الحديث المتكرر مع خطيبها يقفه على مدى فهمها فيتجنبها. فإن كان مستوانا الذهني أحط مما هو عند غيرنا من الأمم فإن هذا يعزي أكثره إلى حجاب المرأة.

وخلاصة القول ـ يقول سلامة موسى ـ إن في العالم روحًا جديدة غايتها الانطلاق من قيود التقاليد، وتحسين نسل الإنسان والسير به نحو السوبرمان، وإزالة جميع العراقيل التي تقف في طريقه سواء أكانت اجتماعية أم دينية»[2].

هذا هو موقف سلامة موسى من الحجاب، ولا شك إنه يقصد الحجاب الإسلامي الذي ترتديه نساء المسلمين، فهو يحمل هذا الحجاب كل عيوبنا وتخلفنا، ولا أدري ما علاقة الحجاب بالذكاء؟! أليس الذكاء نعمة من الله تعالى يهبه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء؟

ألا يوجد في النساء اللاتي لا يلبسن الحجاب بلهاوات وغبيات؟

وسؤال أوجهه إلى من يسير على منهج سلامة موسى..

هل تجرأ سلامة موسى عند إعلان دعوته هذه ضد الحجاب أن يصف الراهبات بالغباء والبله؟

---

(١) مقدمة السوبرمان/ ص ٣٤.

(٢) نفس المصدر السابق ٣٤.

لا شك أنه لم يتجرأ على ذلك لأن ارتداء الراهبات لذلك اللباس الخاص والقريب من الحجاب الإسلامي لم يمنع عقولهن من أن تفكر، وأن يتمتعن بالذكاء وحدة الذهن.

ويصل سلامة موسى في نهاية حديثه عن الحجاب إلى الهدف الذي حاول ألا يعلنه صراحة وهو إزالة العراقيل الاجتماعية والدينية.

نعم يريد إزالة الدين من حياة المسلمين.. الدين الذي يحمي الإنسان من شهواته، ويحصنه من أهوائه، ويرسم الطريق السوي إلى حياة مثلى يطلق فيها لعقله ولإمكاناته العنان لترتاد آفاق الحياة الرحبة.

إن نساء الرسول ﷺ ونساء المسلمين كن محجبات ولم يمنع ذلك من أن يصبحن رائدات، وخالدات في صفحات التاريخ.

إن الحجاب ستر للمرأة. وعفة لها وحماية لكرامتها وهو لم يكن في يوم من الأيام سببًا في التخلف والبله والغباء ولن يكون..

وأما دعوة سلامة موسى ومن يسير على نهجه فإن ما ذكرنا من سيرته ومخالفته لكل ما يدعو إليه يجعلنا نرد دعوته في محاربة الحجاب لأنه ثبت بطلان دعواته جميعها وفساد نواياه، ولقد أثبت التاريخ والواقع ذلك.

أميّة الرّسول.. بين الكتاب والسنة [١](*)

اعتاد الأستاذ محمد العزب موسى مدير التحرير أن يحتفظ لي بأية جريدة أو مجلة تضم مقالة أو بحثًا عن الإسلام، وقد يكون هذا البحث أو تلك المقالة تمدح في الإسلام أو تذم فيه، المهم أنه يحتفظ بها عنده وبمجرد أن يلمحني داخلًا مبنى الجريدة ـ جريدة أخبار الخليج ـ حتى يسارع إلى إعطائي المجلة أو الجريدة وهي خدمة أقبلها منه بكل الشكر والعرفان.

وكعادتي كنت في زيارة للأستاذ العزب في مكتبه في مبنى الجريدة وإذا به يقدم لي مجلة ويقول لي: فيها مقال يهمك فخذها لتطلع عليه. كان المقال الذي يشير إليه الأستاذ العزب عبارة عن عرض وتلخيص لمخطوطة كتاب للشاعر الرصافي[١] حول الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس وموضوع الكتاب واضح من عنوانه وهوحياة الرسول ﷺ من يوم مولده حتى يوم وفاته، وقد قام بعرضه الأستاذ ذو النون أيوب والأستاذ ذو النون يصف الكتاب بأنه جريء جدًا، وأن هذه الجرأة من الأسباب التي حالت دون طبعه في آلاف النسخ وبذله للقراء كما أنه يستعرض بعض الآراء الجريئة بل المفتريات التي أطلقها الرصافي في مخطوطته منها: إنه ﷺ ما كان أميًا وإنه كان يكتب ويقرأ وأن كلمة أمي إنما جاءت من أن العرب كانوا أميين لأنهم لم يكونوا أصحاب كتاب سماوي كاليهود والنصارى، وإنه عليه الصلاة

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٧٨/١٢/٢٢م.

(١) هو الشاعر معروف الرصافي (العراقي) وهو شاعر مبدع متمكن.

والسلام كان حديدي الأعصاب إلى حد الإصابة بنوبات عصبية وأن ما يراه من رؤى إنما كان حصيلة ما كان يتمتع به من صفات، وسوف نناقش هذه الآراء مستعينين في ذلك بالكتاب والسنة.

إن ما ذهب إليه الرصافي من نفي الأمية عنه ﷺ أمر يدعو إلى العجب أمام النص القرآني الواضح الذي لن يستطيع الرصافي أو غيره أن يؤولوه إلى غير معناه الظاهر لأنه لا يوجد أي دليل أو حاجة إلى ذلك التأويل.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1]. ولا أعتقد أن هناك مكابرًا واحدًا يقول إنه بإمكانه أن يصرف الآية إلى معنى آخر غير عدم معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة والذي يؤكد لنا ذلك إن الحق سبحانه وتعالى جعل عدم معرفته عليه الصلاة والسلام بالكتابة والقراء دليلًا على صدقه، ودفعًا لارتياب المبطلين الذين كانوا يتحينون الفرصة لإظهاره ﷺ بمظهر الكاذب الذي نقل معارفه وعلومه من أهل الكتاب وإنها كانت تملي عليه بكرة وأصيلا، ولقد رد الحق سبحانه وتعالى على إباطيلهم في آيات أخرى منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[2]. ولو استفتينا أصحاب البلاغة والفصاحة وأئمة التفسير عن معنى كلمة «أمي» لوجدنا أن محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ يقول في تفسيره (ج ١ ص ٢٩٦): «إن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب. وأرى أنه قيل للأمي أمي: نسبة له بإنه لا يكتب إلى أمة، لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه». والمعروف أن الطبري من أعلم العلماء باللغة العربية، وكتابه ـ جاء في دائرة المعارف الإسلامية أقدم كتاب في أيدينا لتفسير القرآن.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٨.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٣.

أما أبو حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٥٤، فيقول في تفسيره (البحر المحيط ج ١ ص ٢٦٩): «الأمي: الذي لا يقرأ في كتاب ولا يكتب، نسب إلى الأم، لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن في كتاب، أو لأنه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها، أو نسب إلى الأمة، وهي الخلقة، أو إلى الأمة، إذ هي ساذجة قبل أن تعرف المعارف» «وأبو حيان هو الآخر من أعلم الناس باللغة وعلومها في القرن الثامن»..

وجاء في " محيط المحيط " للبستاني أن " الأمي ": من لا يكتب أو من هو على خلقة الأمة وهو باق على جبلته. وقيل هو منسوب إلى أمة العرب وهي لم تكن تكتب ولا تقرأ فأستعير لكل من لا يعرف الكتابة ولا القراءة " ولو حاولنا أن نأتي بكل الشواهد من أقوال المفسرين على معنى كلمة " أمي " وإنها تعني من لا يعرف القراءة والكتابة لما استطعنا ذلك لأنها أكثر من أن تحصى ولكن يكفي أن نعلم أن كل التفاسير قديمها وحديثها تجمع على أن الرسول ﷺ كان أميًا انطلاقًا من الآية الصريحة في هذا الشأن.

وأما في الحديث فعنه ﷺ إنه قال: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا والشهر هكذا». رواه مسلم وغيره[1].

" وإنه ﷺ لما عقد صلح الحديبية وعندما جاء سهيل بن عمرو ممثلًا لطرف المشركين من قريش أمر علي رضي الله عنه بكتابه صحيفة العهد والصلح، وأملى عليه قائلًا: هذا ما عاهد عليه رسول الله قريشًا، فقاطعه سهيل وقال والله لو كنا نعلم إنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد ابن عبدالله. فقال رسول الله ﷺ إني رسول الله وإن كذبتموني والتفت إلى علي فقال: اكتب محمد بن عبدالله فقال علي: لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله ﷺ: أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها؟

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا طلب الرسول ﷺ من

---

(١) حديث رواه مسلم وغيره.

الإمام علي ﷺ أن يريه مكان الكلمة ما دام هو عالمًا بالقراءة والكتابة كما يدعي الرصافي.

وأيضًا فإن إجابته عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام لما طلب منه أن يقرأ بقوله: ما أنا بقارئ. لدليل قاطع على جهله ﷺ بالقراءة، ولو كان عالمًا بها لما أنكرها.

وأما تفسير الوحي بأنه نوبة عصبية تصيبه ﷺ لأنه حديدي الأعصاب فقول تافه لا يلتفت إليه وهو من مفتريات أعداء الإسلام من المستشرقين الذين لاهم لهم إلا أن يشوهوا وجه الحقيقة ولو استفتوا العلم في حقيقة النوبة العصبية لقال لهم إنها مرض يصيب الإنسان فيغيب عن الوعي أو يهذي بما لا يعرف أو يفقه وأين هذا من الوحي الذي يأتيه ﷺ وبمجرد أن ينفصل عنه يأخذ الرسول عليه الصلاة والسلام في إملاء ذلك الوحي على أصحابه آيات بينات عجزت الجن والإنس عن أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾[2].

إذن فصريح الآيات يدل دلالة لا شك فيها على أن ما يأتيه هو الوحي من ربه وليس نوبات عصبية.

وبعد..

فالذين يحاولون إثبات أن الرسول ﷺ كان عالمًا بالقراءة والكتابة إنما يهدفون من وراء ذلك إلى نفي القول بأن مصدر القرآن هو الله تعالى. إنما هو تجميع أو اقتباس مشوه كما يقول صاحب كتاب " صلة القرآن باليهودية

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٧.

(٢) سورة الزخرف الآية ٤٣.

والمسيحية»[1]. من الكتب السماوية الأخرى وأن الرسول ﷺ قد أخذ علومه ومعارفه من الرهبان، كل ذلك من أجل أن يبينوا تبعية الإسلام للأديان الأخرى، ولكن خلود هذا الكتاب العظيم وتأبيه على أية محاولة للتحريف والتبديل لأقوى دليل على أن مصدر هذا القرآن هو الحق سبحانه وتعالى وصدق الحق تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2].

(١) صلة القرآن باليهودية والمسيحية/ عاصم حفني ناصف.

(٢) سورة الحجر الآية ٩.

الرصَافي وشبهات حَول الرسول [٢](*)

ناقشت في الجزء الأول من هذا البحث الافتراءات التي ساقها " الرصافي " في مخطوطته المسماة بـ " الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس " والتي جاء فيها إنكاره لأمية الرسول ﷺ محاولًا إثبات أن القرآن الكريم ما هو إلا اقتباسات لمعارف وعلوم سابقة استقاها الرسول عليه الصلاة والسلام من مصادرها اليهودية والنصرانية..

وهو ـ أي الرصافي ـ في هذا يسير على النهج الذي سار عليه المستشرقون من أعداء الإسلام الذين حاولوا جهدهم أن يشككوا في مصدر القرآن. وجاء فيها في المخطوطة ـ أيضًا إنه ـ صلى الله ﷺ ـ كان حديدي الأعصاب إلى درجة إنه يصاب بنوبات عصبية، وهو التفسير الوحيد عند الرصافي للوحي الذي كان يتنزل عليه ﷺ، وهذه الفرية استكمالًا لما حاول أن يقرره عن أميته ﷺ ولقد رددنا على هاتين الفريتين مستعينين بالكتاب والسنة وكل ذلك كان بتوفيق الله تعالى وفضله.

واليوم نناقش " الرصافي " في شبهتين أو فريتين أطلقهما حول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وهما: أن الرسول ﷺ كان ثريًا، وإنه عليه الصلاة والسلام قد استثنى نفسه من قاعدة تعدد الزوجات. لم يذكر التاريخ أن أمة من الأمم حرصت على تسجيل حياة نبيها في أدق التفاصيل وأعظمها كما فعلت الأمة الإسلامية وهذا القول ليس فيه أدنى

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٧٨/١٢/٢٩م.

مبالغة ولا يستطيع أحد أن ينكره، والدليل على ذلك بسيط وميسر، فما على المنكر لصحة ما نقول إلا أن يتجه إلى المصادر اليهودية والنصرانية ليبحث عن حياة الأنبياء السابقين لخاتم الرسل محمد ﷺ وسوف يكتشف بنفسه إن هذه المصادر عاجزة عجزًا أكيدًا عن أن تعطي صورة واضحة لأولئك الرسل الكرام عليهم السلام. هذا إن لم يجد الصورة قاتمة ومشوهة لا تليق بمقام أولى العزم من الرسل الذين بعثهم الحق سبحانه وتعالى إلى الناس يهدونهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

أما نبينا عليه الصلاة والسلام وكما قلت في بداية البحث فإن المصادر الإسلامية تعطيك صورة واضحة ودقيقة عن حياته الخاصة والعامة في منزله بين زوجاته وحين يختلي مع ربه سبحانه وتعالى يتعبد وبين أصحابه المقربين إليه وعامة الناس وفي مسجده، وفي ساحة المعركة، وفي مجلس قضائه كل ذلك تجد له صورًا حية نابضة بالحياة مبثوثة هنا وهناك في المصادر القديمة والحديثة.

وكانت المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون لسيرته ﷺ كثيرة منها:

القرآن الكريم، وسنته ﷺ القولية والفعلية والتقريرية، وروايات زوجاته وأصحابه ومن اتصل سببهم بسببه في أية لحظة من لحظات حياته عليه الصلاة والسلام ولهذا ولأن المصادر صادقة وموثقة جاءت سيرته ﷺ متفردة وصادقة، ولأن مصادرنا عن حياة الرسول ﷺ صادقة وكثيرة فلن نعدم أدلة على كذب ما يدعيه " الرصافي " في مخطوطته، جاء في كتاب " في صحبة النبي " للأستاذ محمد صالح البنداق ص ٩٤ نقلًا عن القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي المتوفى سنة (٥٤٤هـ) في كتابه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " قوله: كتب القاضي عياض يقول: (وأما زهد النبي ﷺ في الدنيا فحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا " وقالت عائشة: " ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حتى مضى لسبيله.

وقالت ما ترك رسول الله دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا. وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك رسول الله ﷺ إلا سلاحه وبغلته وأرضًا جعلها صدقة. وفي حديث: إن جبريل نزل عليه فقال له: إن الله يقرئك السلام ويقول لك. " أتحب أن اجعل هذه الجبال ذهبًا وتكون معك حيثما كنت ". فأطرق ساعة ثم قال: " يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، قد يجمعها من لا عقل له ". وعن عائشة إنها قالت: " إن كنا آل محمد لنمكث شهرًا ما نستوقد نارًا، إن هو إلا التمر والماء ". وعن عبدالرحمٰن بن عوف: " مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير". وقال ابن عباس: " كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويًا لا يجدون عشاء " وعن عائشة: " إنما كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه أدمًا وحشوه ليف ". إن دليلًا واحدًا من هذه الأدلة ليكفي لدحض فرية " الرصافي " حول الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه كان ثريًا فضلًا عن هذه الأدلة مجتمعة.

أما عن اتهامه لرسول الله ﷺ في أنه استثنى نفسه من قاعدة تعدد الزوجات، فالرد عليه بسيط جدًا. عاش ﷺ بين قومه في طهر ونقاء لم يمارس ما كان يمارسه أترابه ومن هم في سنه في بيئة كان اتصال الرجال بالنساء فيها ميسر، وكان بعيدًا عن كل ما يشوه ذلك الطهر والنقاء. يقول مولانا محمد علي في (ص٢٥٤) من كتابه " حياة محمد ورسالته ": " ونحن نلاحظ أيضًا إنه عاش في بلد شديد القيظ مثل بلاد العرب، حياة عفيفة، بوصفه عزبًا حتى الخامسة والعشرين من عمره. إن طهارة خلقه قد طبق ذكرها الآفاق. وبعد ذلك عاش مع زوجة ـ زوجة كانت أرملة أيضًا، أرملة أكبر منه بخمس عشرة سنة ـ حتى بلغ الخمسين، هذه الحقائق كلها تفرض علينا أن نخلص إلى القول: إن عفته كانت ممتنعة امتناعًا كاملًا على الشبق والشهوة، ومع ذلك فقد تعين عليه ـ في كهولته تلك، عندما يعجز العقل الراجح عن اتهامه بالشهوانية إلا إذا أعماه الهوى ـ أن يتخذ أكثر من زوجًا لكي لا يظل هذا المظهر الذي لا سبيل إلى اجتنابه من مظاهر الحياة البشرية غير ممثل في حياة " القدوة الكاملة".

ولو رجع " الرصافي " إلى المصدر الموثق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى القرآن الكريم لوجد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾[1].

فالآية الكريمة تحدد في وضوح لا لبس فيه أن الذي استثنى الرسول ﷺ من قاعدة تعدد الزوجات إنما هو الحق سبحانه وتعالى وليس الرسول ﷺ نفسه كما يدعي " الرصافي ".

ولقد جاء في " الجامع لأحكام القرآن " في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي ما أوجبنا على المؤمنين، وهو ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة وولي.

وفي قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي فلا يضيق قلبك حتى يظهر منك إنك قد أثمت عند ربك في شيء.

ولكن كيف يعود " الرصافي " إلى القرآن الكريم ليستفتيه وهو ينكر أن القرآن وحي من السماء بمحاولته إثبات أن الرسول ﷺ لم يكن أميًا وأن مصدر معلوماته هو في قوة ذكائه وحسه المفرط وأن تلك المعلومات جاءت عن طريق القراءة والسماع والتأمل والتفكير، فلا عجب ورأيه في القرآن إنه مجموعة من المعارف اقتبسها الرسول ﷺ من القراءات والسماع والتأمل والتفكر أن يغفل أمر الآية الكريمة الواضحة ويتهم الرسول ﷺ بأنه استثنى نفسه من قاعدة تعدد الزوجات.

فإن الطعن في الإسلام ورسول الإسلام ﷺ لم يتوقف من يوم أن بعث الله تعالى رسوله هاديًا ومبشرًا إلى الناس كافة، وكانت تلك الطعنات

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٠.

تأتي دومًا من المستشرقين من أعداء الإسلام ولكن أن تأتي هذه الطعنات من أناس يتزيوا بزي الإسلام ويتسمون باسمه، فذلك الذي يحز في النفس ولقد صدق الحق سبحانه وتعالى في هؤلاء وأمثالهم حين قال: . . . ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[1].

(١) سورة الكهف الآية ٥.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث
الغرب والإسلام

* نصائح أمريكية.. للتصدير!!
* وما خفي كان أعظم!!
* نيكسون.. ينتهز الفرصة
* إنهم يشوهون الحقائق!!
* لن يخذل إسرائيل أبدًا..
* الغرب.. يستأنف حروبه الصليبية
* البوسنة والهرسك يصرخون.. وا إسلاماه
* إرهاب دولة أم إرهاب أفراد ويظل السؤال حائرًا؟
* بل أنتم الإرهابيون..
* الشجرة الخبيثة!
* يا لعارنا بأوروبا!!
* ليس حُبًا في اليهود ولكن بغضًا في الإسلام
* ١٩٩٢م عام الكراهية
* صفقات خاسرة
* ماذا يحدث في الصين؟!
* الغرب.. وانحطاط القيم

* المؤامرة
* سيبقى الإسلام رغم أنف الحاقدين
* لا تعينوا الشيطان الأوروبي عل صاحبكم..
* تلك هي حضارتهم
* الناكرون للجميل
* أمهات بالإيجار

نصائح أمريكية.. للتصدير!!(*)

في عام ١٩٥٣م رفع جيمس إيخلير غر خبير وزارة الخارجية الأمريكية بالأنظمة العسكرية في الدول النامية تقريرًا إلى إحدى الدول النامية قال في مقدمته هذه العبارة: " إن جوهر الحكم هو القوة " جلست أتأمل هذه العبارة التي وردت في كتاب مايلز كوبلاند ـ (لعبة الأمم) الصادر عام ١٩٧٠م في طبعته العربية، ترجمة مروان خير.. أقول: جلست أتأمل هذه العبارة وأنا أقلب النظر في مدلولها حيث إنها تحتمل أكثر من معنى، فالمتفائلون بعصر يسودة العدل والمساواة وتكافؤ الفرص يفسرون هذه العبارة على أن جوهر الحكم هو قوة العدل التي تقف مع المظلوم ضد الظالم، وتنصف الضعيف من القوي، وتعين أصحاب الحقوق للحصول على حقوقهم من غاصبيها، وبإيجاز بليغ جاء على لسان الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ حينما قال: «والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح (أرد) عليه حقه إن شاء الله تعالى، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى»(١).

أما المتشائمون الوجلون فيتبادر إلى عقولهم المعنى الآخر للقوة، وهو القوة الباطشة الظالمة المستبدة التي تقف مع الظالم ضد المظلوم، وتحابي القوي على حساب الضعيف، وتمكن الغاصبين لحقوق الناس من هذه الحقوق، وهذا النوع من الحكم الذي يوظف القوة من أجل البطش

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٠/٧/١٩٨٨م.

(١) كتاب أبي بكر الصديق/ للشيخ علي الطنطاوي.

والسيطرة والاستعلاء هو الحكم الدكتاتوري المستبد الذي عانت منه الشعوب طويلًا، ولا تزال آثاره باقية إلى الآن، بل إن معظم الأنظمة السائدة في عالمنا اليوم من هذا النوع، وإن تدثرت بدثار الخوف على مصلحة الشعوب، وادعت إنها تناضل من أجل مستقبل رغيد لهذه الشعوب وحينما نتوغل في التقرير المرفوع إلى حكومة تلك الدولة النامية من خبير وزارة الخارجية الأمريكية بالأنظمة العسكرية في الدول النامية جيمس إيخلبر غر نجد إنه من ضمن النصائح التي يوجهها لقادة الثورة قوله: إن اللجوء لأساليب القمع أمر لابد منه، وخاصة في المرحلة الأولى للثورة..

ثم نجده في مكان آخر من التقرير يشرح لنا قاعدة القمع فيقول: " إن قاعدة القمع والإرهاب التي يجب على حكومة الثورة أن تلجأ إليها عند الضرورة تتألف في هيكلها مما يلي:

١ ـ الأنظمة والقوانين.

٢ ـ قوى الأمن الداخلي

٣ ـ أجهزة المخابرات والمباحث ذات الكفاءة العالية.

٤ ـ وسائل الدعاية.

٥ ـ قوة عسكرية بكفاءة عالية أو الجيش[١]..

وهذه هي القاعدة التي سارت عليها الأنظمة التي حكمت شعوبها بالحديد والنار في جميع أنحاء العالم لا نستثني منها أحدًا..

وحينما نعيد التأمل في هذه النصائح التي سارعت تلك الدولة النامية بالعمل بمقتضاها ـ نجد إنها ليست للإستخدام المحلي، أعني إن هذه التوجيهات غير معمول بها في بلاد الخبير نفسه حيث نرى الديمقراطية هي النظام السائد في الولايات المتحدة الأمريكية، ونرى القادة والزعماء هناك يعملون ألف حساب لشعوبعم، ويبذلون غاية جهدهم في خدمة هذه

---

(١) كتاب " لعبة الأمم "/ مايلز كوبلاند/ ص ٢٦.

الشعوب وتوفير كافة الضمانات لهم ليمارسوا حرية التعبير عن آرائهم في كل صغيرة وكبيرة من شئون حياتهم وحياة زعمائهم..

نعم لم يقدم الخبير الأمريكي هذه النصائح لزعماء بلاده لأنها بضاعة للتصدير وممنوع استخدامها أو تداولها في الأسواق الأمريكية، أما أسواق الدول النامية فهي على استعداد لتلقي أي بضاعة " مزجاة " فنحن نتلقف كل ما يتساقط من موائدهم من الفتات..

ونقول: ليس عجيبًا أن يتكرم علينا أعداؤنا بهذه النصائح الغالية لأنهم يريدون إفساد الود بين الشعوب وحكامهم، ولكن الغريب حقًا أن يبادر الزعماء والقادة إلى العمل بهذه النصائح ودق إسفين بينهم وبين شعوبهم.

وما خفي كان أعظم!!(*)

تحت عنوان " في وثيقة أمريكية تاريخية ليس لليهود حق في فلسطين ". نشرت مجلة الإصلاح الإماراتية الصادرة يوم الخميس ١٩ ـ ٢٥ ربيع الأول ١٤١٣هـ، خبرًا مفاده إن وزارة الخارجية الأمريكية أفرجت مؤخرًا عن وثيقة مؤرخة في ١١ فبراير (شباط) ١٩٥١م، وهي الوثيقة التي وزعت في حينه على السفارات الأمريكية وتقول: إن اليهود باعتبارهم جماعة دينية لا يرتبطون تاريخيًا سوى بحائط المبكى وموقع أثري صغير على طريق القدس ـ بيت لحم يسمى " قبة راحيل " بل إن هذين الموقعين ـ تقول الوثيقة ـ لا يشكلان مناطق مقدسة لليهود على النحو الذي أقرته الوثائق المسماة بـ " الأوضاع الراهنة في فلسطين منذ العهد العثماني ".

الوثيقة شديدة الوضوح عميقة الدلالة تصفع المجادلين حول حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه والتمتع بحقه في تقرير مصيره..

الوثيقة تقول الكثير وبلسان عربي مبين بأن الوثائق التي تخفيها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الأخرى التي لها علاقة من بعيد أو قريب بقضية الشعب الفلسطيني هذه الوثائق كثيرة ودامغة لو خرجت من الخزائن الحديدية المصفحة لقالت الكثير ولأجابت على العديد من الأسئلة الحائرة.

إن هذه الوثائق لو رأت النور وسمح لها بالحديث لكشفت العديد من

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/٩/٢٥م.

المؤامرات والخطط التي دبرت بليل ونهار من أجل القضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا وهي آخر مظهر من مظاهر رعاية الإسلام لشئون المسلمين لو تحدثت هذه الوثائق لقالت الكثير عن نفوس صغيرة، كانت تطمح في الحكم والكرسي وفي سبيل ذلك باعت دينها وأمتها لأعداء الإسلام ووضعت يدها في يد قادة الدول الاستعمارية دعمًا لجهودهم في قتل الرجل المريض ـ هكذا كانوا يسمون الخليفة العثماني ـ الذي أبى أن يسمح ليهودي واحد أن تطأ قدمه أرض فلسطين الغالية، وكان المخططون من المستعمرين يرون أن الطريق إلى فلسطين يمر من خلال الخلافة الإسلامية في تركيا، وإن القضاء على الخلافة في تركيا شرط لازم لإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين الإسلامية، وليس هذا فحسب بل وتقطيع الجسد الإسلامي إلى اشلاء ليسهل التهامه والتمتع بلحمه وشرب دمائه.. هذه واحدة من الوثائق التي سمحت وزارة الخارجية الأمريكية بإخراجها بعد مرور ما يقرب من واحد وأربعين سنة عليها وأصبحت عديمة الجدوى بعد أن استطاع الغرب أن يسلب من المسلمين إرادتهم ويجعلهم أذلة بعد أن كانوا أعزة، وتابعين بعد أن كانوا متبوعين، هذه الوثيقة خطيرة بالفعل لو كان العرب في قوتهم ويملكون كامل إرادتهم في أن يقولوا لا حينما يشاءون، ويقولوا نعم عندما يريدون..

كان لهذه الوثيقة أهمية حقًا لو لم يبعد الإسلام عن قيادة حركة الحياة اليومية في بلاد المسلمين..

بعد أن أصبح الإسلام محجورًا عليه ويعيش تحت الإقامة الجبرية في المساجد ويحرم عليه أن يخرج إلى الناس يرعى شئونهم، ويحل مشاكلهم، كما يحرم على الناس أن يأخذوا من الإسلام أكثر من العبادات والطقوس، ولكن أن يكون للإسلام دور في التربية والتعليم وفي الإعلام، وفي الاجتماع، وفي الحكم، وفي القضاء، وفي السياسة الخارجية، وفي إدارة شئون المال والاقتصاد فتلك أمور محرمة عليه، وهي مناطق محظورة مليئة بالألغام والمتفجرات ويحسن بالإسلام إذا أراد النجاة بنفسه، والحفاظ على حياته ألا يقرب هذه المناطق وألا تسول له نفسه أن تطأ قدمه تلك الأرض

الشائكة.. وكما أن هذه الوثيقة تقول الكثير عن إهمال المسلمين لإسلامهم، بل ومحاربته في أحيان كثيرة، فإنها تقول الكثير أيضًا عن مشاعر الحقد والكراهية التي تسود الأمم الغربية تجاه الإسلام والمسلمين بل هذه المشاعر البغيضة هي التي ترسم سياساتهم تجاه الدول الإسلامية وتهيمن على صناع القرار في تلك الدول..

إن الكم الهائل من الحقد والكراهية الذي تحمله الدولة الغربية تجاه الإسلام ومحاولاتهم الدائبة لإظهار الإسلام بإنه إنما جاء ليهدم الحضارة وليفرض روح التخلف والرجعية على الناس كل هذا من أجل الإبقاء على الشعوب الإسلامية ضمن دائرة نفوذ هذه الدولة الاستعمارية والسيطرة والاستحواذ على منابع الخيرات التي أكرم الله تعالى بها المسلمين..

هذه وثيقة واحدة فما بالكم ببقية الوثائق وما خفي كان أعظم!!

نيكسون.. ينتهز الفرصة(*)

الرؤساء الأمريكان ليسوا كغيرهم من الرؤساء، فهم حتى بعد مغادرتهم للبيت الأبيض يظلون على ولائهم القديم لهذا " البيت " وتداعب رؤوسهم احلامهم في العودة مرة أخرى وفي انتخابات جديدة، فهم ذاقوا حلاوة وجودهم فيه ولا يمكنهم أن ينسوا ذلك فهم يعملون ليلًا ونهارًا في خدمة شعبهم ليكونوا أهلًا في الانتخابات القادمة للفوز بمنصب الرئاسة، وهناك بجانب الشعب الأمريكي شعب آخر لابد وأن يرضيه مرشح الرئاسةالأمريكية، ويعتبر إرضاء هذا الشعب هو الورقة الرابحة والمضمونة في سباق الوصول إلى البيت الأبيض الأمريكي.. هذا الشعب هو اليهود الذين يمثلون القاسم المشترك في كل انتخابات أمريكية وأي مرشح يود الوصول إلى البيت الأبيض والتربع على كرسي الرئاسة في المكتب البيضاوي عليه أن يعطي إسرائيل من الدعم السياسي والمالي والعسكري حتى ترضى إسرائيل، وإذا رضيت إسرائيل رضي اليهود الذين في أمريكا، وإذا رضي اليهود الأمريكان فاز مرشح الرئاسة ووصل إلى البيت الأبيض ليكون أول عمل يقوم به هو إنفاذ الوعود والعهود التي قطعها على نفسه أثناء حملته الانتخابية.. ويصحو الرئيس الجديد من غفوته على الفكرة بعد أن ذهبت السكرة، وإذا هو مطالب باعتماد الكثير من الطلبات الإسرائيلية..

يأتي في هذا السياق كتاب " انتهزوا الفرصة " الذي ألفه الرئيس

(*) أخبار الخليج (البحرين) ٨/٥/١٩٩٢م.

الأمريكي الأسبق نيكسون ووصم المسلمين فيه بأنهم العدو الوحيد للغرب بعد سقوط الشيوعية، وقال عن المسلم: " إنه غير متحضر ويعشق سفك الدماء، وإن حكام المسلمين يسيطرون على ثلثي بترول العالم وشنوا ثلاثة حروب لمحو إسرائيل من الوجود "[1].

إن حقد الغرب على الإسلام حقد أصيل متجذر في عمق التاريخ منذ زوال الأمبراطورية الرومانية، وتداعي بنيانها بفعل الأيدي المتوضئة التي كانت تهتف في يقين ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

إن الغرب لم يكن في يوم من الأيام صديقًا للمسلمين، ولا يريد الخير لهم إلا إنه كان في الماضي يستر هذا العداء ولا يظهره، فلما قضى وطره، وحقق مآربه أعلنها صريحة مدوية.. الإسلام هو العدو الوحيد للغرب.. المسلمون هم أمة متوحشة تسفك الدماء.. الحكام المسلمون يسيطرون على ثلثي نفط العالم، الحضارة المعاصرة مهددة بالزوال على أيدي المسلمين!! يجب محاربة الإسلام بنشر المسيحية ودعم إسرائيل.. تكريس بقاء الأنظمة التي تحقق لهم ذلك.. تطوير قدرات إسرائيل العسكرية والحد من تسلح دول الإسلام.

أهداف استراتيجية يسعى إليها الغرب في سعيه الحثيث لخلق نظام عالمي جديد يقوم على وحدة القيادة وجمع الخيوط كلها في يد دولة واحدة.

والسؤال: هذا ما يصنعه الغرب ويخطط له، فما هو دورنا في إبطال خططه، وإفساد مشاريعه؟

إني لا أملك الجواب على مثل هذا السؤال ولكنه مطروح لأولي الأمر الذين بيدهم مقاليد البلاد الإسلامية، وعليهم وحدهم يقع عبء ليس الجواب الشفوي فقط بل الفعل الإيجابي.

(١) مجلة " المجتمع " الكويتية/ العدد ٩٩٨.

إنهم يشوهون الحقائق!![*]

" زبيجنيو بريجينسكي " اسم مشهور في عالم السياسة الأمريكية، فقد كان مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، وهو الآن يشغل منصب أستاذ مادة السياسة الخارجية الأمريكية في معهد " بول نيتز للدراسات الدولية العليا " في جامعة جونز هوبكنز، ومستشار لدى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، وهو بكل تاريخه السياسي مؤهل لأن يعطي رأيًا يستحق النظر في قضايا المنطقة وبالأخص ما يتعلق بالمسلمين وقضاياهم المصيرية.. التقته مجلة " المجلة " وأدارت معه حوارًا ثريًا تحدث فيه عن العديد من القضايا التي لا تزال ساخنة.. تحدث عن موقع الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الدولية وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.. وتحدث عن الدور المنوط بالولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه بمفردها في الساحة الدولية، بعد غياب الشريك الذي كان يتقاسم معها زعامة العالم، وكان له تأثيره في التوازنات العالمية.. وتحدث المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي عن القوة والبعد الأخلاقي، وحذر من الهلال الإسلامي الذي قد يصل إلى الصين ويكون عرضة للتدخل الأجنبي، وحذر من فقد أمريكا للثقة والاحترام، وتحدث كذلك عن أن أمريكا ستظل طيلة العقد الحالي وحتى بعد بداية القرن التالي تقوم بدور الوسيط الرئيسي في فض نزاعات سياسة القوة في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط[1].

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٤/٥/١٩٩٣م.

(١) مجلة المجلة " اللندنية " العدد ٦٨٩ (٣٠ شوال ـ ٦ ذو القعدة ١٤١٣ هـ).

ويقول المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي محذرًا أمريكا " ومكمن الخطر البعيد المدى في هذا الصدد هو أن الولايات المتحدة قد تنزلق إلى التورط في صراع طويل الأمد ينشب في إحدى بؤر التوتر التي لا تكاد تخلو منها هذه المنطقة، أضف إلى ذلك ـ الحديث مازال للمستشار السابق ـ إنها ـ أي أمريكا ـ ربما تقع في هوة خلاف ثقافي فلسفي خطير مع العالم الإسلامي الذي تتخوف بطبيعة الحال من ميوله إلى الحكم الديني وتياراته الأصولية، لكنها تنزع أيضًا إلى تشويه سمعته والتجني عليه بصورة مبالغ فيها إلى حد بعيد.

ويقول: وعلى الغرب أن يعني جيدًا أن بليون مسلم لن تروق لهم صورة الغرب نفسه وهو يبدو لهم مثل واعظ يبشر بالقيم المادية الصرفة ومزايا الانحلال الخلقي ونعمة الإلحاد! فمثل هذا الخطاب الغربي عامة (والأمريكي خاصة) منفر لأكثر المسلمين[1].

ويضيف قائلًا: " ثم إن محاولة تصوير (الأصولية) الإسلامية بوصفها مصدر الخطر الجديد المحدق بالغرب ـ وكأنها وريث الشيوعية في آداء الدور العدائي ـ إنما هي نظرة مفرطة السذاجة، فالنعرات الدينية الداعية إلى التطرف السياسي قليلة نسبيًا في العالم الإسلامي "[2].

وحذر أمريكا من الوقوع في وهم أن العالم الإسلامي: " يقف على أهبة الاستعداد ومدججًا بالأسلحة النووية لإعلان الجهاد ضد الغرب! وقال: ولو عملت أمريكا وفقًا لأي افتراض من هذا القبيل فإنها سوف تجازف بتحقيق نبوءة هي من صنع الخيال أساسًا "[3].

هكذا تشوه أمريكا الحقائق، وتحاول جاهدة اتهام الإسلام بالعدوانية وهكذا تعيش أمريكا في وهم هو من صنعها وحدها بأن العالم الإسلامي

---

(١) المجلة (المصدر السابق).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

يتأهب للانقضاض عليها ولذا فهي تبذل كل ما تستطيع دفاعًا عن نفسها في أن تساند كل قوى البغي والعدوان من أجل القضاء على الإسلام وإن لم تستطع ذلك فهي تعمل ليلًا ونهارًا من أجل تشوية حقائق الإسلام الناصعة، وتظاهر كل ساقط منحل من البشر يحارب الإسلام، ويدس له، ولهذا فلا نعجب أبدًا من وقوف أمريكا اللامحدود مع العصابة الصهيونية الحاقدة التي تحتل أرضًا إسلامية عزيزة على المسلمين وهي فلسطين، ولا ندهش حينما تسعى أمريكا جاهدة إلى تأخير نجدة أخوتنا في العقيدة في جمهورية البوسنة والهرسك ونراها تماطل وتسوف في اتخاذ قرار يقضي برفع حظر الأسلحة عن البوسنة والهرسك، وتشكك في جدوى التدخل العسكري في يوغوسلافيا السابقة، بينما لم تتوان لحظة واحدة في التدخل في حرب الخليج لأن الطرفين المتنازعين من المسلمين، ولأن سرعة تدخلها يحقق لها أمنيات كانت تحلم بها..

إن المنظمة الدولية لم تشهد في تاريخها سرعة تنفيذ قراراتها كما حدث في حرب الخليج، وهي كذلك لم تشهد مماطلة وتسويفًا كالذي يحدث بالنسبة للقرارات المتعلقة بقضية فلسطين حيث ظلت المنظمة الدولية تسوف وتماطل ما يزيد على أربعين سنة، وهي تفعل نفس الشيء مع القرارات المتعلقة بالبوسنة والهرسك، وشهد شاهد من أهلها، وها هو المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي يضع النقاط على الحروف، ويفضح أسطورة أمريكا الديمقراطية، ويكشف وجهها القبيح في معالجة قضايا الآخرين، وخاصة إذا كان هؤلاء الآخرون هم من المسلمين.

فأمريكا تشوه سمعة العالم الإسلامي، وأمريكا واعظ تبشر بالقيم المادية الصرفة ومزايا الانحلال الخلقي ونعمة الإلحاد.. وأمريكا تصور الأصولية الإسلامية بأنها مصدر الخطر الجديد، وهذا في رأي المستشار السابق للأمن القومي، نظرة مفرطة السذاجة..

هذا ما قاله زبيجنيو بريجينسكي المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي وأستاذ مادة السياسة الخارجية الأمريكية، والمستشار لدى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية هذا ما قاله عن أمريكا ولم نقله..

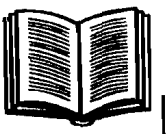

لن يخذل إسرائيل أبدًا..(*)

أمر عادي جدًا أن يخطب مرشح الرئاسة الأمريكية ود اليهود في أمريكا وخارجها، فاليهود أصحاب الحق الشرعي في أمريكا وفي غير أمريكا، يشترون بأموالهم وبفضائحهم ذمم المرشحين للرئاسة الأمريكية، فلا يصل رئيس إلى البيت الأبيض الأمريكي إلا من خلال اليهود، ويكفي المرشح الأمريكي لينال شرف الوصول إلى البيت الأبيض أن يؤكد في كل ولاية يزورها دعمه لليهود، ووقوفه مع إسرائيل، ولم يشذ مرشح الرئاسة الأمريكي عن الحزب الديمقراطي بيل كلينتون عن هذه القاعدة، فقد كانت إسرائيل، وأمن إسرائيل، وضمانات القروض لإسرائيل حديثه المفضل في حملته الانتخابية، ولقد أعطى بيل كلينتون من الوعود لإسرائيل الشيء الكثير وأكد في ثقة أنه لن يخذل إسرائيل أبدًا إذا وصل إلى البيت الأبيض.. وأمام الندوة اليهودية التي عقدت في يونيو الماضي هاجم كلينتون الرئيس بوش بأنه ألحق " ضررًا خطيرًا " بالعلاقات مع إسرائيل.

وقال إن إدارة بوش: " ضغطت على إسرائيل بلا كلل لكي تقدم في عملية السلام تنازلات من طرف واحد "..

ولا أدري أية تنازلات يتحدث عنها كلينتون، ربما أخطأ في العبارة وبدل أن يقول " العرب " قال " إسرائيل ".. فالعرب وحدهم الذين قدموا التنازلات، وإسرائيل كانت دائمًا تأخذ دون أن تعطي.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/٨/٧م.

إن أجمل صفة في العرب إنهم ينسون، والأجمل منها إنهم يتناسون، فليطمئن الرؤساء الأمريكان إلى هذا وليعطوا إسرائيل ما تشاء من دعم وفوق ما تشاء، وليقفوا معها دائمًا صفًّا واحدًا، وليقدموا لها من ضمانات القروض ما تشاء وفوق ما تشاء، فإن العرب ينسون، أو يتناسون، وحتى عندما يذكرون فإنه لا خوف منهم، فهم لا يشكلون هاجسًا لأمريكا، فلماذا تتردد في دعم إسرائيل؟ ولماذا تتباطأ في منحها الضمانات التي تريد؟

إن أمريكا لن تتشدد في مواقفها مع إسرائيل ما لم تر تشددًا من جانبنا، ولكن هيهات أن يحدث هذا بعد الذي فعله حاكم العراق صدام حسين الذي قدم للغرب على طبق من ذهب مرصع بأنفس الجواهر، العالم العربي هدية مجانية.

هنيئًا لك مقعد الرئاسة يا كلينتون، فقد عرفت من أين تُوكل الكتف، وعرفت الطريق إلى البيت الأبيض دون أن تعترضك أية عقبات، وما دمت اجتزت العقبة الكؤود وهي إسرائيل، فإنك لا محالة واصل، وإن لم تصل في هذه المرة فإنك لا شك واصل في مرات قادمة، فقد تعودنا نجاح من يقف مع إسرائيل.

الغرب.. يستأنف حروبه الصليبية(*)

الحروب الصليبية ضد الإسلام لم تنته بعد.. هذه حقيقة لا يمكن الجدال حولها، وأقول: الحروب الصليبية ضد الإسلام، ولا أقول: ضد المسلمين، لأن الإسلام هو المستهدف أما المسلمون فهم أتباع للغالب عسكريًا وحضاريًا، ولا جدال في أن الغرب في هذه الآونة هو المنتصر والمسلمون هم المهزومون، أما الإسلام فلن ينهزم مطلقًا، إنه دين الله الخاتم، الذي تكفل بحفظه ورعايته، ونشره، ومن هنا تأتي القسوة والشدة في الحروب المعلنة والخفية ضد الإسلام، وكلما كان الخصم شديدًا وعنيدًا كلما احتاج لهزيمته استخدام كافة أنواع الأسلحة أيًا كانت درجة خستها ودناءتها وضعتها..

الغرب حاقد على الإسلام حقيقة أخرى لا يخامرنا أدنى شك في صحتها.. الغرب يريد القضاء على الإسلام، وعلى عناصر القوة فيه، حقيقة ثالثة لن تحتاج جهدًا ولو يسيرًا لإثباتها..

الغرب يخاف الإسلام، بل هو يعيش في رعب قاتل من أن يصحو الإسلام من جديد في نفوس المسلمين ليقود خطاهم إلى طريق العزة والكرامة حقيقة رابعة ليست قابلة للنقاش.. هذه الحقائق يجب أن يعيها المسلمون، ويجب أن يتعاملوا مع الغرب ومع حضارة الغرب بمقتضاها.

سياسيو الغرب ومفكروه يعلنون صباح مساء أن العدو الباقي في

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩١/١٠/٤م.

الساحة بعد هزيمة الشيوعية هو الإسلام، ولابد من أن ينهزم الإسلام كما انهزم غيره، وهم لا يطلقون التصريحات المجردة بل يتبعونها بالعمل الجاد.. نعم هم يبحثون عن أية وسيلة ممكنة لطعن الإسلام طعنة نجلاء تقضي عليه، يشككون في مبادئه وقيمه، ويشيعون الفساد بين أهله، الفساد الخلقي، والفساد الفكري، يقفون دومًا مناصرين ومروجين للعقائد الباطلة، وللأفكار المنحرفة..

يوظفون بعض أبنائه للعبث بعقائده وتصوراته، ويمدونهم بالمال والدعم ليحققوا المهمة الموكولة إليهم، ولذلك لا نستغرب حين يخرج كاتب يزعم إنه مسلم كسلمان رشدي ليشتم الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، وتنبري وسائل الإعلام الغربية لمناصرته تحت ستار حرية الفكر وحماية الإبداع.. حقدهم واضح، وكراهيتهم للإسلام بينة وهم يعلنونها صراحة دون خشية من أحد.

هم غير ملومين.. نعم من يلوم الغرب حين يعمل من أجل تكريس مصالحه، وفرض سيطرته على الدويلات الغربية يستنفد خيراتها، ويمتص ثرواتها كما تمتص البعوضة دم الإنسان، إن تلك شيمته دائمًا، فهو لا يستطيع أن يتقدم إلا بتأخرنا، ولا يمكن أن يتحضر إلا بتخلفنا.

حضارته وتقدمه نحن نقدم ثمنها من حريتنا، وخيراتنا، وإرادتنا.

وضمن هذا السياق العام في مهاجمة الإسلام، ومحاربته يطلق المسئول الفرنسي جان كلود بارو رئيس مصلحة الهجرة الدولية تصريحاته المعادية والحاقدة ضد الإسلام، ويبالغ في حقده وكراهيته بشكل صارخ يذكرنا بالحملات الصليبية التي كانت تستهدف الإسلام أولًا وأخيرًا..

وصف بارو الإسلام بأن به جوانب بالية وأن على المسلمين أن يتخلوا عن الإسلام إذا أرادوا التقدم، وليتمكنوا من العيش في فرنسا، وطالب بارو المسلمين بأن يتوقفوا عن أداء شعائر دينهم.. وأعجب شيء في هذه الحملات الضاربة ضد الإسلام هو صمت المسئولين المسلمين عن الرد على هذا المسئول الفرنسي، وكأن بارو يتحدث عن دين غير دين الإسلام.

أن يهاجم الإسلام وأن يعتدي على حرماته وأن تشتم مقدساته، فتلك قضية ثانوية لا ينبغي أن تكدر صفو العلاقات من أجلها، فالإسلام شأن ثانوي في حياتنا ولا داعي لأن نغضب أو نستفز لذكره بالسوء، أو التعدي على رموزه ومبادئه..

نحن المسلمين علاقتنا بالإسلام بالكاد لتحديد هويتنا بين البشر لأنه لابد من هوية معروفة بين الناس ونحن هويتنا هي الإسلام دون اختيار منا، بل نحن مجبرون على ذلك، ولقد ولدنا هكذا ولم نبذل جهدًا ولو يسيرًا لنكون مسلمين، ولم نخض حروبًا مع الباطل، ولم نجرد حسامًا ضد الأعداء.. إذن فلماذا ننفعل أو نغضب أو تتعكر دماؤنا إذا نال أحدهم الإسلام بسوء..

هذا هو حال المسلمين الذين نبذوا الإسلام وراء ظهورهم، وصاروا عبيدًا لشهواتهم، تابعين لأعدائهم، موقرين لديانات غيرهم وإن كانت باطلة واضحة البطلان، ولكن أن تتمعر وجوههم من أجل الإسلام، أو أن تغلي الدماء في عروقهم غيرة للإسلام فذلك أمر مستبعد وهم على ما هم عليه من هجران لأعظم رسالة جاءت إلى البشرية..

ولا نعجب أبدًا أن يجرد الأعداء جميع أسلحتهم لمقاتلة الإسلام، فذلك ديدنهم وتلك رسالتهم في الحياة، ولكن نعجب أشد العجب لأناس يزعمون إنهم مسلمون، وإنهم أتباع محمد ﷺ ثم يتخاذلون عن نصرة الإسلام، أو عن مجرد انفعال ينفعلونه إذا سمعوا أحدًا يذكر الإسلام بسوء..

ولا عجب فلو كان الإسلام سيدًا مطاعًا لغرنا عليه، ولافتديناه بأرواحنا وأهلينا وأموالنا، ولكن مادمنا قد حولناه إلى تابع لأهوائنا ولشهواتنا، فكيف نغضب من أجله؟!

البوسنة والهرسك يصرخون.. وا إسلاماه![*]

ميزان الاقتتال في البوسنة والهرسك تميل كفته لصالح الصرب المدعومين بجيش الاتحاد اليوغوسلافي لهذا تكتفي المنظمات الدولية بالتنديد والشجب على استحياء ولو كانت هناك مجرد شبهة أن تميل الكفة إلى جانب مسلمي البوسنة والهرسك لأعلنت حالة الطوارئ في المنظمة الدولة وفي الدولة المسيحية العقائدية، وهبوا لنصرة إخوة لهم في العقيدة المسيحية رغم إعلانهم المتكرر إنهم قد انتهوا من فصل الدين عن الدولة، وأن العلمانية هي النظام السائد في دولهم، وأن الدين أصبح معزولًا في الكنيسة ولكن الواقع الذي لا يمكن رده هو أن الدين المسيحي هو الحاكم والمهيمن على قرارات هذه الدول، وهو الموجه لجميع خطواتها، وهو المرشد لشتى القرارات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

الغرب لا يخجل من الوقوف مع الصرب لأنهم مسيحيون، بينما نحن المسلمون تحمر وجوهنا خجلًا وتضطرب خطواتنا استحياء مخافة أن نتهم بأننا نقف مع البوسنة والهرسك لأنهم مسلمون مثلنا.

محرم علينا أن نقف مع الشعوب الإسلامية المسحوقة بسبب إسلامها ولكنه مباح بل هو في حكم الواجب بالنسبة للدول المسيحية أن تفعل ذلك مع المسيحيين.

وهاهي الولايات المتحدة الأمريكية بعد تأييدها لقرار الأمم المتحدة

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/٥/٢٩م.

رقم ١٩٤ القاضي بحق الفلسطينيين في العودة إلى بلادهم، تعود لتسحب تأييدها وتؤكد على أنه ليس جزءًا من عملية السلام التي تجري فصولها في عواصم العالم.. المتحضر!

كما سبق للولايات المتحدة الأمريكية أيضًا إنها صوتت مع إلغاء القرار الذي يعتبر الصهيونية شكلًا من أشكال العنصرية، وأيضًا فإن قرار الفاتيكان لا يزال حاضرًا في الأذهان وذلك عندما منح الفاتيكان اليهود صك الغفران والبراءة من دم المسيح عليه السلام.

هكذا يقف الغرب بفخر واعتزاز مع الأمم المسيحية واليهودية ونحن لا نستنكر عليهم ذلك لو كانوا يكيلون بنفس الكيل، ويزنون بنفس الميزان لجميع الأمم، ولكن الملاحظ إنهم يستثنون المسلمين والأمم الضعيفة من تعاملهم المتميز هذا ويقصرونه على من يميلون إليهم وينحازون إلى صفهم.

ويظل السؤال المقلق والمحير والذي يجب أن يطرحه المسلمون على أنفسهم: وماذا عنا نحن المسلمين؟ ماذا قدمنا للشعوب المسلمة التي تخلصت من الاستبداد الشيوعي، وتنسمت عبير الحرية الدينية لأول مرة ولكنهم لم يتمتعوا بهذه الحرية إذ سرعان ما افتعلت الدول المعادية مشاكل لا حصر لها ليبقى المسلمون يدورون في فلك المستعمر الجديد/ القديم.

على المسلمين في بلاد الإسلام أن يستشعروا المسئولية تجاه إخوان لهم في العقيدة تمسكوا بإسلامهم في أشد ظروف القهر والاستبداد، لم يصدهم عن دينهم صاد، ولم تنجح المحاولات الدائبة والمستمرة التي بذلت من الأنظمة الشيوعية الكافرة من أن تخرجهم من إسلامهم، بل زادهم ذلك إصرارًا وتمسكًا بعقيدتهم الإسلامية، وكانوا يستعذبون الألم والتنكيل ويحتسبونه في سبيل الله تعالى، ولقد علم الله تعالى منهم صدق الإيمان، وثبات اليقين فنصرهم، وهو جل وعلا سوف ينصرهم في محنتهم الجديدة، ويفوت الفرصة بل الفرص التي يحاول أن يقتنصها أعداء الإسلام في كل مكان.

إن إنصاف المسلمين لن يتحقق على ايدي أعدائهم، وإن المنظمات

والهيئات الدولية لن تحقق لهم الأمن والسلام، لأن هوى هذه الأنظمة مع غير المسلمين، وكيف ننتظر العون والإنصاف من دول تعلن صباح مساء وبصراحة تحسد عليها أن المسلمين سفاكو دماء، وأنهم كالأفاعي لمن يتعامل معهم، وأنهم يحاولون من خلال حروب ثلاث محو إسرائيل الوديعة، المظلومة من الوجود، وأنهم - أي المسلمون - يهيمنون على ثلثي نفط العالم[1].

بل إن المسئولين الغربيين يطلقون التصريح في شجاعة وتكبر بأن الإسلام هو العدو الوحيد للغرب، وإن الغرب بعد خلاصه من الشيوعية لم يبق أمامه في ساحة الحرب إلا الإسلام، ويجب القضاء عليه حتى يصبح بترول العالم الإسلامي خالصًا للغرب، وحتى تصبح الشعوب الإسلامية مجرد أغنام سائمة يقودها الغرب للمراعي الخصبة ليتمتع بعد ذلك بلحومها.

الغرب يعلن عداءه للإسلام والمسلمين بل وحتى للعرب، ويرى الغرب أن هذه الأمة لا تستحق كل هذه الخيرات وإنها غير مهيأة لأن تحتل مكانًا مرموقًا بين الأمم، ولابد من القضاء عليهم، فالرجعيون منهم، والأصوليون المتطرفون منهم، والمتخلفون منهم، والإرهابيون منهم، فأمة هذه صفاتها لماذا تعيش في عالم متحضر؟!

هذه هي نظرة الغرب للعرب قبل المسلمين، وهذه هي نظرتهم للإسلام والمسلمين، ولم يبق إلا أن يستعيد العرب، لا نقول أمجاد الإسلام وعزة الإسلام، بل على الأقل أمجاد العرب وعزة العرب الذين كانوا يعيشون في الجاهلية الأولى وهو أضعف الإيمان.

فعرب الجاهلية كانوا لا يرضون الضيم، ولا يقبلون الذل، ويثورون إذا ديس لهم على طرف، ويستنفرون طاقاتهم إذا اعتدى عليهم عدو.. ويا ليت مسلمي اليوم لديهم شيء يسير من تلك العزة والأنفة؟!

(١) انتهزوا الفرصة/ الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون.

إرهاب دولة أم إرهاب أفراد ويظل السؤال حائرًا؟(*)

إرهاب دولة أم إرهاب أفراد؟.. هذه هي القضية التي تشغل الرأي العام العربي.. الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا وفرنسا يتهمون أفرادًا من الشعب الليبي بأنهم إرهابيون، وأنهم المسئولون عن تفجير طائرة أمريكية فوق " لوكربي " الأسكتلندية عام ١٩٨٨م، ورغم إبداء ليبيا استعدادها لمحاكمة هذين المتهمين أمام القضاء الليبي إلا أن الدول الغربية الثلاث تصر على تسليم المتهمين للولايات المتحدة الأمريكية أو لبريطانيا حتى يتم محاكمتهما أمام قضاء إحدى هاتين الدولتين.

القضية التي تعنينا هنا ليست هي قضية الطائرة الأمريكية " بان أمريكان " وليست هي قضية المتهمين الليبيين، ولكن القضية الأساسية كما نتصورها هي مصداقية المنظمات التي مفروض فيها إنها - دولية - أي تعني بمشاكل جميع الدول الأعضاء فيها، وإن القرارات الصادرة من هذه المنظمات سواء المؤيدة أم المعارضة لها نفس القوة، ونفس المصداقية، والمفروض أن يكون هذا أمرًا منطقيًا لأن المنظمة التي تصدر هذه القرارات واحدة سواء مجلس الأمن أم هيئة الأمم المتحدة، وحين تدين إحدى هاتين المنظمتين أو تؤيد فإن ذلك نابع من عدالة القضية.. ولكن من يتتبع هاتين المنظمتين، ويتتبع ما تصدرانه من قرارات يرى عجبًا!! فإن أي قرار يخص العالم العربي والإسلامي ويكون في صالحه لا يتمتع بنفس المصداقية التي

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٠/٤/١٩٩٢م.

تتمتع بها القرارات الصادرة لصالح إسرائيل أو أية دولة غربية، وكأنما إسرائيل وحدها الأولى بالرعاية والأحق بالعناية.. فإسرائيل دولة معتدية بكل المواثيق الدولية وقبل ذلك بمواثيق السماء، وتصدر في حقها قرارات إدانة كثيرة، ولكن تعجز هذه القرارات أن تصل إلى مرحلة التنفيذ، فكل قرار يصدر مؤيدًا للحق العربي الإسلامي أو معارضًا للظلم الإسرائيلي يظل دائمًا في مرحلة القرار ولا يتعداها إلى مرحلة التنفيذ.

أما القرارات التي تصدر لصالح غير المسلمين فهي قرارات تحظى بالرعاية والعناية، وتكون سريعة التنفيذ، ولا تعترضها أية عقبات!!

إذن نستطيع أن نقول في غير حرج إن هذه المنظمات التي يطلق عليها المنظمات الدولية هي في حقيقتها منظمات غربية شرقية أي تعني بدول أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية، وتتحمس لمصالح الغرب والشرق، ولا تولي أية أهمية لمصالح غير الإنسان الأوروبي، وهذا هو ما يحصل فيما يسمى بحقوق الإنسان، فالإنسان هنا هو الإنسان الأوروبي شرقيًا كان أم غربيًا.. ولا يدخل ضمن دائرته الإنسان العربي أو المسلم.. ومن خبث الغرب وحقده أنه استغل أصوات المسلمين في هذه المحافل الدولية للترويج لحقوق الإنسان الأوروبي فقط.

وقضية ليبيا هي من الأدلة التي تجعلنا نقول في ثقة أن الماركة المسجلة لمجلس الأمن أو الأمم المتحدة هو صنع في الغرب، وكل قرار يصدر من هاتين المنظمتين يحمل شعار الإنسان الأوروبي.

نعم قد يكون ما تقوله الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا وفرنسا صحيحًا بأن عبدالباسط المراحي والأمين خليفة الليبيين هما المسئولان عن تفجير الطائرة الأمريكية على " لوكربي " وأنهما يجب أن ينالا عقابهما على هذه الجريمة التي نستنكرها جميعًا، ولا يقرها الإسلام بداية، ولكن الصحيح إيضًا إن هذه الدول الثلاث الغربية بإمكانها أن تطعن في الحكم الذي سوف يصدر من المحاكم الليبية إذا كان به ثغرات قانونية وعندها لن تتمكن ليبيا من رفض ذلك، لأن شرط إقامة محاكمة عادلة، شرط أساسي، فإن كان

المتهمان بريئين حكم بالبراءة لهما، وإن كانا غير ذلك تحقق ما تطالب به الدول الثلاث ونال المتهمان عقابهما الرادع لأمثالهما.. ولكن القضية أبعد من ذلك بكثير، لأنه كا من الممكن إثارة القضية قبل هذا الوقت، أما والولايات المتحدة الأمريكية تسعى لزعامة العالم، ولفرض نظامها الجديد، فإنها تريد أن تؤكد أن كل ما تريد يتحقق، وأنه لا يقف أمام إرادتها حدود ولا سدود، ولا حتى أعراف دولية، أو مواثيق عالمية.

إنها مرحلة خطيرة في تاريخ العالم حينما تحاول دولة واحدة بغض النظر عما تمثله من قوة، أو ما أنجزته من تقدم، حينما تحاول هذه الدولة الانفراد بزعامة العالم.. وتظل القضية هي إذا كان الإرهاب الذي قام به الليبيان صحيحًا، ويستحقان عليه أقصى العقوبات، فهل البديل لإرهاب الأفراد إرهاب الدولة، وهي ليست أية دولة بل هي إحدى الدول الكبرى التي تحاول أن تستأثر بالزعامة العالمية.

الولايات المتحدة الأمريكية تقابل إرهاب الأفراد الذين مهما بلغوا في التخطيط إلا أنهم لا يصلون إلى تخطيط وإمكانات دولة عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية.

إن الهجوم الذي تهدد به أمريكا ليبيا سوف يكون ضحيته آلافًا من الأبرياء من الشيوخ والشباب والنساء والأطفال فهل هذا هو العدل الذي ترضى به أمريكا وبريطانيا وفرنسا؟! سؤال يجب أن تقف أمامه الدول الثلاث طويلًا لأن في الإجابة عليه سوف تتأكد مصداقية ما يرفعونه من شعارات حقوق الإنسان والعدالة والمساواة من عدمه.

بل.. أنتم الإرهابيون...(*)

السودان في نظر أمريكا دولة ترعى الإرهاب، وسوريا في نظر أمريكا دولة ترعى الإرهاب، وليبيا في نظر أمريكا دولة ترعى الإرهاب، بل كل مسلم على هذه الأرض يرعى الإرهاب، أما أمريكا، أما بريطانيا، أما فرنسا، أما ألمانيا، أما دول الغرب فهم إناس مسالمون لا يعرفون الإرهاب، ولا يقدمون له أية مساعدة، هذا ما تحاول أمريكا تسويقه في العالم، بل هذا ما يحاول الغرب إقناع الناس به حتى تكون الحملة على الإسلام شرسة عنيفة، أما الواقع الحي الذي نعيشه فيقول غير ذلك.. يقول: إن أمريكا أو الولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر دولة ترعى الإرهاب.. هل نسيتم إسرائيل؟ إنها دولة إرهابية بكامل شعبها.. بكامل أجهزتها.. بل أن جيشها الذي تسميه الدعاية الصهيونية " جيش الدفاع الإسرائيلي " ليوهم العالم إن إسرائيل دولة معتدى عليها وإنها قامت بإنشاء هذا الجيش للدفاع عن حياتها.. بينما جيشها هو جيش " الهجوم الإسرائيلي " لأنه دائمًا وأبدًا يأخذ زمام المبادرة بالهجوم.. هذه الدولة العميلة الإرهابية بكامل مؤسساتها تلقى كامل الرعاية والدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، تلقى الرعاية السياسية، فما من قرار يصدر من الأمم المتحدة أو مجلس الأمن وفيه إدانة لإسرائيل، ولإرهاب إسرائيل، ولعنف إسرائيل.. إلا وتقف أمريكا منه موقف المعارض وتضغط على الدول التي تتلقى الدعم منها لتقف موقفها ولتنحاز لصف إسرائيل، وإسرائيل تلقى الرعاية الاقتصادية من أمريكا وهذا ليس

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٣/٨/٢٧م.

بخاف على أحد، وهي تتلقى الرعاية العسكرية، والتعاون العسكري بين أمريكا وإسرائيل قضية مشهورة، بل اشتراك الجنود الأمريكيين في الحروب التي تخوضها إسرائيل ضد الإسلام والمسلمين أمر لا يمكن إنكاره، لأن الجندي الأمريكي يتمتع بميزة لا يتمتع بها غيره وهو أنه يحمل جنسيتين، فهو أمريكي ويهودي في نفس الوقت.

وأمريكا ترعى الإرهاب الصربي والكرواتي في جمهورية البوسنة والهرسك، فهي تلوح في أسلوب مسرحي غير جاد باستعمال القوة مع الصرب لوقف حربهم غير المتكافئة مع المسلمين في البوسنة والهرسك والحقيقة غير ذلك..

والحديث عن أمريكا ورعايتها للإرهاب يطول وتكفي هذه الشواهد الملموسة للدلالة عليه.

أما بريطانيا التي كانت يومًا ما عظمى ليس بأخلاقها ولا بمبادئها، ولكن باستعمارها وقهرها لشعوب كثيرة، فبريطانيا هذه ترعى الإرهاب الصربي وتقسم الأيمان المغلظة على ألا تسمح للمسلمين في البوسنة والهرسك أن يحصلوا على قطعة سلاح، وهي تقسم كذلك وهي غير حانثة في ألا تقوم في أوروبا دولة إسلامية، ودور بريطانيا في زرع إسرائيل في عالمنا الإسلامي أولًا، ورعايتها لإرهابها ثانيًا أمر مشهور ولا يمكنها التنصل منه.

وفرنسا كذلك تقف مع بريطانيا لتشد من عضدها لمنع تسليح المسلمين في البوسنة والهرسك، ومنع زيادة قوات الأمم المتحدة في هذه الدولة المنكوبة.

وألمانيا راعية لإرهاب شعبها ضد المسلمين..

الجميع يرعى الإرهاب، والجميع يقدم الدعم المتواصل للإرهاب، أما المسلمون فهم موضوع للإرهاب الدولي.. إن أمريكا ودول الغرب قاطبة يتصدرون الأمم بجدارة وأحقية في أنهم أمم غير منصفة، ويحق لنا أن نصف عصرنا هذا بأنه عصر عدم الإنصاف.

أمريكا رغم مزاعمها في أن السودان يرعى الإرهاب لم تستطع حتى الآن أن تقدم دليلًا واحدًا على صدق مزاعمها، أما نحن فلدينا الكثير من الأدلة والبراهين على رعاية أمريكا ورعاية الغرب للإرهاب، ولا أظن أن الإدارة الأمريكية أو الغربية يجرأون على تقديم دليل واحد ينفي عنهم هذه التهمة..

أعتقد جازمًا أن السودان لو سار في فلك أمريكا، وخضع لضغوطها لتحول بين ليلة وضحاها إلى دولة تحارب الإرهاب، وتسد عليه منافذه، ولكن ماذا نعمل والسودان يصر على تحرير إرادته السياسية، بتحرير اقتصاده، وبإصراره على النهج الذي اختاره لنفسه.

بإمكان السودان أن يحظى بمركز الدولة الأحق بالرعاية الأولى عند أمريكا لو غير نهجه وخضع للضغوط الأمريكية التي خضعت لها العديد من الدول فنالت الحظوة والدعم والرعاية..

إنه قدر السودان، فليصمد لقدره وليستعن بالله تعالى وحده، وما دام أخذ العهد على نفسه أن ينصر الله تعالى، فإن الحق سبحانه وتعالى لن يخذله ولن يتخلى عنه ذلك وعد الله تعالى لعباده الصالحين ..﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

(١) سورة محمد الآية ٧.

الشجرة الخبيثة!(*)

الغرب مجتمع الكراهية، وهو الشجرة الخبيثة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، فقد اجتثت من فوق الأرض ليس لها أصل ثابت في الخير.. هذه الشجرة الخبيثة يغذيها الحقد ويمدها بدماء جديدة كلما جفت أوراقها أو كادت أن تجف.

حقد الغرب على الإسلام والمسلمين لن يقف عند حد، وطموحاتهم في أن يختفي الإسلام من فوق الأرض ليس لها نهاية، فهو العائق الوحيد أمام أحلامهم في أن يكون البشر عبيدًا لهم. وهو الحق الوحيد الذي يزهق باطلهم، لهذا هم يكرهونه، ولهذا هم يعملون ليلًا ونهارًا من أجل محوه من الوجود ولكن أنى لهم ذلك وقد تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظه وأقسم ليظهره على الدين كله ومن أوفى من الله تعالى عهدًا؟

وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون الملحدون والمشاغبون على صفاء الإسلام.

كلما حاول العلمانيون من المفكرين العرب أن يجمّلوا وجه الغرب القبيح كلما أبى الغرب ألا أن يكشف لهم وجهه القبيح الذي تعبر قسماته عن أعمق مظاهر الحقد والكراهية لكل ما هو إسلامي، هم لا يقوون على ستر كراهيتهم وحقدهم على الإسلام رغم إنهم يحاولون دون جدوى، تعرفهم من لحن القول، كما تعرفهم من صريحه.. في كتابها " البقرات

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/٥/٤م.

المقدسة " تنفث الآنسة فاي ويلدون سمومها فتقول: " لا يشكل القرآن غذاء للفكر، وهو ليس بقصيدة يمكن أن يشاد عليها مجتمع آمن ومستقر، بل هو يمد الفكر البوليسي بالسلاح والقوة، وسرعان ما يتحرك هذا الفكر البوليسي وينشر الرعب.. إن القرآن هو نص محدود عندما يتعلق الأمر بمعرفة الله كما أفهمه ".

وتقول: " إنه يمكنك أن تبني مجتمعًا لائقًا على أساس الكتاب المقدس.. أما على أساس القرآن فلا "[1].

" القرآن يمد الفكر البوليسي بالسلاح والقوة ".. هل رأيتم كذبًا وافتراء كهذا الكذب والافتراء؟ إن القرآن جاء حربًا لا هوادة فيها على حكم الفرد المطلق وعلى الحكم البوليسي، وما عرف العرب الحكم البوليسي من القرآن ولكنهم تعلموه من سيدهم المطاع " المستعمر " الذي استعمر العقول قبل أن يستعمر الأرض، وصنع على عينه فئة في المجتمع تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه.

وأما حديثها عن محدودية النص القرآني في معرفة الله فلم أجد كذبًا أشد من هذا الكذب، وجهلًا كهذا الجهل، إنها لا تفهم القرآن، ولا تفقه شيئًا يسيرًا منه، فالقرآن هو الكتاب الوحيد الذي قدم تعريفًا لله تعالى، وللعقيدة لا مثيل لهما، بل إن الكتب السماوية الأخرى لم تقدم حقيقة الألوهية، وجوهر التوحيد كما قدمه القرآن الكريم، ولكن ماذا تقول لقلب وعقل لم يترك الحقد والكراهية مكانًا فيهما لشيء يسير من المعرفة والإنصاف؟

إن القرآن الكريم هو النور الذي أضاء الله تعالى به قلوب عباده، وفتح لهم الطريق إلى معرفته تعالى حق المعرفة، والتعامل مع كونه وسننه أتم تعامل وأكمله، وما نشوء الحضارة الإسلامية وبلوغها ما بلغته إلا جزءًا يسيرًا من عطاء القرآن الكريم.. وما انتشار الإسلام في أصقاع المعمورة إلا بسبب بساطة هذا القرآن وإعجازه..

---

(١) كتاب " رسالة إلى الغرب "/ د. رنا قباني/ ص ١٩، ٢٠.

إن هذه المؤلفة لا تتمتع بشيء يسير من الموضوعية، بل هي لا تعرف الموضوعية أصلًا..

إن هذا الصنف من المفكرين هم الذين مهدوا للاستعمار قديمًا، وهاهم يمهدون له الآن ليحتل الإرادة بعد أن أحتل الأرض، إنهم طلائع المستعمر، في القديم والحديث.

يا لعارنا بأوروبا!!(*)

قال مدير تحرير " الواشنطون بوست " روبرت كايزر، في تعليق له في صحيفة (انترناشيونال هيرالد تريبيون/ ١٩٩٢/١١/٢٥): " إن النجاح الذي حققه الصرب في عدوانهم كان بمثابة الإعلان الواضح عن عجز أوروبا "(١). - مقال " أضواء على محنة البوسنة وأبعادها/ د. سليم الحص " وأطلق أحد وزراء خارجية الدول الأوروبية صرخة مدوية بقوله: " يا لعارنا بأوروبا "(٢). هذان تعليقان يصوران حجم المأساة التي تدور تفاصيلها في جمهورية البوسنة والهرسك والحمد لله أن التعليقين لم يقلهما مسئول مسلم وإلا اتهم بالمبالغة، وبالتطرف والإرهاب، ولكن القائلين هما " مدير تحرير صحيفة الواشنطون بوست وأحد وزراء خارجية الدول الأوروبية " يعني لا مجال لوصفهما بالتطرف والإرهاب، وهذا دليل على أن ما يقع في جمهورية البوسنة والهرسك يعد جريمة كبرى لا تغتفر، فضلًا عن أن وكالات الأنباء التي تحمل لنا كل يوم أنباء الحرب الطاحنة التي تدور من طرف واحد في البوسنة والهرسك، وتنقل لنا بالصورة الملونة كل ما يجري هناك هي وكالات أنباء أجنبية أي ليس هناك أي مجال لاتهامها بالانحياز والمحاباة، إنه تعبير عن حجم المأساة التي فاقت كل حد، وبالتالي دفعت حتى الأوروبيين أنفسهم إلى استنكار ما يجري هناك

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/١٢/٢٥م.

(١) مجلة المجلة العدد ٦٧٠ (٢١ جمادى الآخر ١٤١٣ هـ).

(٢) مجلة المجلة العدد ٦٧٠.

واعتباره عارًا لأوروبا الساكتة عن الحق، والساكت عن الحق شيطان أخرس، وأوروبا ليست ساكتة ولا ساكنة بل هي تمد الصرب بالدعم وهي تصرح وتحذر من استخدام القوة في تنفيذ قرارات مجلس الأمن " حديث أدلى به اللورد ديفيد أوين لجريدة أخبار الخليج ".

وإذا لم يكن موقف أوروبا من مأساة البوسنة والهرسك موقف عار فماذا نسميه؟

الحقيقة التي لا يستطيع أي إنسان صادق أن يخفيها هي: أن أوروبا بإمكانها فرض العدل والحق بالقوة كما فعلت في مناطق كثيرة متوترة في العالم، ولا نستطيع بل لا يجوز أن نصف الغرب بالعجز وهو نفسه الذي أخرج صدام الطاغية من الكويت، وهو نفسه الذي دخل الصومال وفرض الأمن لتوصيل المعونات الإنسانية إلى مستحقيها، وإذا لم يكن الغرب عاجزًا في القضايا التي عالجها بحسم وبقوة إذن هو متواطئ مع الصرب، ولقد سبق وأن كتبت في نفس هذا المكان قائلًا: لو أن كفة الحرب في البوسنة والهرسك مالت لصالحهم ضد الصرب لوجد الغرب وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية راعية النظام العالمي الجديد ألف حجة وحجة على التدخل لإنقاذ الصرب من الهجمة الوحشية التي يشنها المسلمون في البوسنة والهرسك وقد يرينا الحق سبحانه وتعالى بعض عجائب قدرته فيجعل الكفة في صالح المسلمين هناك ويفضح الغرب وشعاراته الجوفاء.

نعم الغرب لا يتدخل في أي صراع إلا لوجود مصالح له في منطقة الصراع ويخشى أن يخسرها إذا طال أمد الصراع، أو أن الذين يتعرضون للهلاك في هذا الصراع هم المسيحيون.. هاتان هما الحالتان اللتان يتدخل فيهما الغرب في منطقة الصراع، وتكون لقرارات مجلس الأمن الفاعلية والنفاذ، أما إذا كانت منطقة الصراع فقيرة ولا تملك آبارًا من النفط، أو كانت الفئة أو الطائفة التي تتعرض للهلاك أو الاضطهاد هم من المسلمين فإنه لا مانع من إصدار قرارات تحفظ في الأدراج، وإطلاق الاستنكارات والشجب والإدانة، ولكن بشرط ألا تنتقل إلى مرحلة التنفيذ، فالهدف

المعلن والخفي هو القضاء على الإسلام بالقضاء على المسلمين، والصرب الحاقدون يحققون هذا الهدف بكفاءة عالية..

ولقد أشار الدكتور سليم الحص في مقاله الذي رجعنا إليه إن من العجيب أن ما كان يعرف بيوغوسلافيا كانت تشكل أحد أضلاع المثلث التي كانت تتكون من حركة عدم الانحياز والتي كانت من أهدافها محاربة استعمار الكبار للصغار. يقول الدكتور الحص: " سرعان ما تزدحم التساؤلات في ذهن المراقب: هل كان هذا من آيات النظام العالمي الجديد الذي بشر به الرئيس الأمريكي جورج بوش عقب حرب الخليج في عام ١٩٩١م؟ أي نظام هذا الذي يتخلى عن شعب صغير يتعرض للإبادة في عملية تطهير عنصري طائفي هي أشبه بالافتراس الوحشي لشعب وادع على يد من كان أخاه في الوطن أيباد شعب لمجرد أنه مسلم؟

هل كانت حركة عدم الانحياز مجرد هيكل من الورق، وكانت أهدافها سرابًا وشعاراتها أوهامًا؟ أين تلك الحملة التي كانت تشنها حركة الانحياز على استعمار الكبار للصغار، وقد أمسى الصغير يستبد بالصغير؟[1]. نعم إنه دجل واستخفاف بعقول الناس وشعارات جوفاء هي أقرب إلى الأوهام والأحلام منها إلى الحقائق والوقائع، فقادة عدم الانحياز إما منحازون لأمريكا أو منحازون لروسيا ولا يستطيعون غير هذا في عالم يموج بالتكتلات وبمناطق النفوذ، وكان العرب أكثر الأمم تغييرًا لمواقفهم فهم اليوم مع أمريكا وغدًا مع روسيا وبعد غد يعودون إلى أمريكا وهكذا دواليك، ثم يسمون هذا عدم انحياز، وكيف يصح أن يأخذوا موقف عدم الانحياز إلى قوة من القوى وهم محتاجون إلى واحدة منها..

أكاذيب، وأضاليل، وأوهام كانوا يروجون لها والخاسر دائمًا هم المسلمون.

(١) مجلة المجلة " اللندنية " العدد ٦٧٠.

ليس حبًّا في اليهود ولكن بغضًا في الإسلام(*)

في الصفحة الأخيرة من جريدة أخبار الخليج العدد (٥٤٤٣) بتاريخ ٢١ شعبان ١٤١٣ هـ نشر موضوعان، الأول عن ترحيب فرنسا بزيارة سلمان رشدي والثاني حظر استراليا دخول مؤرخ بريطاني شكك في اضطهاد اليهود!!

الموضوعان لهما دلالتهما الخاصة والموحية، الدلالة الأولى هي المكانة التي احتلها اليهود في قلب ووجدان الساسة الغربيين، فالغرب يقف مع اليهود ليس حبًا فيهم ولكن بغضًا وكرهًا في الإسلام والمسلمين، وهو يرى - أي الغرب - أنه على استعداد ليضع يده في يد شياطين الإنس من اليهود في سبيل مواجهة الإسلام، والغرب يرى إن ما قامت به بريطانيا بغرس إسرائيل في قلب العالم الإسلامي قدم خدمة لا تقدر بثمن للمخططات الاستعمارية التي ما فتئت تعمل في الجسد الإسلامي تقطيعًا وتمزيقًا، ورغم رفض الجسد الإسلامي لهذا الجسم الغريب الذي زرع فيه إلا أن المسلمين لا يقوون على التخلص منه لأن شئونهم لا تدار بواسطتهم ولقد قرت عين المستعمر واطمأن إلى أن البلاد التي خرج منها تحقق له من المصالح على يد أبنائها بأفضل مما كانت تحققه عندما كانت تدار بواسطته وهنا مصدر الطمأنينة..

واستطاع اليهود باستيلائهم على مصادر القوة في الغرب وهي المال

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩/٢/١٩٩٣م.

والعلم استطاعوا أن يخضعوا القرار السياسي في بلاد الغرب لصالحهم فنرى جميع الرؤساء الغربيين يسعون جاهدين لخطب ود اليهود وتقديم الدعم المالي والسياسي والعسكري لهم بمجرد أن يطلبوا وفوق ما يطلبون، وفي مقابل هذا نرى موقفًا حاقدًا وكارهًا للإسلام والمسلمين فحين يكتب سلمان رشدي كتابه " الآيات الشيطانية " يهاجم فيه الإسلام ويحاول تشويه تاريخ الرسول الكريم ﷺ وتاريخ صحابته رضوان الله تعالى عنهم يعتبر الغرب هذا الفكر المنحل حرية تعبير وعندما يقف المسلمون ليردوا على هذا المنحل يعتبر الغرب غضبة المسلمين رجعية وتخلفًا ومصادرة لحرية الفكر، ألا يدخل ما كتبه المؤرخ البريطاني حول أكذوبة حرق اليهود في أفران الغاز ضمن دائرة حرية الفكر؟ لماذا اعتبر الغرب ما يمس اليهود خروجًا على حرية الفكر، وما كتبه سلمان رشدي ضد الإسلام ورسول الإسلام ﷺ حرية فكر؟!

كعادته الغرب دائمًا يكيل بمكيالين ويزن بميزانين، والمقاييس عنده ليست واحدة، وهو يحتفظ لكل أمة بميزان خاص..

فرنسا تستقبل سلمان رشدي الذي هاجم الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ولا عجب، ففرنسا هي التي تتزعم الدعوة لإلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل، وهي التي تمنع دخول المحجبات المسلمات مدارسها، وفرنسا هي التي حاولت المستحيل للقضاء على الإسلام في الجزائر المسلمة فلم تحصد إلا شوكًا وأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره في الجزائر ولو كرهت فرنسا هذا ما تفعله فرنسا مع سلمان رشدي تستقبله بالأحضان لم لا فهو يحاول أن يشبع حقدها الأسود على الإسلام والمسلمين، أما أستراليا فهي تمنع دخول المؤرخ البريطاني لا لجريمة ارتكبها ولكن لأنه أراد أن يكشف الستار عن أكذوبة طالما روج لها اليهود ليستدروا عطف العالم فيقيموا لهم وطنًا قوميًا في بلاد الإسلام، والغرب في غير حاجة لهذه الأكذوبة ليحقق لليهود ما يريدون فيكفي الغرب دافعًا لذلك كرهه للإسلام وحقده على المسلمين ولأن وجود إسرائيل في قلب العالم الإسلامي النابض يحقق للجميع مصالح مشتركة، فالغرب يضمن عدم استقرار العالم الإسلامي

وعدم التفاته للتنمية والتقدم وإسرائيل تحقق حلمًا طالما راودها وراود زعماءها..

وما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية من جهود جبارة لمنع مجلس الأمن من الانعقاد لئلا يصدر قرارات تدين إسرائيل في قضية المبعدين ويأليت أمريكا توفر جهودها لأن قرارات مجلس الأمن مهما كانت حاسمة إلا أنها تظل مجرد حبر على ورق فأي قرار يصدر عن مجلس الأمن فيه إدانة لإسرائيل يحفظ في الأدراج بل وتسعى أمريكا لإبطاله وإلغائه فهي لا تريد مجرد إشارة عابرة في محاضر مجلس الأمن تدين إسرائيل أو تستنكر اعتداءاتها المتكررة على الأرواح والأعراض والممتلكات الفلسطينية..

نعم هذا هو الغرب راعي الحضارة الحديثة وهذا هو وجهه الكريه!!

١٩٩٢م عام الكراهية(*)

في نهاية عام ١٩٩٢م وبداية عام ١٩٩٣م قدم العالم حصرًا للتركة المثقلة التي خلفها العام المنصرم، والتي ستظل آثارها الوبيلة المدمرة أعوامًا أخرى، ولقد استحق عام ١٩٩٢م عن جدارة لقب " عام الكراهية " ذلك لأنه ازدحم بالكثير من التجاوزات والاعتداءات على حقوق الإنسان التي أجمع العالم على صيانتها واحترامها.

ففي هذا العام استمرت مأساة الشعب الفلسطيني وتعسفت الصهيونية الغادرة في تعاملها مع شباب الانتفاضة حيث واجهت - وتواجه - رفضهم للواقع الجديد الذي تحاول قوات الاحتلال فرضه على الشعب الفلسطيني، تواجهه بالحديد والنار، ولقد اطمأن الكيان الصهيوني لنوم أو تناوم المجتمع الدولي المتحضر عن تجاوزاته، فقام بإبعاد ما يزيد على أربعمائة فلسطيني من أرضهم ونبذهم في العراء وسط أقسى الظروف الطبيعية.

وفي عام ١٩٩٢م، واصلت قوات الصرب الصليبية مجازرها في شعب البوسنة والهرسك، واستمر مسلسل الاغتصاب للنساء والقتل للأطفال والشباب والشيوخ، وكل ذلك تحت سمع العالم المتمدين والمتحضر وبصره، ووقفت الأمم المتحدة عاجزة دون أن تتحرك، بل إنها تؤخر تنفيذ القرارات الصادرة عنها قدر المستطاع لتعطي الصرب المعتدين مزيدًا من الوقت لإنهاء الخطة الإجرامية للقضاء على الوجود الإسلامي في هذه

(*) جريدة: المسلمون (السعودية) ١٩/٢/١٩٩٣م.

الجمهورية المسلمة، برغم أن الوسائل الإعلامية الغربية هي نفسها التي تتابع الأحداث هناك، وتنقل بالصورة الملونة مأساة الشعب البوسني، ويذهب أعضاء المنظمات الإنسانية ومعظمهم من الأوروبيين لينقلوا للعالم الصورة كما يشاهدونها ويحملوا معهم عند عودتهم من هناك تقارير تدين الصرب وتدين الغرب!

في عام ١٩٩٢م شهد العالم مجاعة من أفظع ما شاهد من قبل، راح ضحيتها عشرات الآلاف من النساء والأطفال والرجال، وكانت الصومال مسرحًا لهذه المجاعة، ومسرحًا لجريمة أخرى وهي القتال الشرس الذي يقع بين أبناء الوطن الواحد وبتخطيط من جهات لها مصالح في أن يستمر مسلسل الدماء إلى ما لا نهاية!

وفي عام ١٩٩٢م، قام الهندوس المتطرفون الحاقدون بهدم أثر ديني وتاريخي عظيم هو " مسجد بابري " وذلك تحت سمع الجيش الهندي وبصره، بل ربما بمباركته، وسفك دماء الأبرياء من المسلمين لا لجريمة اقترفوها ولكن لأنهم يدافعون عن إسلامهم وعقيدتهم ورموز هذه العقيدة!

في عام ١٩٩٢م اشتدت موجة العنف والكراهية في أوروبا ضد المسلمين، بما ينذر بظهور نازية جديدة وتتزعم ألمانيا هذه الحملة الشرسة، فلا يجد المسلمون في هذه الديار من يبكي على قتلاهم!

من خلال هذا السرد الموجز، بل الشديد الإيجاز، يتبين لنا أن أكثر المتضررين من هذه التركة " تركة عام ١٩٩٢م " هم المسلمون، الذين يحتلون أدنى الدرجات في الاهتمام العالمي، فالعالم المتحضر الداعي إلى حقوق الإنسان لا يهتم إلا بالإنسان الأوروبي، ولا يقيم وزنًا إلا للدماء الأوروبية، ولا يجعل أدنى اعتبار لأمة يصل تعدادها إلى أكثر من مليار إنسان!

هذا العدد الضخم من البشر لا يستحق في نظر العالم المتمدين صاحب الحضارة أي حقوق إنسانية، وأن المنظمة الدولية اعتادت على مآسي المسلمين ونكباتهم حتى إنها لا تتحرك فيها شعرة واحدة إذا سفكت دماء المسلمين، وانتهكت أعراضهم، ودمرت أوطانهم، وأبعدوا عن ديارهم!

إن الحصاد المر لعام ١٩٩٢م هو نكبة للمسلمين ووبال عليهم، برغم أنهم يدعمون الحضارة الغربية بنفطهم وخيراتهم التي تنهب منهم بأبخس الأثمان، وبرغم الفضل الذي تدين به الحضارة الغربية في ماضيها وحاضرها للمسلمين، الذين رفدوا هذه الحضارة في القديم بما أبدعه العلماء المسلمون ونقلوه إلى الأمم الأوروبية بواسطة الترجمة العربية لعلوم الفرس واليونان والرومان، وبما أمدوا به الحضارة الغربية في الحاضر من نفط ومواد خام تزدحم بها الأرض الإسلامية الواسعة، لولا هذا النفط لم تعمل المصانع ولم تنتج ما تنتجه من أدوات ومبتكرات رفهت حياة البشرية وفي مقدمتهم الأوروبيين أنفسهم!

إن العنف ضد المسلمين تنامى في هذا العام المنصرم مع ظهور ما يسمى بـ " النظام العالمي الجديد " الذي تقوده دولة واحدة أو هكذا يزعمون، دولة لا معقب لحكمها، ولا معطل لإرادتها.

كما إن هذا العام ـ عام الكراهية ـ تميز بالكره ـ الشديد للإسلام، وبالجهر بهذا الكره بعد أن كان همسًا، فلقد تكرر كثيرًا على ألسنة كبار الساسة الأوروبيين على أنه بعد زوال الخطر الشيوعي بسقوط الاتحاد السوفييتي وتفكك أجزائه، لم يبق أمام الغرب إلا عدو واحد هو " الإسلام " وأن على الدول الغربية أن تأخذ حذرها منه، وأن تقف منه موقف المعادي، وألا تسمح له بالانتشار!

هذا هو حصاد عام ١٩٩٢م وهذه هي تركته المثقلة بالكراهية والحقد والعداء للإسلام والمسلمين، فماذا على المسلمين أن يفعلوا تجاه كل هذا؟ سؤال مصيري على المسلمين أن يواجهوه بصدق وتجرد من أية مصلحة شخصية أو إقليمية ليتمكنوا من الإجابة عنه، والخروج من عنق الزجاجة التي وضعوا أنفسهم فيه، وأن يسعوا جاهدين للخروج من هذا الكهف المظلم ليروا الفجر الصادق لحضارتهم الإسلامية العظيمة ولشريعتهم الراشدة.

صفقات خاسرة(*)

بتوديع عام ١٩٩٣م، يودع العرب عام الصفقات الخاسرة التي عقدوها مع أطراف متعددة في العالم، فصفقة مدريد خاسرة وصفقة الثالث عشر من سبتمبر عام ١٩٩٣م في واشنطون خاسرة رغم إنها كانت برعاية الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الوحيدة العظمى في العالم، وقبل ذلك كانت صفقة كامب ديفيد خاسرة، وصفقة ١٩٦٧م خاسرة، وصفقة ١٩٥٦م خاسرة، وصفقة ١٩٤٨م خاسرة، ووقوف العرب مع بريطانيا وفرنسا ضد الخلافة الإسلامية في تركيا صفقة خاسرة..

إذن فلم يكن عام ١٩٩٣م وحده عام الصفقات الخاسرة بل جميع الأعوام التي سبقت، فالتاريخ يشهد أن العرب لم يحققوا أية صفقة رابحة منذ أن جعلوا الإسلام وراءهم ظهريًا، ولقد آلوا على أنفسهم ألا يراهم خالقهم جل وعلا إلا حيث نهاهم، وألا يفتقدهم إلا حيث أمرهم، وأن يعصوه في كل لحظة من لحظات حياتهم وأن يخالفوا أمره ونهيه في كل ساعة من نهار أو ليل، وأن يحرصوا غاية الحرص ومنتهاه، على أن تكون كلمة الذين كفروا دائمًا هي العليا، فحكموا مناهج البشر في حياتهم، وأحلوها المقام الأسمى في دساتيرهم، وجعلوا الإسلام مجرد كلمة في الدستور بدون مضمون.

ظاهروا أهل الباطل، وأعطوهم ولاءهم، وناصبوا المسلمين العداء،

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٤/١/١٩٩٤م.

وأعلنوا البراء منهم، وصفوهم بالتطرف، ورموهم بالإرهاب، وضيقوا عليهم المسالك، ووضعوا في دروبهم العقبات، أساءوا إلى إسلامهم بتصرفاتهم وجعلوه بين العالمين موسومًا بالقسوة والعنف، وظفوا ما حققه الإنسان من تقدم تكنولوجي في مجال الإعلام والاتصالات لتشويه سمعته ووصمه بكل شائن.

ظنوا أن الخيرات والنعم والثروات التي تزدحم بها أراضيهم إنما أعطيت لهم لأنهم يستحقونها رغم معاصيهم ومحاربتهم لله تعالى، وما ظنوا أن ذلك من قبيل الاستدراج، ومعروف أن العبد إذا فتحت عليه أبواب الخير وهو مقيم على المعاصي، فإن ذلك استدراج، وما يصدق على الأفراد يصدق على الأمم، فالعرب مقيمون على المعاصي، مصرون عليها محاربون لكل من ينهاهم عن منكر أو يأمرهم بمعروف، ورغم ذلك فإن الخيرات تتدفق عليهم، وتنزل عليهم من السماء والأرض، والله تعالى ليس بغافل عما يعمل الظالمون، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[1].

كان من وصايا الفاروق رضي الله تعالى عنه لقواده وهم في طريقهم إلى ميادين الجهاد أن يطيعوا الله ولا يعصوه، فإنهم إنما ينتصرون على عدوهم بطاعتهم لله تعالى ومعصية عدوهم له سبحانه، فإذا تساووا مع عدوهم في المعصية كانت الغلبة والنصر لعدوهم عليهم لأنه أكثر منهم عدة وعددًا.

وكان من أسباب انتصار المسلمين في معاركهم المباركة رغم قلة عددهم وعدتهم إيمانهم بربهم، وطاعتهم له سبحانه، فكان النصر يمشي في ركابهم، ولا يتخلف عنهم، وكانت انتصاراتهم تدهش العدو، والصديق، فالمؤمنون بالأسباب المادية وحدها يحيرهم انتصار المسلمين على قلة

---

(١) سورة إبراهيم الآيات ٤٢، ٤٣.

عددهم وعدتهم، وما درى أولئك أن الإيمان هو الذي يرجح كفة المسلمين وإنهم ما داموا قد عملوا بمقتضى توجيهات خالقهم في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[1].

وكان المسلمون الأوائل يعدون لعدوهم ما يستطيعون وكان الله تعالى يتكفل بالباقي، فإنه تعالى يكثرهم في أعين عدوهم ويقلل عدوهم في أعينهم، وكان سبحانه ينصرهم بالملائكة، وبالرعب على مسيرة شهر، وكان يسخر الطبيعة لتشاركهم حربهم ضد عدوهم، فينزل المطر ليطهرهم به ويثبت به الأقدام، ويثير الريح فتكون حربًا لا هوادة فيها ضدهم، ويرسل طير الأبابيل.

وما يعلم جنود ربك إلا هو سبحانه. إن الطاعة التي استنكف منها أحد الكتاب العلمانيين ووصفها بأنها مرض عربي هي السبيل لعودة الأمة الإسلامية إلى سابق عزها ومجدها، فطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وطاعة كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هذا هو سر انتصار المسلمين وتفوقهم في ميادين الحرب والسلم، فإذا نصر المسلم خالقه في ذاته وفي حياته نصره الله تعالى بأن سخر له الوجود ينفعل لحركته ويستجيب لنواياه الصادقة، وكان هذا ديدن السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ورحمهم الله تعالى، فقد صدقوا العمل فأعزهم الله تعالى ورد عنهم شرور أعدائهم، وجعلهم أئمة يهدون بأمره، وعلى نوره وشرعه يسيرون.

إن المسلمين يمتلكون أمضى سلاح، إنه الإسلام الذي خاضوا به معاركهم كلها في الحرب والسلم وحققوا بفضله أعظم انتصاراتهم العسكرية والعلمية، به شادوا للحق دولة كانت درة في جبين الدهر، وبشرعه القويم أسسوا حضارة لم ير التاريخ لها مثيلًا.. والقرآن بين أيدينا غضًا طريًا لم تزده

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.

القرون إلا استعلاء وتفوقًا، فها هو يتحدى الدنيا بأسرها ويقول إنه الحقيقة الكبرى وإنه باق رغم تقادم الزمن وأن من أخذ به هدي إلى صراط الله المستقيم ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكًا وسوف يحشر يوم القيامة أعمى لأنه عمي عن آيات الله تعالى في الدنيا. يقول تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾[1].

أيها المسلمون اجعلوا عام ١٩٩٤م عام الإسلام، عودوا إلى ربكم سبحانه، التزموا بشرعه القويم، وانصروا الله تعالى في كل حركة وسكنة من حياتكم ينصركم الله ويثبت أقدامكم، وإن ينصركم الله فلا غالب لكم أبدًا..

(١) سورة طه الآيات ١٢٣ ـ ١٢٧.

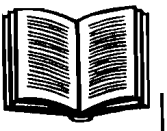

ماذا يحدث في الصين؟!(*)

الخطأ والمعصية ليسا في الاشتراك في مؤتمر المرأة الذي يعقد في الصين أو في أي مؤتمر يعقد في أي بقعة من بقاع الأرض، فالواجب على المسلمين المساهمة قدر استطاعتهم في أي تجمع في العالم ليس بحثًا عن الصراط المستقيم في أية قضية من القضايا ولكن ليدلوا الناس في العالم إلى الصراط الذي هداهم إليه خالقهم ﷻ، وينقلوا لهم بعضًا من حلاوة الإيمان التي حققها الإسلام لكل من دخل في هذا الدين العظيم. وليبينوا للضالين طريق الهداية، ويأخذوا بأيديهم إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قد يعتقد بعض الناس إنني مخلوق قادم من عالم آخر لا شأن له بالأرض، ولا يعرف شيئًا من أخبار الإنسان الذي كلف بحمل الأمانة فلم يحسن القيام بهذا التكليف.. قد يسألون في دهشة كيف يزعم هذا القادم من عالم نام؟ أن لديه الدواء الشافي لأدواء البشرية التي استعصت على أطباء القرن العشرين الذين يتمتعون بعلم واسع، ودراية كبيرة بحقيقة الحياة.

وأقول لهؤلاء: أيها الناس، خذوا شريعة الإسلام ولا تنظروا إلى واقع المسلمين، فإن واقع المسلمين فتنة للذين انصرفوا عن منهج الله تعالى، وكأن الوحي المبارك عظيمًا أيما عظمة وهو يلقي بمسئولية الكفر والإلحاد على المسلمين المتقاعسين عن حمل الأمانة التي تركها رسول الله، ﷺ،

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٥/٩/٢٢.

فالحق سبحانه وتعالى قال في كتابه العظيم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥﴾[1].

لقد كان هذا دعاء الصالحين من أمة محمد ﷺ، فكانوا يخشون أن يكون تفريطهم في جنب الله تعالى، وتقصيرهم في القيام بأعباء الأمانة سببًا في كفر الناس بالإسلام وإحجامهم عن الدخول فيه: نعم لقد حدث هذا حين رفع بعض المسلمين لواء المعارضة لشريعة الإسلام وساروا خلف المنادين بإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية، فاحتج أعداء الإسلام بأنه ما دام المسلمون لا يرون في الإسلام ما يميزه عن غيره من العقائد والشرائع فلماذا نختار الإسلام وندع ما كان آباؤنا وأجدادنا يعبدون من دون الله.

تلك هي دعواهم التي استمدوا بعض أدلتها من المسلمين الذين عصوا الله تعالى ورسوله ﷺ.

إذن لا خطأ ولا معصية في الاشتراك في مثل هذه المؤتمرات إذا كان المسلمون المشاركون فيها أو في اجتماعاتها التحضيرية على درجة من العلم والكفاءة تؤهلهم لشرح وجهة نظر الإسلام، وتكون لديهم المناعة والحصانة من أن يتأثروا بالأفكار والتوجيهات التي تتعارض مع ضوابط الإسلام وشرائعه، ولكن ما أثاره الأستاذ فهمي هويدي في إحدى مقالاته على لسان أحد محاوريه حينما احتج بأن بنود وثيقة بكين قد وافقت عليها بعض الوفود الإسلامية في الاجتماعات التحضيرية، فكيف يحتجون عليها عندما نوقشت في المؤتمر، وربما من أسباب ذلك أن الوفود التي شاركت في الاجتماعات التحضيرية لم تكن في مستوى الوفود التي حضرت المؤتمر، ولهذا يجب على البلاد العربية والإسلامية أن تحرص على إرسال من ترى فيه الكفاءة لتمثيلها وتمثيل عقيدتها، سواء في الاجتماعات التحضيرية للمؤتمر أم لحضور جلسات المؤتمر.

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٥.

الإسلام إذن لا يهاب المواجهة، ولا يخشى الحوار بشرط أن يكون ممثل الإسلام على درجة من الوعي والإدراك للمحاولات المريبة التي يحاول الغرب دسها في أنظمتنا وتمريرها لتكون سلوكًا اجتماعيًا واجب الاتباع.

هذه المقدمة الطويلة التي جارت على مساحة القضية التي نود طرحها كان لا بد منها لنبين موقف الإسلام من الحوار، وسعة صدره للآراء المخالفة له طالما يعطي نفس الحرية ونفس الفرصة لعرض قضاياه ووجهات نظره في القضايا المطروحة على بساط البحث. أما قضية المرأة أو قضاياها التي يناقشها مؤتمر بكين، فإن الإسلام وقبل ما يزيد على أربعة عشر قرنًا من الزمان، قال فيها كلمته الفاصلة، وأعطى المرأة من الحقوق والمزايا ما تحلم به نساء القرن العشرين في أكثر الدول تقدمًا وحضارة، ولو حاولنا أن نعدد فضائل الإسلام ومزاياه التي أنعم بها على المرأة كإنسان والمرأة كعضو عامل في الأسرة لأعيتنا المحاولة ولما وسعنا المكان ولا أسعفنا الزمان لاستقصاء تلك الفضائل والمزايا.. ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[1].

هذا هو الحق الأول الذي ضمنته الشريعة العظمى للمرأة.. وهو حق الحياة، وكانت البنت في بعض القبائل العربية توأد وهي حية مخافة أن تحمل قبيلتها العار عند السبي، وخشية مشاركة القبيلة الطعام والشراب وهي عنصر لا يساهم في القتال والدفاع عن حمى القبيلة، فجاء الإسلام بصرخته المدوية لينقذ المرأة من حكم جائر، وعادة جاهلية قبيحة.

والنساء شقائق الرجال في الإسلام، وهن كإخوانهم من الرجال مأمورون ومنهيون في كافة التكاليف الشرعية، وهن متساويات معهم: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2].

وحقوقهن محفوظة كما هي حقوق الرجال، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[3].

---

(١) سورة التكوير الآيات ٨، ٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

ويوجه الرسول الكريم ﷺ الرجال إلى حقوق النساء عليهم في بيان رائع في قوله ﷺ: " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم "[1]. ومن وصاياه ﷺ بالنساء حضه الرجال على أن يحسنوا إلى نسائهم وأن يغضوا الطرف عن بعض ما يكرهون منهن، قوله صلوات ربي وسلامه عليه: "إن كره منها خلقًا رضي منها آخر "[2].

أين هذا الهدي النبوي العظيم من تعرض النساء في البلاد المتقدمة إلى ظلم الرجال وعنفهم، وهاهي اعتداءات الرجال الوحشية على النساء تملأ الزمان والمكان؟! وهاهو وحي الحق سبحانه وتعالى يضع لنا الأسس المكينة المباركة للعلاقة بين الرجال والنساء في قوله ﷻ: . . ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

وحين يدب الخلاف بين الزوجين ويستعصي الحل، وتتباعد القلوب، فإن الإسلام العظيم رسم لنا طريقًا سويًا للخروج من هذا المأزق مع المحافظة التامة على مشاعر المرأة وحقوقها، يقول ﷻ: . . ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[4].

والتعبير المبارك بـ ﴿ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ فكأن الزوج حين يؤذي زوجته التي استحالت عشرتها له فإنه لا يظلمها بقدر ما يظلم نفسه ذلك لأن الحق في مقام آخر يقول: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[5]. فالمرأة من الرجل وحين يظلمها فإنه يظلم نفسه، أي عظمة تطاول هذه العظمة؟! وأي تكريم وتعظيم للمرأة

---

(١) حديث رواه الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) حديث رواه الإمام مسلم.

(٣) سورة النساء الآية ١٩.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣١.

(٥) سورة النمل الآية ١٠٨.

يداني هذا التعظيم وذاك التكريم؟! وأية مساواة وعدالة تحظى بها المرأة في ظل الإسلام.. ثم بعد ذلك لها حرية كاملة في أن تعتقد ما تشاء وليس لزوجها أن يجبرها على تغيير دينها لهذا ومن هذا المنطلق أباح الإسلام زواج المسلم من الكتابيات وهن المسيحيات واليهوديات ولهن البقاء على دينهن، ولها كذلك حرية كاملة في مالها وفي التصرف فيه دون أن يكون للرجل أدنى سلطة عليها.

ولها ذات الحرية في اختيار الزوج الذي ترتبط به، ليكون عقد النكاح مبنيًا على التراضي، ولها أن تبطل ما عقده والدها أو وليها إن شاءت ولها أن تمضيه إذا رغبت.

هذه بعض الحقوق التي أعطاها الإسلام المرأة دون أن تطلبها، ودون أن تكون في حاجة إلى إنشاء المنظمات والمؤسسات للمطالبة بها تشبهًا بنساء الغرب اللواتي يتمنين بعضًا من حقوق المرأة في الإسلام.

الغرب.. وانحطاط القيم(*)

قد يعتقد البعض ـ وهم قلة والحمد لله ـ إنه انتهى الكلام فيما كان يسمى سابقًا بـ " العدو الصهيوني " وأن على العرب أن ينسوا أو على الأقل أن يتناسوا إنه كان هناك عدو يسمى بـ " العدو الصهيوني " بعد أن رفعت تلك التسمية من أجهزة الإعلام العربي، وحاول وزراء التربية العرب مسح أية إشارة إلى أنه كان عدو للعرب اسمه " إسرائيل " ولكن هؤلاء الموهومين بأن عداء إسرائيل للعرب قد انتهى بمجرد أن سافر السادات إلى القدس، أو صافح ياسر عرفات إسحاق رابين أو أن المسئولين العرب يتسابقون ليبدوا فرحهم الغامر، ولهفتهم الحرى لمصافحة أي مسئول إسرائيلي ويعتبرون ذلك شرفًا وأي شرف، رغم كل هذا إلا أنه تظل إرادة الأمة الإسلامية غير قابلة للمزايدة، وليست سلعة تباع لمن يدفع أكثر، فكل إجراءات السلام أو الاستسلام قد تمت دون استفتاء الأمة الإسلامية وتصرف كل مسئول عربي بأخذ قرار الاستسلام دون أخذ موافقة شعبه.. قد يضعف رد فعل الشعوب ولكنه لا يموت ولا يقبر وهو قابل أن يعود مرة أخرى قويًا هادرًا، وعلى المسئولين العرب ألا يراهنوا على ضعف الشعوب واستكانتها فإنه لا شك رهان خاسر، فالشعوب الإسلامية لا تخضع للحتمية المادية لأنهم بشر والبشر لا يمكن إخضاع تصرفاتهم لرد فعل واحد فقط.

وحينما يلقي الكتّاب أقلامهم إظهارًا للعجز عن تقديم شيء جديد في

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٤/٧/٢٩م.

قضية العرب الأولى وهي قضية فلسطين، فإن ذلك لا يعني أن هذا القرار هو القرار الأخير وأنه لا رجعة عنه، لأنه تعبير عن مرحلة من مراحل الصراع مع العدو الأزلي الذي صنفه القرآن الكريم في هذه الخانة، فقد قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[1].

فاليهود والذين أشركوا من الشيوعيين والصليبيين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ذلك قول الحق سبحانه وتعالى وليس اجتهاد محلل سياسي أو تخرصات مفكر من المفكرين، إنه الحق، وهل بعد الحق إلا الضلال؟

والتيه الذي يخوض فيه العرب إلى أعناقهم هو بسبب أنهم أعرضوا عن حقائق القرآن الثابتة، فخالق اليهود هو الله تعالى وهو أعلم بهم وأعلم بنواياهم الخبيثة والسيئة وهو تعالى حكم عليهم بأنهم لن يرضوا عن الرسول ﷺ وعن المؤمنين، ولقد ناصبوا الإسلام العداوة والبغضاء منذ أيامه الأولى، ولا يزالون يكيدون له ويخططون للقضاء عليه وتشتيت شمل أبنائه من حوله، والعجب العجاب أنه لا يزال في المسلمين من يضع يده في يد اليهود ظانًا أنهم قوم أوفياء للعهود والمواثيق مع أن التجارب المريرة تؤكد بما لا يدع مجالًا لأدنى شك أنهم أكثر الأمم خلفًا للعهود، ونقضًا للمواثيق، وسفكًا لدماء الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وأنهم بدت البغضاء في أقوالهم وأفعالهم ومواثيقهم، وفي الوقت الذي تقف فيه دول الغرب من المسلمين وقضاياهم موقف المعارض، المثبط للعزائم، نجد دول الغرب نفسها تسارع إلى نجدة إسرائيل ماديًا وعسكريًا وسياسيًا، فها هي بريطانيا - التي كانت في يوم ما عظمى، وأشك في ذلك - ها هي تعلن رفع حظر السلاح عن إسرائيل، فقد ذكرت مجلة " المجتمع " الكويتية في عددها رقم (١١٠٢) الصادر يوم الثلاثاء ٢٧ من ذي الحجة ١٤١٤هـ الموافق ٧ يونيو ١٩٩٤م نقلًا عن مراسلها هشام العوضي في لندن: أن بريطانيا قد رفعت حظر الأسلحة الذي فرضته على إسرائيل عام ١٩٨٢م في أعقاب

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٢.

غزوها للبنان واحتلالها جزءًا من أراضيه، وقد برر وزير خارجية بريطانيا دوجلاس هيرد رفع الحظر بتقدم عملية السلام في الشرق الأوسط ـ حسب زعمه ـ والتي انتهت بتسليم الكيان الصهيوني غزة/ أريحا للفلسطينيين)[1].

بريطانيا هذه التي تتزعم الدول التي تنادي باستمرار حظر بيع السلاح على المسلمين في البوسنة والهرسك وتتركهم فريسة سهلة للحاقدين الصرب، بريطانيا هذه تسعى جاهدة لرفع حظر السلاح عن إسرائيل مع إن إسرائيل لم تلتزم بعد ـ ولن تلتزم ـ بقرار الأمم المتحدة رقم (٤٢٥) الذي يدعو إلى انسحابها الكامل من أراضي لبنان وهي لم تفعل بعد بل هي تواصل غاراتها على الجنوب اللبناني كل يوم بل كل ساعة، ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة (الأمريكية).

هذا هو موقف بريطانيا من قضايا المسلمين ومن إسرائيل، ودولة أخرى هي الأرجنتين التي أعطى رئيسها كارلوس منعم (وهو عربي الأصل) أعطى إسرائيل الحق الكامل في التحري عن حادث تفجير الجمعية اليهودية في بيونس أيرس، وتساءلت عندما قرأت الخبر لو أن الجمعية التي تم تفجيرها كانت للعرب هل يعطي الرئيس الأرجنتيني المخابرات العربية الحرية المطلقة التي أعطاها للمخابرات الإسرائيلية (الموساد)؟ أم أن العرب لا يستحقون من الرئيس الأرجنتيني (العربي الأصل) المساواة في المعاملة مع اليهود؟!

وليقرأ دعاة القومية العربية الذين يزعمون أن الدين ليس عنصرًا من عناصر القومية، ليقرأوا هذا الخبر من بيونس أيرس، فقد انتصر الدين عند كارلوس منعم العربي على عروبته فانحاز إلى إسرائيل وأطلق يد مخابراتها تتصرف كيف نشاء في بلده، وهو تصرف لن يسلكه مع القضايا العربية.

وبعد.. فماذا بقي قوله في موقف الغرب من قضايانا المصيرية؟ وماذا بقي لم نقله في عداء الغرب للإسلام وعمله الدؤوب لعرقلة مسيرته ولصد الناس عنه؟

---

(١) مجلة " المجتمع " الكويتية/ ص ١٧ (العدد ١١٠٢).

بقي أن نقول للعرب أفيقوا من سباتكم، وكفاكم استكانة وضعفًا، أنتم أمة التوحيد، فلماذا أنتم متفرقون؟ أنتم أمة (اقرأ) فلماذا أنتم متخلفون؟ أنتم أمة أعظم شريعة في الوجود فلماذا أنتم تتسولون الأنظمة والقوانين من الأمم التي شقيت بقوانينها الوضعية ونظمها البشرية؟

إن اليهود أعداء للدعوة الإسلامية منذ أول يوم جاءت فيه إلى الناس، ولن يكونوا غير ذلك، كذلك قال القرآن الكريم الذي نؤمن به وحيًا معجزًا من عند الله تعالى ولن نؤمن بخطب الساسة الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم!

المؤامرة(*)

المفتونون بالغرب وحضارة الغرب الذين يعملون ليلًا ونهارًا من أجل إلحاق أمتهم الإسلامية بركب الحضارة الغربية بحلوها ومرها، بما يحب منها وما يستكره، هؤلاء يمثلون طابورًا خامسًا في المجتمعات الإسلامية يجب على المسلمين أن يحذروهم فهم لا يدينون بالولاء لدين الإسلام ولا يحملون في قلوبهم حبًا ولا رأفة ولا إشفاقًا لأمة الإسلام وهؤلاء في الغالب لا تنطوي جوانحهم على شيء يسير من التقدير لهذا الدين الخاتم الذي بعث الله تعالى به أمة من العدم، وأنشأ بهداه حضارة لا نظير لها بين حضارات الأمم، وأقام دولة عادلة عزيزة، قوية الجانب مرهوبة الجوار تراهم يتحدثون عن الغرب وعن إنجازات الغرب وكأنهم أبناء هذه الحضارة رضعوا حليبها ودرجوا على أرضها وتنسموا عبيرها أما الأرض التي أنشأتهم ورعتهم وأما الدين الذي بعثهم من العدم، وجعل منهم أمة كريمة وأنجب منهم سادة وروادًا، هذا الدين ليس له حقوق عليهم ولا يتلقى منهم إلا السهام تلو السهام، تسفيهًا لمبادئه وتشكيكًا في قيمه، واستهزاء بشرعه.. وحينما تسألهم عن سبب هذا العداء منهم لدينهم يقولون الغرب ترك الدين فتقدم، ونحن تمسكنا بالدين وتخلفنا ولابد أن نحذو حذو الغرب وأن نسير وراءهم وندخل كل مكان دخلوا فيه ولو دخلوا جحر ضب وجب علينا أن ندخله خلفهم، فهم رواد الحضارة وسادة التقدم والمبدعون في كل مجال..

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩١/٦/٧م.

وحين تسألهم أين الإسلام الذي تزعمون أنكم متمسكون به.. أين الإسرم تشريعًا في حياتكم أين الإسلام عبادة وأخلاقًا ومعاملات إنكم تحملون أسماء إسلامية بدون مضمون فإنكم لم تتخلفوا بسبب تمسككم بالإسلام ولكنكم تخلفتم حينما انفصلتم عن الإسلام، وآمنتم بعقائد وضعية ما أنزل الله بها من سلطان..

انظروا إلى مجد العرب متى كان؟ أليس في ظل الإسلام ورعايته؟

ألم يدق المسلمون أبواب الشرق والغرب بقبضتهم القوية حينما كانوا أوفياء للإسلام عاملين به داعين إليه؟

ألم ينقلهم الإسلام نقلة حضارية لا مثيل لها حينما نقلهم من ظلام الجهل ووضعهم في مقدمة الأمم روادًا وأساتذة وموجهين؟ ألم يتقدم الغرب على أيديهم بعد أن نقلوا وطوروا علوم اليونان والفرس والرومان؟

إن المنصفين من علماء الغرب ومفكريه وفلاسفته يدينون بالفضل لعلماء الإسلام ويقر علماء الغرب بأنه لولا المسلمون لما خرجت أوروبا من عصورها المظلمة ولتأخر بزوغ فجر النهضة الأوروبية قرونًا طويلة..

كل هذا الفضل يعترف به المنصفون من علماء الغرب.. أما أنتم أيها الأبناء الجاحدون، قلوبكم خواء لا تحملون من دينكم إلا رسمه فإنكم انهزمتم أمام حضارة الغرب وغشيت أعينكم أنوار تقدمه الباهرة فلم تروا حقيقة إسلامكم وعظمة حضارتكم وأمجاد أمتكم..

أيها المغرورون المفتونون بقشور الحضارة وزخرفها الكاذب، هل عرفتم دينكم حق المعرفة، وهل نهلتم من علم علماء الإسلام الذين ينحني لهم علماء الغرب إجلالًا واحترامًا؟

إنكم لا تشرفون أمة ولا ترفعون من قدر أبنائها في العالمين بل أنتم عار وخزي وندامة.

سيبقى الإسلام رغم أنف الحاقدين(*)

ليس عجيبًا أن يغيظ فرنسا طهر الإسلام، وعظمة أخلاقه، وحرص المسلمين على العفاف، لأن فرنسا بلد التحرر من كل خلق وفضيلة، فبها أندية العراة، وتستباح فيها الفضيلة، ويقفون احترامًا وتقديرًا للرذيلة.

لا يغيظ فرنسا النساء الكاسيات العاريات، بل العاريات العاريات، اللواتي تزدحم بهن الساحات وأماكن اللهو غير البريء، ولكن يغيظها أن تستر المسلمات أجسادهن، يغيظها أن ترى المحجبات العفيفات يدخلن مدارسها.

فرنسا لا يغيظها انتهاك الأعراض، واستشراء الاغتصاب وكثرة المواليد غير الشرعيين، ولكن يغيظها أن يتمسك المسلمون بإسلامهم، ويتخلقوا بأخلاقه الفاضلة، ويحكموا شرعه، وحلاله وحرامه، في أمور حياتهم..

فرنسا تريد الناس، جميع الناس، منحرفين، روادًا لأماكن الرذيلة، سبّاقين إلى كل خلق سيئ.. من أجل هذا فهي لا تعرف إلا إسلامًا واحدًا لا غير، هو إسلام يرضى بفصل الدين عن الدولة، وتحريم تعدد الزوجات وخلع الحجاب في المدارس.. هذا هو الإسلام الذي سوف ترضى عنه فرنسا وسوف تفسح له بلادها.. لكن الإسلام الذي يدعو إلى الفضيلة، ويحض أصحابه على التمسك بها.. الإسلام الذي لا يرضي من أصحابه إلا الطهر والعفاف والاستقامة.. هذا الإسلام لا تعرفه فرنسا وإن عرفته فهي لا تريده، وهي تريد أن تحمي شعبها من أن يستقيم، وترتقي أخلاقه.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٨/١٠/١٩٩١م.

فرنسا تعطي الحرية، كامل الحرية، للعري والفساد والانحلال، ولكنها تأبي أن تعطي نفس الحرية للطهر والفضيلة!

إنها تزن بميزانين، وتكيل بمكيالين مختلفين، هي تزعم أنها بلد الحريات والديمقراطية ولكنها تقصد حرية شعبها وحده لا الشعوب التي تعيش على أرضها، الحرية في فرنسا هواء خاص يستنشقه الفرنسيون وحدهم، أما البشر من جنسيات وأديان أخرى، وخاصة المسلمين، فهؤلاء محكوم عليهم أن يموتوا اختناقًا، فالهواء في فرنسا حكر على الفرنسيين وحدهم..

قلت في نفس هذا المكان في معرض ردي على مسئول فرنسي يهاجم الإسلام ويشوه صورته بين الناس، قلت: إنهم يقصدون الإسلام بكل إساءاتهم ولا يقصدون المسلمين، وها هو مسئول فرنسي آخر يؤكد ما ذهبت إليه، ها هو " كوفي يامنيان " وزير الدولة الفرنسي للشئون الاجتماعية والاستيعاب يقول وبصريح العبارة: " إن الإسلام الذي ينسجم مع فرنسا، ينبغي أن يحترم الميثاق الجمهوري "[1].

ولكن.. ماذا في الميثاق الجمهوري الفرنسي من أمور يجب أن ينسجم معها الإسلام ليصبح مستساغًا عند (كوفي يامنيان)؟

يقول كوفي يامنيان: " وعندما أقول مثلًا إن الإسلام يجب أن يكون منسجمًا مع التقاليد الفرنسية أعني أن الإسلام ـ وهو الدين الثاني في فرنسا بالفعل ـ يجب أن يقبل الميثاق الجمهوري، أي يقبل بمبدأ الفصل بين الدين والدولة، ويتخلى عن تعدد الزوجات وإرتداء الحجاب في المدارس، فالذين يقبلون هذا الميثاق يمكن أن تضمن لهم فرنسا حقوق رعاياها أنفسهم "[2].

وزير الدولة الفرنسي للشئون الاجتماعية والاستيعاب يلوح بورقة الجنسية وقبول فرنسا للمهاجرين إليها، يلوح بهذه الورقة في وجه

---

(١) جريدة " الخليج " الإماراتية (٣ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ).

(٢) نفس المصدر السابق.

المسلمين، ويشترط عليهم التخلي عن الإسلام الذي يؤمنون به، هو لا يمانع أن يتمسك المسلمون بظاهر الإسلام وأن يؤدوا عبادات الإسلام طقوسًا شكلية لا غير، أما أن يعتقدوا أن الإسلام جاء لينظم مسيرة هذا الحياة ويوجهها الوَجهة التي يريدها الله تعالى، فهذا محال!

على المسلمين الذين يريدون أن يبقوا في فرنسا، ويحصلوا على فرص عمل، عليهم أن يتجردوا بل وأن ينسلخوا من إسلامهم لينالوا الحظوة عند وزير الشئون الاجتماعية والاستيعاب.

فرنسا لا تخفي حقدها، ولا تداري كراهيتها للإسلام، ولا تحاول أن تغلف هذه الكراهية وذلك الحقد حتى لا يتنبه إليه المسلمون، هي تريد أن يتنبه المسلمون ليزدادوا إحباطًا، فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا بعد أن سلموا مقاليدهم إلى الشرق والغرب.. بعد أن أعطوا ولاءهم لليهود والنصارى، وقد حذرهم مولاهم جل وعلا من أن يعطوا ولاءهم لغير الله ورسوله والمؤمنين، وأنذرهم بأنهم إن فعلوا ذلك فسوف يكونون منهم يشعرون بشعورهم، وينفعلون نفس انفعالهم، وينزعون نفس نزوعهم الحاقد ضد الإسلام والمسلمين.. حذرهم الحق سبحانه وتعالى في محكم تنزيله حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[1].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[2].

هذا بيان إلهي واضح شديد الوضوح وفيه إنذار بعدم موالاة أعداء الله تعالى من الكفار ومن اليهود والنصارى.

قلت: ليس عجيبًا أن يغيظ فرنسا الطهر والعفاف والنقاء في الإسلام، ولكن العجيب أن تخرس الألسنة فلا ينطلق لسان من ألسنة المسلمين

---

(١) سورة المائدة الآية ٥١.

(٢) سورة الممتحنة الآية ١.

الطويلة ليرد على هذا المسئول الفرنسي، ويلقمه حجرًا ويقول له: خسئت أيها الضال المضل إن الإسلام لا يكون تابعًا أبدًا، ولكنه متبوع دائمًا.. ليقول له ولمن يقف وراءه: موتوا بغيظكم إن الله تعالى أخذ العهد على نفسه أن يتم نوره ولو كره الحاقدون الكافرون..

خفتت الأصوات، وخرست الألسنة، وأحكم إغلاق الشفاة والأفواه فلا يستطيعون تحريكها.

ولكن سيبقى الإسلام، لأن تلك مشيئة الله تعالى..

لا تعينوا الشيطان الأوروبي على صاحبكم..(*)

قال الأستاذ محمد حسنين هيكل في لقاء له مع جريدة العربي: إن السودان ليس له علاقة بالإرهاب وكتب الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية جيمي كارتر تقريرًا عقب زيارته للسودان أكد فيه أن السودان ليس له علاقة بالإرهاب، ولكن الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش له رأي مخالف لرأي كارتر، وبعض الأنظمة العربية لها رأي مخالف لرأي محمد حسنين هيكل، هؤلاء والولايات المتحدة الأمريكية يريدون السودان إرهابيًا حتى يبرروا عداوتهم له، ويبرروا مواقفهم المعلنة التي تناصب السودان العداوة ويبيح لهم مخاصمته على اعتبار أن الجريمة الكبرى التي ارتكبها السودان أنه حاول أن يقول " لا " هذه الكلمة المكونة من حرفين اثنين فقط جرَّت عليه الكثير ويدفع ثمنها غاليًا، فهو في نظرهم إرهابي، متخلف، دموي، ديكتاتوري، مستبد، وإذا صح هذا على السودان ونشك في صحته، فإنه حتى الدول الأوروبية التي تزعم الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان تصدق عليها صفة الاستبداد والدكتاتورية والإرهاب حين تعالج قضايا العالم الثالث.

هل يكون الغرب ديمقراطيًا حين تناقش قضية فلسطين، وحق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه واستعادة مسجده الأقصى؟ هل يكون الغرب ديمقراطيًا حين يصرخ شعب البوسنة والهرسك مطالبًا إنصافه وحتى مساواته مع المعتدي الآثم في أن يحصل على السلاح ليدافع عن وجوده؟

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٥/٩/١٩٩٥م.

وإذا كان السودان بإمكاناته القليلة وقوته الضعيفة إرهابيًا، فماذا نقول عن الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعم الإرهاب اليهودي في فلسطين؟ وماذا نقول عن روسيا التي تدعم الإرهاب الصربي في البوسنة والهرسك؟ بل ماذا نقول عن الغرب حين يقف من قضايانا العادلة موقف المتفرج وفي أحيان كثيرة موقف الداعم المساند للقوى المعادية لحقوقنا العادلة؟

وماذا نقول عن كثير من الأنظمة العربية التي تمارس الإرهاب ضد شعوبها وتستعين بالخبرات الأجنبية الحاقدة لإسكات صوت الشعوب المظلومة؟

إذا كان في السودان فساد ففي غيره من بلاد العرب فساد مماثل وربما أكثر منه.. وإذا كان في السودان تخلف فهذه صفة مشتركة بين الكثير من الأنظمة العربية.. وإذا كان السودان ونظامه يوصف بأنه ديكتاتور فهناك الكثير من الأنظمة التي تصدق عليها هذه الصفة.. صفة واحدة قد ينفرد السودان بها، وهي في حدود علمنا سبب هذا العداء السافر والخفي من قبل جهات عديدة ضد السوادن، وهذه الصفة إنه الوحيد تقريبًا الذي يقول " لا " و " لا " هذه في عالم اليوم الذي يسوده ويحكمه دولة واحدة تحت مظلة النظام العالمي الجديد لا يقبل أن يقال له " لا " لأنه عالم العبيد ولأننا نعيش في قرن الرق السياسي إذا صحت التسمية، ومن خرج على هذا الإجماع العالمي فإنه ملعون من قبل النظام العالمي الجديد، ومطرود من رحمته، ومحارب في رزقه، ومضيق عليه في مصادر دخله، ويطالب من قبل المؤسسات المالية العالمية التابعة للأمم المتحدة بسداد ديونه وعدم السماح له بتأجيل بعضها كما يفعل الكثير من البلاد المدينة لهذه المؤسسات العالمية.. السودان يحاول أن يحقق اكتفاء ذاتيًا في الغذاء فهو إذن إرهابي، والسودان يحاول تطبيق الإسلام وتحقيق اكتفاء ذاتي في شرائعه ونظمه، وألا يكون عالة على نظم الغرب وقوانينه ولهذا فهو إرهابي لأن الانفصال عن المنظومة العالمية والخروج على إجماع العبودية للغرب أمر خطير جدًا وهذا يعني أن السودان أو أي بلد من العالم الثالث يريد أن تكون له شخصيته المتميزة، وسمته الواضح، والنظام العالمي الجديد لا يريد

ذلك، ولا يريد للعبيد أن يصبحوا أحرارًا لأن المتفق عليه في الغرب أن هناك سيدًا واحدًا لا غير هو الإنسان الأوروبي وباقي الناس عبيد يجتهدون لإرضاء السيد الوحيد.

فالسودان والحاكمون في السودان لو صدقت كل التهم التي تكال لهم لما خرجوا على الإجماع العربي، فالجميع يصدق عليهم ما يصدق على السودان، إذن فلماذا يشمر الصحفيون عن سواعدهم لمهاجمة السودان ووصفه بأقبح الصفات؟ ولماذا يصر الجميع على اتهامه بالإرهاب رغم أن الشهادات العربية والعالمية تؤكد على أن السودان بريء من هذه التهمة الملفقة؟ أما آن لهذه الأقلام أن تمارس نقدًا ذاتيًا يجعلها أكثر عدالة حين تعالج الشأن السوداني؟ هل يصح أن نرى العود وربما الشعرة الدقيقة في عين السودان ولا نرى الجذع في عيوننا، ونقول لهؤلاء ما قاله السيد المسيح على رسولنا وعليه الصلاة والسلام: " من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر!! ".

كلمة أخيرة نرجو أن تفتح لها العقول والقلوب والآذان وهي حتى وإن كان السودان به ما تقولون من نقائص، فنقول لكم لا تعينوا الشيطان الأوروبي على السودان، ولتقفوا معه لتنصحوه وتوجهوه ولكم من الله تعالى المزيد من الأجر والثواب..

تلك هي حضارتهم(*)

نشرت " أخبار الخليج " في عدد الثلاثاء الصادر في ١٩٩٤/٩/٢٧م وفي صفحتها الأخيرة خبرًا من فرنسا مفاده أن فرنسا " سوف تحتفل في الرابع من شهر أكتوبر القادم وللسنة الثانية على التوالي بمهرجان اليوم العالمي للحيوان " وأفاد الخبر أن هذه الاحتفالات سوف تقام في كافة الأقاليم الفرنسية وفي العاصمة باريس. وسوف تقدم هبة قيمتها ٢٠٠ ألف فرنك لثلاث منظمات تختص بعناية الحيوانات فاقدة البصر أو المعوقة التي تم إيداعها مؤسسات الرعاية لإصابتها بالشيخوخة ".

والخبر الثاني جاء في سياق العمود اليومي الذي يحرره الأستاذ جهاد الخازن تحت عنوان " عيون وآذان " في جريدة الحياة " اللندنية " في عدد الثلاثاء ٩٤/٩/٢٧ وجاء في المقال أن مظاهرة أقيمت في لندن ضد صيد الثعالب ولقد تعرض الصحفي الخازن وأصدقاءه عند خروجهم من أحد الفنادق الراقية لعنف المتظاهرين الذين كانوا يقفون عند باب الفندق الذي تقام فيه الحفلة السنوية لأنصار الصيد.

أما أخبار الفنانة " السابقة " بريجيت ياردو وجهادها المستميت لحماية الحيوانات حتى إنها حدثت بينها وبين الفنانة العالمية صوفيا لورين مشادة بسبب أن هذه الأخيرة كانت ترتدي فروًا غالي الثمن مأخوذًا من أحد الحيوانات..

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٤/٩/٣٠م.

كل هذه الأخبار جاءتنا من بلاد الحضارة، والتقدم، التي تقوم فيها المظاهرات من أجل صيد ثعلب، وتنشغل الصحف ووكالات الأنباء بخبر الفنانة باردو وأخبار حيواناتها، وتقام الاحتفالات السنوية وتدفع الهبات الجزيلة من أجل رعاية الحيوانات المعوقة، وأرجو ألا ينخدع القارئ بهذا كله فيرفع كفه إلى السماء يدعو لفرنسا التي أهمها شأن الحيوانات الكفيفة والمعوقة، ويدعو لبريطانيا التي تخرج المظاهرت منددة بصيادي الثعالب، ولا ينسى القارئ أيضًا من أن يدعو للفنانة " التائبة " التي نذرت نفسها للعناية بالحيوانات والدفاع عن حقوقها.

علينا ألا ننخدع بكل هذه القشور التي تتطاير من الحضارة الغربية ذلك لأننا في مقابل هذا الاهتمام العظيم بالحيوانات، وهذا الاحتفاء الذي لا نظير له بحقوق الحيوانات في مقابل كل هذا نجد امتهانًا للإنسان المسلم وحطًا من كرامته، وسفكًا لدمائه، نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي تزعم إنها راعية النظام العالمي الجديد تجيش الجيوش وترسل أسرابًا من الطائرات وما يربو على الخمسة عشر الف جندي من أجل إعادة رئيس مخلوع، وليس هذا فحسب بل نجد الرئيس بيل كلينتون يدعو ويلح في الدعوة أن ترفع البلاد العربية المقاطعة لإسرائيل، مع أن كلينتون نفسه يرفض أن يرفع الحظر عن توريد الأسلحة إلى جمهورية البوسنة والهرسك ليدافعوا عن أنفسهم ضد الصرب الغاصبين مدعيًا أنه لا يستطيع أن يأخذ القرار منفردًا ولابد وأن توافق عليه دول الأعضاء في مجلس الأمن، وهذه الدول لن ترضى في يوم من الأيام أن يرفع الحظر عن توريد الأسلحة إلى البوسنة والهرسك، فلقد هددت فرنسا وبريطانيا من أنهما في حالة رفع الحظر عن توريد السلاح إلى البوسنة والهرسك فإنهما سوف يقومان بسحب قواتهما المشاركة في قوة الأمم المتحدة في البوسنة والهرسك.

هذا هو الغرب الديمقراطي الذي يحاول البعض تجميل صورته لنا، ويمررون حضارته الغاصبة، وأخلاقه المنحلة، وأمراضه الوبائية باسم التقدم والتحضر.. هذا هو الغرب الذي يهتم بالحيوان أكثر من اهتمامه بإنسان العالم الثالث.. هذا هو الغرب الذي يرى إن مصالحه لن تتحقق، ولن يكتب لها

الدوام إلا بتخفيض مواليد العالم الثالث وفي مقدمتهم المسلمون، فيقيمون المؤتمرات للسكان والتنمية، فينشغلون بتحديد النسل وينسون أو يتناسون أمر التنمية.

هذا هو الغرب الذي يقف مفهومه للديمقراطية عند البلاد الأوروبية، وتتقلص حقوق الإنسان عنده فلا تتسع لغير الأوروبيين، ويملك نفسه فلا يغضب إذا انتهكت أعراض المسلمين، وسفكت دماؤهم، ونهبت ثرواتهم، ونراه يثور غضبًا إذا قتل ثعلب، أو أهدرت حقوق حيوان.

ذلكم هو الغرب الذي تتحدثون عنه، وتجاهدون في إلحاق أمتكم به وبحضارته، ويا ليتكم تقصدون حضارته التكنولوجية بل جل اهتمامكم منصب على نقل عادات الغرب وتقاليده الاجتماعية وأمراضه الوبائية..

ذلكم هو الغرب الذي يقول أحد مفكرينا أن علينا أن نأخذ حضارة الغرب بحلوها ومرها، بما يحب فيها ويستكره.. وكأنها وحي منزل لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

الإسلام لا يمنعكم أيها المسلمون من الأخذ من الحضارات النافع من إنجازاتها ولكن ينهاكم عن أخذ مرها وما يستكره منها، ولكن دعوا أمراض الحضارة لأهلها، واتركوا عادات أهلها وتقاليدهم، فقد أغنانا الإسلام عنها بمكارم الأخلاق، ومحاسن العادات.. إن واقع الحضارة الغربية يقدم لنا كل يوم ألف دليل ودليل على زيف شعاراتها، وبطلان دعاواها..

الناكرون للجميل(*)

لقد فرق الإسلام في نظرته إلى أهل الكتاب بين اليهود والنصارى، وبقدر إشادته بالنصارى وتقديره لهم، فإنه شدد النكير على اليهود وموالاتهم للمشركين قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾(١).

هذه النظرة المنصفة إلى النصارى لأنهم أحسنوا استقبال ما أنزل إلى الرسول ﷺ، وتفاعلت جوارحهم مع الحق الذي نزل على رسول الله العظيم ﷺ فاستمعت آذانهم إلى الحق، ودمعت أعينهم، واستجابت قلوبهم للإسلام طمعًا في مغفرة مولاهم وسعيًا إلى جنة تجري من تحتها الأنهار.

هذا الموقف الجليل الذي وقفه الإسلام ورسول الإسلام، ﷺ من النصارى، وكيف فرق في المعاملة معهم عن اليهود الذين لم يكتفوا بمعاداة رسول الله ﷺ ومحاولاتهم المتكررة للقضاء عليه مرة عن طريق السم الذي

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٧/١١/٢٠٠٠م.

(١) سورة المائدة الآيات ٨٢ - ٨٥.

دسته تلك المرأة اليهودية في الطعام، ومرة أخرى عندما حاولوا إلقاء الحجر عليه ﷺ.. لم يكتفوا بهذا بل ظاهروا مشركي مكة في حربهم ضد رسول الله ﷺ والفئة المؤمنة في غزوة الأحزاب بعد أن عاهدوا رسول الله ﷺ وأكرم ﷺ مثواهم ووفر لهم الحماية لأنفسهم وأموالهم ودور العبادة التي تخصهم، ولكن اليهود هم اليهود في كل زمان ومكان، هم قتلة الأنبياء، وهم الذين يشيعون الفساد والفاحشة في كل مكان يحلون فيه، ولقد لعنهم أنبياؤهم صلوات الله وسلامه عليهم وها هو كتاب الله تعالى يشهد بذلك، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾[1].

هذه شهادة أنبيائهم عليهم صلوات الله وسلامة عليهم، والعجيب أن النصارى الذين أنصفهم الإسلام وذكر نبيهم عيسى عليه السلام وأمه الصديقة بكل تبجيل واحترام أنكروا هذا المعروف، وقابلوا الإحسان بالإساءة عندما وضعوا أيديهم في أيدي اليهود وظاهروهم في حربهم للمسلمين، وكأنهم يعيدون نفس الدور(القذر) الذي لعبه اليهود حين ظاهروا مشركي مكة في حربهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين في غزوة الأحزاب حين مثل يهود المدينة طابورًا خامسًا ينخر في بناء الدولة الإسلامية الحديثة كما ينخر السوس في الخشب وهذه الخيانة في طبع اليهود وفي دمهم ولا يستطيعون أو هم لا يريدون التخلص منها لأنها تشفي صدورهم البغيضة، وتشبع نهمهم لسفك الدماء والقضاء على الحضارة والمدنية.

أمريكا والغرب قاطبة بل والحضارة الغربية تعيش على البترول العربي والإسلامي، بل إن مصالح الغرب التجارية والاقتصادية هي مع العالم العربي

---

(١) سورة المائدة الآيات ٧٨ - ٨١.

والإسلامي، ولم تكن إسرائيل في يوم من الأيام إلا دولة تتلقى الإعانات لتحيا ولو توقفت هذه الإعانات لماتت في مهدها.

أنصفهم الإسلام وأعلى منزلتهم وقابلوا كل ذلك بالنكران ومظاهرة أعدائه والكيد لأوليائه فمن هو الأحرص على حقوق الإنسان الإسلام أم هم؟!

أمهات بالإيجار(*)

إن التقدم الحضاري له إيجابياته وله أيضًا سلبياته، فما تشهده البشرية من نمو وتراكم في هذا النمو في جميع جوانب الحياة.. هذا من إيجابيات الحضارة، ولكن ما تأخذه الحضارة من الإنسان بالشمال أضعاف ما تعطيه له باليمين، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمثلًا اضطرار المرأة للخروج للعمل لسد النقص الذي تركه الرجال في المصانع بذهابهم إلى الحرب استدعى إنشاء حضانات ودور رعاية للأبناء أثناء غياب الأم في العمل وكان حصاد هذا " أطفال بلا أسر " كما أسمته باحثة أمريكية في كتاب لها يحمل نفس هذا العنوان ولوحظ على هؤلاء الأطفال الذين تربوا بعيدًا عن أمهاتهم ميلهم إلى الجريمة والعنف وعقوقهم لأمهاتهم وآبائهم هذه واحدة من إنجازات الحضارة وكيف انقلبت إلى مصدر للشر والانحراف.

وبسبب تشعب الحياة وزيادة الأعباء دفعت الكثيرات من الزوجات العاملات إلى توظيف مربيات لأبنائهن، وفي كثير من الأحيان يتركن للشغالات غير المتخصصات في التربية أمر رعاية أبنائهن، وهذه الأمور على درجة عظيمة من الخطورة وعدم الإحساس بالمسئولية.

كنت في زيارة إحدى القريبات في المستشفى لأهنئها بالمولود الجديد ولا أعلم كيف قادنا الحديث حول مسئولية الأم تجاه أبنائها وقلت لهن: إن الرسول ﷺ قال: " الجنة تحت أقدام الأمهات " هل تعتقدن أنه عليه

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٢/١١/١٩٩٩م.

الصلاة والسلام يقصد بذلك الأمهات اللواتي أهملن في رعاية أبنائهن بسبب إثبات وجودهن من خلال الخروج إلى العمل وترك رعاية الأبناء، وشئونهم الخاصة للشغالات الأجنبيات. أم إنه ﷺ كان يقصد الأم التي ضحت من أجل أبنائها براحتها ووقتها، وأفنت وجودها في وجودهم، وكانت تجوع ليشبعوا، وتسهر لينعموا، وترضى بالقليل والقديم من اللباس ليلبسوا هم الجديد. كانت تصحو من نومها على صوت وليدها وهو يطلب الماء أو الحليب، وكانت تسهر الليل الطويل قرب فراشه وهو يتلوى من المرض، وكانت تقوم من مائدة الطعام لتنظفه دون أن تشعر بأية غضاضة، ذلك لأنها قد هيئت لذلك.

هذه الأم المتميزة الحانية الرحيمة هي التي تستحق بشارة رسول الله ﷺ.

لم يعجب كلامي الكثيرات من الأخوات اللاتي جئن لزيارة قريبتي واعتبرنني متشددًا ولكني أكدت لهن بأن هناك رسالة خالدة للأم يجب أن تقوم بها إذا أرادت أن تحمل شرف لقب " أم " فالأم ليست هي التي تحمل وتلد فقط، فهذا ما تفعله الإناث من المخلوقات الأخرى.

أما الأنثى من البشر فهي صاحبة رسالة عظيمة، ولأن طفولة الإنسان أطول طفولة في المخلوقات بسبب القيم والمبادئ والتطورات التي تغرسها الأم في الطفل، ولأن هذا الطفل سوف يتحمل رسالة عظيمة وهي أمر الخلافة في الأرض، فإن رسالة الأم تجاهه ترقى إلى هذه المنزلة.

والأمر العجب في بعض الأمهات أنهن يستغربن حين يرين حب أطفالهن للمربية أو الشغالة وتعلقهم بها، وإذا غابت لا يسكت الطفل عن البكاء، أما إذا سافرت في إجازتها السنوية، فعندها تحدث الطامة الكبرى حيث يمتنع الطفل عن تناول الطعام من يد أمه وتلاحظ الأم على طفلها وعلى صحته هزالًا لا تعرف سببه، والسبب معروف وهو الفراق الذي أحدثه غياب الشغالة أو المربية.

أيضًا هناك حالات تعجب فيها الأمهات من تصرفات أطفالهن، فهناك من الأطفال من يقف أمام النار بقداسة وانبهار، وهناك البعض الآخر يأتي

بحركات غريبة تشبه بعض العبادات والطقوس عند بعض أهل الديانات الأخرى كل هذا بسبب ترك رعاية الأطفال وتوجيههم إلى الشغالات والمربيات الأجنبيات دون مراعاة لخصوصية التربية الإسلامية التي يجب أن تتسلح بها الأم في مواجهة المناهج الأخرى في التربية.

نحن لا ننكر حق الأم في توظيف من يعينها من الشغالات على عمل البيت، فهذا حق لها لا ننازعها إياه على أن تتفرغ هي لزوجها ولأطفالها، ولكن أن تترك الحبل على الغارب للشغالات والمربيات الأجنبيات وتتنازل لهن عن فلذة كبدها، وتفرط في الأمانة التي كلفها الحق سبحانه وتعالى بحملها، والتي سوف تسأل عنها يوم القيامة، فهذا ما ننكره عليها وننهاها عن الوقوع فيه.

الأمومة ليست حملًا وولادة وإرضاعًا. الأمومة تربية ومصاحبة ومداعبة للأولاد واهتمامًا بشئونهم الصغيرة قبل الكبيرة.. الأمومة رسالة خالدة، وتكليف وتشريف، ومسئولية أمام الله تعالى وأمام رسوله ﷺ وأمام المجتمع.

إن الأجر في الإسلام على قدر المشقة، وإذا أردتن أيتها الأمهات أن تكون الجنة تحت أقدامكن فلا تأتوا لأبنائكن بأمهات بالإيجار، فذلك تفريط في الأمانة، وتهاون في حمل المسئولية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

الوعي الغائب

* أمام محكمة العقل
* دائمًا.. التربية قبل التعليم
* هل العامية.. لغة المستقبل؟
* اللغة العربية.. تشكو جحود أبنائها
* اسم.. على غير مسمى!!
* لا تزال الكلمات تبحث عن هوية
* الأزهر.. عندما كان قلعة للصمود
* صور فاضحة على دفاتر الطلبة
* الإسلام بريء!!
* هارون الرشيد.. المفترى عليه
* هذا ما بقي من نزاركم!
* أولاد حارتنا مرة أخرى
* للعائدين نقول أهلاً
* إشكالية التوفيق بين النصوص
* معلوف بين الأصول والجذور
* من قتلنا فليس منا
* لا.. للعنف وسيلة للحوار
* مسيلمة الكذاب يحصل على الدكتوراه
* السابحون ضد التيار

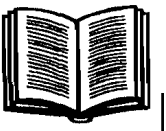

.. أمام محكمة العقل(*)

هل يلام الإسلام على تأخر المسلمين وتخلفهم عن ركب الأمم الهادر إلى حياة أفضل ومستقبل أجمل؟.

هل يلام الإسلام أن غالبية دول الإسلام إن لم يكن جميعها خاضعة للنفوذ الأجنبي إن لم يكن عسكريًا، فاقتصاديًا، أو اجتماعيًا، أو فكريًا؟

العاقل، الدارس للإسلام، المستوعب لخصوصيته وشموليته في نفس الوقت ينكر هذا ويأباه، ويدرجه ضمن الحملة المنكرة على الإسلام للحد من انطلاقته المباركة، وقيادته لحركة الحياة، أما ـ المستغربون - الذين يسيرون خلف الغرب حذو النعل بالنعل، الذين يتيهون إعجابًا وهيامًا بحضارة الغرب، فهؤلاء لا يتورعون أبدًا عن اتهام الإسلام بشتى الاتهامات، بل نراهم يسعون جاهدين لإلحاق المسلمين بالحضارة الغربية بما يحب منها وما يستكره، بحلوها ومرها، دون أن يقيموا أدنى اعتبار لخصوصية الأمم في مجال التشريعات والأخلاق والقيم، ودائما يشهرون في وجه المعارضين لهذه الدعوة، سيفًا مثلومًا هو أنكم يا دعاة الإسلام أعداء للعلم والحضارة والتقدم، وعبثًا تحاول إقناعهم بأن المسلمين في تاريخهم المجيد لم يكونوا في يوم من الأيام أعداء للعلم والمعرفة، ولو كانوا كما يزعم هؤلاء المستغربون من أبناء المسلمين كذلك لما ازدهرت العلوم، ولما تقدمت المعرفة في ظل الحكم الإسلامي المجيد.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٦/٣/١٩٩٢م.

نعم من يدرس تاريخ الحضارة الإسلامية التي شاع ذكرها، وعلا صيتها بين الحضارات لا شك يدرك في وضوح تام تجني هذه الفئة المسلوبة الإرادة من المسلمين على الإسلام وعلى حضارة الإسلام..

بل إن المسلمين ليفخرون بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي اعتنى بالعلم عناية فائقة، وأحله مكانًا رفيعًا، في الإسلام وحده يعادل مداد العلماء دماء الشهداء بل قد يتفوق عليه، وفي الإسلام وحده تدعو جميع المخلوقات لمعلمي الناس الخير، وفي الإسلام وحده العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والإسلام ليس عقيدة بشرية حتى يثور حوله كل هذا الجدل، ويختلف حوله المعارضون والمؤيدون، بل هو وحي مقدس نزل به الروح الأمين على سيد الخلق أجمعين محمد بن عبدالله ﷺ، وبه قامت أمة، وتأسست حضارة، وازدهرت علوم.

إن الدعوة إلى فصل الإسلام عن الحياة دعوة مشبوهة لا يقول بها إلا أعداء للإسلام حاقدون عليه، فليس في مصلحة المسلمين أن تساس أمورهم بشرع غير شرع الإسلام، ولا يمكن أن يرجى خير لهذه الأمة إذا هي ظلت على خصومتها للإسلام، فالله تعالى عندما أنزل الإسلام لم ينزله لصالحه هو ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ بل لصالح الناس، فمن أخذ به هدي إلى سبيل الرشاد، ومن أعرض عنه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

وها نحن ـ معشر المسلمين ـ نعيش هذه " المعيشة الضنك " ـ التي حذرنا منها الحق سبحانه وتعالى..

وتعالوا أيها المعارضون لنتحاكم إلى العقل الذي تؤمنون به، ولا نكفر نحن به، إن العقل هو الأرضية المشتركة التي ننطلق منها نحن وأنتم جميعًا، وهي جزئية مشتركة متفق عليها، ولا أظن يجرؤ واحد منكم على إنكار دور العقل في الوصول إلى الحقائق، بل بعضكم يبالغ في دور العقل ويحسبه الوحي المنزل ولا يستفتي سواه في شئون حياته، لنقبل منهم ذلك، ولنتحاكم إليه ولنعرض عليه أحوال العرب قبل الإسلام وما تحقق لهم بعد أن آمنوا بالإسلام واتبعوا النور الذي أنزل مع محمد بن عبدالله ﷺ.

العرب قبل الإسلام قبائل متناحرة متقاتلة يغير بعضها على بعض، وكان القتل وسفك الدماء في أعرافهم شجاعة ورجولة، فكانت القبيلة تفني القبيلة الأخرى من أجل ناقة ـ حرب البسوس ـ أو من أجل فرس ـ داحس والغبراء ـ وتظل الحرب بينهم سجالًا، حتى تتحرك نخوة أحدهم ليحقن تلك الدماء، ولكن بعد أن تتلون الأودية والبطاح بدماء الأبرياء الذين لا ناقة لهم فيها ولا جمل في هذه الحرب الضروس..

فجاء الإسلام ليحقن هذه الدماء، ويحافظ على هذه الأرواح التي كانت تذهب هدرًا وعبثًا، فحرم القتل إلا بالحق.

كانوا قبل الإسلام ينتهكون الأعراض، أو يسرفون في الدفاع عنها إلى درجة أن يدفن الأب ابنته مخافة العار، فجاء الإسلام وأبقى على الأعراض مصانة وحمى البنات من الوأد.. كانوا يشربون الخمر، ويمارسون الربا ويتقربون إلى الكهان والسحرة فلما جاء الإسلام حرم عليهم كل ذلك، وأبدلهم خيرًا من ذلك تشريعًا لا نظير له، فأمرهم أن يرجعوا أمورهم إلى الله والرسول إذا كانوا مؤمنين حقًا..

كانوا يعبدون آلهة متعددة، ويتقربون إليها بالقرابين، فحرم عليهم ذلك وأصلح من فساد عقائدهم، وأمرهم أن يتوجهوا إلى إله واحد لا شريك له..

كانوا أمة تفشت الجهالة فيهم فكان أول أية من وحي السماء ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

فانطلقوا من وحي هذه الآية الكريمة يجوبون أقطار الدنيا بحثًا عن المعرفة، وكانوا لا يستنكفون أن يأخذوا العلم من أي وعاء خرج منه، فهم أحق الناس بالحكمة لأنها ضالتهم المنشودة، وهدفهم الذي تتقطع دون الوصول إليه الأنفاس والأكباد..

بهذا الوحي العظيم أسسوا الحضارة، وصانوا أعراض الناس وأموالهم

---

(١) سورة العلق الآيات ١ - ٥.

وعقولهم وأخلاقهم، وبه سادوا وكانوا روادًا سباقين إلى كل جديد، وأخذ الغرب عنهم الحضارة، وأسس التقدم العلمي.

إن العقل الذي نحتكم إليه ليخر ساجدًا مسبحًا ذاكرًا لفضل الإسلام، ولنعمته التي أنعمها على البشرية، فإن كنتم من أولي الألباب أي العقول الراجحة فستنزلون على حكم العقل، وإن كنتم مكابرين فإنكم سوف ترفضون حكم العقل، وسوف تنتحلون الأعذار للإفلات من تهمة معاداة العقل، ولم يبق أمامكم قاض عدل تحتكمون إليه بعد أن رفضتم الإسلام والعقل.. ونحن نرأف بكم، ونشفق عليكم، ونسأل الله تعالى لكم الهداية والسداد..

دائمًا.. التربية قبل التعليم(*)

قلت في هذا المكان منذ زمن: إنه لحكمة ما جاء اسم المؤسسة المعنية بتعليم أبنائنا العلوم وتربيتهم على فضائل الأخلاق بهذا الترتيب المقصود.. التربية والتعليم.. فجاءت كلمة التربية قبل كلمة التعليم، وفي هذا من الدلالات العميقة الشيء الكثير، فلا خير في تعليم لا تسبقه تربية خلقية وسلوكية تغرس الفضائل والقيم في أعمق أعماق النفس عند النشء مما يجعلهم يوظفون العلم توظيفًا يخدم دينهم وأمتهم، ويرفع من شأنهم، ويحول بينهم وبين التردي في ضلالات الانحراف والخسران المبين. والتدهور في القيم والمبادئ عند أبنائنا منشؤه تخلف مؤسسات التربية والتعليم في دولنا العربية عن القيام بأعباء التربية قبل التعليم، فالتربية الحقة لا تأخذ حظها ونصيبها في المؤسسات التعليمية، بل العكس هو الذي يحدث، فقد تقلص الاهتمام بالإسلام في مناهجنا الدراسية وتقدمت عليه العلوم الأخرى، وصار الاهتمام بالتربية البدنية والموسيقى أكبر من الاهتمام بالتربية الإسلامية، ليس هذا فحسب، بل صرنا ننقل عن الغرب تجاربهم في الاختلاط، فنطبقها في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا دون إدراك لحقيقة الواقع الذي نتعامل معه، وإنه يختلف عن واقع تلك الأمم التي جلبنا منها تلك المناهج، وأيضًا فإننا قبل أن نستورد بدعة الاختلاط لم ندرس آثارها السلبية بل المدمرة على تلك المجتمعات.. لم ندرس الإحصائيات الضخمة لحالات الأبناء غير الشرعيين الذين هم نتاج العلاقات المحرمة التي نشأت بين

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٨/٧/٨م.

الأستاذ وطالبته أو المدرسة وطالبها، واقرأوا إن شئتم القصة التي هزت فرنسا وهي قصة المدرسة التي أحبت أحد طلبتها، فسارت سيرتهما على كل لسان، وتم إخراج هذه العلاقة الشاذة ـ في نظر فرنسا بلد الحريات ـ في فيلم سينمائي بعنوان " الموت حبًا " لم يغفر لهذه المدرسة أنها تمارس حقها في أن تحب من تشاء، وهي ليست غريبة على مجتمعها، فمجتمعها مجتمع الحريات التي تصل إلى درجة الفوضى، فعلاقات الشباب والشابات في هذا البلد وغيره من البلاد الأوروبية خرجت على تعاليم الدين، وسنت لمجتمعاتها قوانين بشرية تبيح ما تحرمه الأديان، وتقبل ما ترفضه مناهج الحق التي جاءت لهداية الناس. لقد ثار المجتمع على المدرسة لأنها أحبت أحد طلبتها، ونسى هذا المجتمع أنه بخروجه على تعاليم الدين قد بذر بذرة الفساد، وسقاها وأولاها رعايته التامة حتى أثمرت هذه الثمار المرّة التي تعاني منها الأمم الأوروبية.

إن نقل التجارب الأوروبية بكل ما تحمله من انحراف وخروج على تعاليم الحق تبارك وتعالى ليس من التربية في شيء، إن من يفعل ذلك لابد أن يراجع ولاءه لعقيدته ولأمته، ولابد أن يعيد النظر في منابع ثقافته وأصولها ومدى ما يمثل الالتزام بها من خروج على عقيدة الأمة.

أما إذا أصر على موقفه من منهج الإسلام في التربية فإننا لن نعجب من هذا حينما نعلم أن أصل هذه المناهج التي لا تزال تطبق في مدارسنا هو المستعمر، فقد وضع دنلوب أصول هذه المناهج في مصر، وقامت الدولة العربية باستيرادها من مصر، وهكذا أراد المستعمر ونفذ إرادته، أراد إبعاد هذه الأمة عن دينها ولقد حقق ما أراد ليس لقوة، ولا لوجاهة هذه المناهج ولكن لأنه وجد في أبناء هذه الأمة من يقف معه يعينه، ويكون اليد التي تنفذ، وتبرر للناس ما تقدمه لهم رغم أنه مخالف لعقيدتهم، ولتوجيهات إسلامهم.. تعود مرة ثالثة وربما رابعة أو خامسة مشكلة النخبة وعدم تبنيها لقضايا أمتها وهمومها، وإذا تبنتها فلا تتبناها وفق منهج الإسلام الذي يطلب من معتنقيه أولًا وقبل كل شيء إخلاص العبودية لله تعالى، وإعطاء الولاء الخالص للإسلام ولا شيء غير الإسلام.

هل العامية.. لغة المستقبل؟(*)

اللغة من مكونات شخصية أية أمة، وهي الإطار الذي تتحرك فيه هذه الأمة وتمارس من خلاله حياتها على وعي تام لأهمية المحافظة على لغتها من الضياع أو الاختلاط المؤدي إلى ضياع المعالم الرئيسة لهذه الأمة بحيث تهتز صورة الأمة وشخصيتها أمام الأمم الأخرى، واهتزاز الشخصية هو الخطوة الأولى التي سوف تتلوها ـ لا محالة ـ خطوات تضيع فيها الأمة ضياعًا لا رجعة بعده.. هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها والدفاع عنها إذا أردنا المحافظة على وجودنا كأمة قادرة على العطاء..

حول هذه القضية الهامة نشرت مجلة " الناقد " الجديدة في عددها الثاني أغسطس ١٩٨٨م الصادرة عن مؤسسة رياض الريس للكتب والنشر.. نشرت هذه المجلة مقالًا لـ " ميشال نقولا " تحت عنوان " هل تتطور اللغة العربية؟ " ذهب الكاتب يعدد الصعوبات التي تقف في طريق الفصحى لتكون لغة التخاطب اليومي، ويحاول أن يضفي جمالًا ومعقولية بل وحتمية على اللهجات العامية وأنها ـ في رأيه ـ لغة المستقبل..

والكاتب يرى أنه لابد من أن نسلك طريقًا واحدًا لا غير من طرق أربعة وهي:

١ ـ طريقة الحالة الحاضرة، أي وجود لغة فصحى مكتوبة ولهجات متعددة محكية.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٨/٩/٣٠م.

٢ ـ اختفاء اللهجات واستعمال الفصحى للكلام والكتابة.

٣ ـ سيطرة لهجة واحدة معينة وحلولها محل الفصحى واللهجات الأخرى.

٤ ـ نشوء لغة عامية محكية ومكتوبة، تأخذ ما تأخذ وتهمل ما تهمل من كل اللهجات العامية والفصحى، وأيضًا من اللغات الأجنبية.

هذه طرق أربعة يرى الكاتب ضرورة أخذ واحد منها، وهو يرشح الطريق الرابع أي نشوء لغة عامية محكية ومكتوبة، تأخذ وتهمل ما تهمل من كل اللهجات العامية والفصحى، وأيضًا من اللغات الأجنبية!!

وإذا كان من حق الكاتب ـ أي كاتب ـ أن يقول ويدعو إلى ما يشاء فإن من حقنا أن نقبل أو نرفض ما نشاء، وفي ضوء هذا الحق المتبادل نقول: إن هذه الدعوة ـ أي الدعوة إلى العامية ونبذ الفصحى ـ ليست جديدة على أسماعنا، كما أنها لم تكن جديدة على الجيل الذي سبقنا، فقد نادى بها أدباء وكتاب مثل أحمد لطفي السيد الذي نادى باقتراح تمصير اللغة العربية، وعبدالعزيز فهمي الذي اقترح استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية وتابعه على هذا الشاعر اللبناني سعيد عقل حيث نظم ديوانًا من الشعر (يارا) مطبوعًا بالحروف اللاتينية[1] كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وماتت الدعوة في مهدها.

واليوم تعلو الأصوات من جديد لتحي هذه الدعوة، والغريب في أنصار هذه الدعوة أنهم يتوسلون لنشرها والدعوة إليها باللغة العربية نفسها، وهذا أكبر دليل على استحالة ما يدعون إليه، فهم لا يستطيعون توصيل أفكارهم إلا باللغة العربية الفصحى، ولو حاولوا إيصالها إلى القراء باللهجة العامية لظلوا في طي النسيان ولما قرأ لهم أحد..

يقول الكاتب: أن من يكتب بالفصحى أو يدرسها أو يذيع بها يفكر فيها عندما يستخدمها، وبعد ذلك يعود ويفكر ويعيش بالعامية، فالفصحى

---

(١) بين الفصحى ولهجاتها/ د. هشام بو ثمرة.

ليست جزءًا من حياته اليومية بل أداة لمهنته فقط. فهل يمكن للغة التي ليست جزءًا من الحياة اليومية أن تنمو وتتطور؟

أول مغالطة في هذا الكلام قول الكاتب: إن الفصحى ليست جزءًا من الحياة اليومية.

وكأن سنوات الدراسة التي قد تحتل مساحة كبيرة من حياته ليست جزءًا من حياته اليومية.. والفترات التي يقضيها في التعامل مع الكتب والصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى وكلها تتحدث بالفصحى، وإذا كان من أسرة مثقفة فحديثه في البيت يغلب عليه الفصحى إلا فيما ندر.. كل هذه الفترات الطويلة أليست جزءًا من حياته اليومية؟!

هذه مغالطة كبيرة نحن في حل من قبولها أو رفضها.

المغالطة الثانية هي قوله: إن العامية هي لغة المستقبل مهما تشبث الكتاب بالفصحى.

ولا أدري من أين جاء بهذه الحتمية وهو نفسه لا يستطيع أن يكتب العامية ليوصل أفكاره إلى الناس، وأنه لو كان لهذا الرأي وجاهته وحجيته لاستطاع أن يصمد منذ أن بدأ العلمانيون الدعوة إلى اللهجة العامية وإلى الكتابة بالحروف اللاتينية ونحن نعلم كما قلت من قبل أن الدعوة ليست جديدة..

إن توحد اللغة مقدمة لتوحيد الأمة، كما أن توحد الدين يقود إلى وحدة الأمة، هكذا صنع الإسلام بالقبائل المتناحرة المتقاتلة التي كانت القبيلة تغير على القبيلة الأخرى والقبيلة الثالثة تغزو القبيلة الرابعة، فلما جاء الإسلام وحدها في أمة واحدة، في كيان واحد، بلغة واحدة، وجاء القرآن الكريم ليضمن لهذه اللغة الخلود والاستمرار، ومادام هناك إسلام وهناك قرآن، فستظل اللغة العربية هي لغة المسلمين وغير المسلمين من العرب، وستظل هذه اللغة الخالدة مستعصية على الزوال.. ليس هذا كلامًا عاطفيًا نقوله لنطمئن به نفوسنا، ولكنه حقيقة واقعة أكدها التاريخ والواقع.

اللغة العربية.. تشكو جحود أبنائها(*)

اللغة العربية ليست كباقي اللغات، فهي ليست لغة قومية لأكثر من مائة مليون عربي فحسب، وهي ليست حضارية لأكثر من ألف عام فقط، وهي ليست لغة لعشرات الآلاف بل لمئاتها من المخطوطات العلمية والأدبية التي تزخر بها مكتبات العالم الكبرى نتيجة لنهب المستعمر لهذه الكنوز، بل هي فوق ذلك كله لغة الوحي المبارك، ولغة آخر تنزيل نزل به الروح الأمين على سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ.. نعم عظمة اللغة العربية، وسموها، وعلو شأنها نابع من أنها لغة أعظم كتاب نزل من الحق سبحانه

وتعالى على قلب أعظم رسول بعثه الله تعالى إلى الناس كافة هاديًا ومبشرًا ونذيرًا..

يكفي اللغة العربية شرفًا، ويكفيها سموًا، ويكفيها عظمة أنها لغة القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة على مرّ العصور والدهور، فإذا نادى المنادي، ودعا الداعي إلى الاحتفاء بهذه اللغة، وتكريم مكانتها، وإعطائها ما تستحقه من تقدير واحترام، بل وحب فهو في الواقع يدعو إلى عبادة، فحب اللغة العربية والتمسك بها وإيلاؤها ما تستحقه من رعاية وعناية هو في الواقع تقرب إلى الله تعالى بطاعة من أنفس الطاعات، وكيف لا تكون كذلك ولا يمكن فهم حقائق الإسلام وقيمه ومبادئه إلا بها؟ ناهيك أنها لغة حضارية بمعنى الكلمة، لا تندهش عزيزي القارئ وأنت ترى المسلمين وهم

(*) أخبار الخليج (البحرين)

أمة الحضارة والتقدم وهم الآن في مؤخرة الركب الحضاري، فإن هذه كبوة ولكل حصان كبوة ولابد له من أن يقوم من كبوته ويواصل مسيرته الحضارية إذا هم سلكوا سبيل الحضارة والتقدم.. سبيل الإسلام الحق.. هذه اللغة المباركة بكل هذا الثراء العقدي والحضاري والأخلاقي تواجه اليوم من أبنائها جحودًا لا مثيل له، فهم يحملونها مسئولية تخلفهم، ويظنون أن الخير كل الخير، والتقدم كل التقدم في نبذها وراءهم ظهريًا، ومخاصمتها، بل ومعاداتها.. هؤلاء الذين باعوا أنفسهم ووجودهم وكرامتهم بثمن بخس دراهم معدودة لفضلات الحضارة الغربية وفتنوا بكل وارد من بلاد الغرب، وألغوا عقولهم، وتنازلوا عن إرادتهم، فأصبحوا إمعات يسيرون وراء كل ناعق.

هذه اللغة المباركة التي ختم بها الحق سبحانه وتعالى موكب الرسالات، وجعلها لغة أعظم معجزة في الوجود يتخلى عنها أهلوها وأصحابها ويعطون ولاءهم واهتمامهم ورعايتهم للغات أخرى.. وفي الوقت الذي تعترف فيه المنظمات الدولية ممثلة في الأمم المتحدة ومجلس الأمن باللغة العربية بأنها إحدى اللغات التي يتحدث بها في هذه المحافل الدولية، وفي الوقت الذي نرى رؤساء وملوك وحكام دول العالم يتحدثون في الأمم المتحدة ومجلس الأمن بلغاتهم القومية، فالإنجليزي يتحدث الإنجليزية، والفرنسي يتحدث الفرنسية والألماني يتحدث الألمانية، والياباني يتحدث اليابانية، نجد بعض المسئولين في الدول العربية، يتحدثون الإنجليزية ويأنفون أن يتحدثوا لغتهم العربية، لغة الإسلام، ولغة القرآن، وليس هذا فحسب بل نجد داخل بلادنا العربية، في المؤتمرات، والندوات، واللقاءات نجد أن المتحدثين من وزراء ومسئولين يفضلون الحديث باللغة الإنجليزية بحجة أن ضمن الحضور بعض الأجانب الذين قد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة رغم أن نظام الترجمة الفورية نظام معمول به في مثل هذه اللقاءات وبإمكان الإنجليزي أو الفرنسي ومن يتكلم إحدى هاتين اللغتين من الدول الأفريقية أو غيرها من الذين فرض عليهم المستعمر التحدث بلغته، أقول بإمكان هؤلاء أن يستمعوا إلى الحديث من خلال الترجمة الفورية التي توفرها إدارة المؤتمر أو الندوة، وأيضًا فإن الأبحاث والأوراق التي تقدم في

مثل هذه المؤتمرات تقدم باللغة الإنجليزية ولا يكلف القائمون على مثل هذه المؤتمرات أنفسهم بأن يقدموا ترجمة باللغة العربية لهذه الأبحاث حتى تعم الفائدة.

لماذا نخجل من التحدث بلغتنا العربية، لغة القرآن؟ هل لنثبت أننا متقدمون وأننا نجيد الحديث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية؟ هل نحن مازلنا خاضعين لعقدة المستعمر.. أن كرامة أية أمة وعزتها من كرامة لغتها، وإن احترام الآخرين للغتنا وتقديرهم لها نابع من احترامنا نحن لها وتقديرنا لمكانتها ونحن لسنا أقل مكانة ولا حضارة من الأمم الآخرى، وإذا كنا الآن بفعل جحودنا لنعمة الله التي أنعمها علينا، وبمخالفتنا لشرعه العظيم صرنا إلى ما صرنا إليه، فإن هذا لا يعني أن نتخلى عن لغتنا الخالدة، لغة ديننا، ولغة عباداتنا، ولغة قرآننا.

إننا لن نتقدم بلغة غيرنا، وإننا لن نخطو خطوة واحدة إلى الأمام بتغيير عاداتنا وتقاليدنا وديننا، بل أن ألف باء التقدم هو التمسك بهذا الدين العظيم، وجعله هو القائد المهيمن على حياتنا، به تقدم سلفنا الصالح، وبه سادوا، وبه صاروا أساتذة الدنيا ورواد الحضارة، ولن تكون لنا عودة إلى ما كنا عليه إلا إذا أعدنا للإسلام اعتباره، وللغة العربية مكانتها، وصيرناها لغة العلوم والآداب والمناهج في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ومؤتمراتنا وندواتنا بهذا وحده نفلح ونوفق.

اسم.. على غير مسمى!!(*)

أسماء الأبناء من اختيار الوالدين وحدهما، والسلوك والتصرفات من اختيار الإنسان نفسه.. والآباء والأمهات يحرصون دومًا على اختيار أجمل الأسماء لأبنائهم، وقد يشكل الاسم " المختار " في نظر الوالدين رغبة دفينة في أن يكون الإبن أو الإبنة إنسانًا " اسم على مسمى "، فالأب الذي يختاراسم " صادق " لابنه كأنه يتمنى في قرارة نفسه أن يكون ابنه صادقًا حقًا في قوله وفعله، لأنه ـ أي الأب ـ يعلم أن الصدق فضيلة من الفضائل التي يحض الإسلام عليها ويرغب فيها، بل هي في الإسلام الطريق المؤدي إلى الجنة ونعيمها.

والأب الذي يطلق على ابنه اسم " أمين " هو الآخر يحب الأمانة كخلق قويم، ويحب أن يكون ابنه حاملًا لهذه الأمانة عاملًا بها، وداعيًا إليها.

والأب الثالث الذي يختار لابنه اسم " عادل " يتمنى أن يكون ابنه عادلًا معه ومع أمه ومع إخوانه وأخواته بل مع أسرته جميعها، بل ومع الناس جميعًا، لأن صفة العدل من الصفات المباركة التي يدعو إليها الحق تبارك وتعالى.. في سورة الأنعام قوله تعالى: . . .﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾. .(١).

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٩/٩/٨م.

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٢.

والأم التي تختار لابنتها اسم "جميلة" أو "وفية" أو "وفاء" هي الأخرى تتمنى أن تكون ابنتها جميلة الجميلات في خُلُقها وخَلقها، وأن تكون أوفى الأوفياء معها في شيخوختها.

هذا ما يتمناه الآباء والأمهات حينما يختارون لأبنائهم وبناتهم أجمل الأسماء، أن تكون هذه الأسماء اسم على مسمى، ولكن إذا حدث العكس، فأصبح الصادق كاذبًا بل ويتحرى الكذب في مظانه، وتحول الأمين إلى خائن يتمرغ في الخيانة حتى صارت عنوانًا عليه، وأما "العادل"، فهو ظالم لنفسه ولأبويه وللناس جميعًا، يبحث عن الظلم في كل مكان ليكون له صديقًا وصاحبًا.

والبنت التي أطلقت عليها أمها اسم جميلة تحولت إلى القبح بعينه في أفعالها وسلوكها وإن كانت جميلة في شكلها، فإن الرسول ﷺ حذر من المرأة الحسناء من المنبت السوء، وسماها "خضراء الدمن" أي النبتة الخضراء التي تخرج في مبارك الإبل بين الفضلات.. والأخرى التي أطلقوا عليها اسم "وفية" أو "وفاء" كانت عنوانًا على الجحود والنكران.

ومثل هذا أو قريبًا منه فئة من الناس هم مسلمون بشهادات ميلادهم وبأسمائهم: محمد، وعلي، وحسن، ولكن عندما نبحث في أعماق نفوس هؤلاء لا نعثر على أي أثر لصفة الإسلام التي يحملونها، لا نراهم يؤدون أركان الإسلام فلا يصلون، وإذا كانوا لا يصلون، فهم لا ينطقون الشهادة، وهم لا يزكون ولا يصومون ولا يحجون لأنهم يعتبرون هذه الأركان مضيعة للوقت، وإهدارًا للجهد، وعنوانًا على الرجعية.

وهم لا يفخرون بانتمائهم للإسلام، ولا يعلنون ولاءهم له، ولا يقفون موقفًا ضد أعداء الإسلام، فلا يقولون كلمة حق في الإسلام، ولا يجردون أقلامهم أو ألسنتهم للدفاع عن قضايا الإسلام، ولا يحمون حدود الإسلام من أن تنتهك، بل هم الذين ينتهكون هذه الحدود ويتعدون عليها.

وفي المقابل نراهم من أنشط الناس وأخفهم حركة إذا كان المقام مقام الهجوم على الإسلام، وتشويه سمعة علمائه ورموزه من السلف الصالح،

فهم سرعان ما ينضمون إلى أعدائه ومناوئيه، ثم بعد ذلك يتأففون ممن يصفهم بغير الصفة التي ولدوا بها، وسجلت في شهادات ميلادهم.

وفي حق هؤلاء يصبح المثل الذي ينطبق عليهم أن نقول: صفة المسلم في هؤلاء "اسم على غير مسمى".

كلمات تبحث عن هوية(*)

من الكلمات التي نالت حظها من التغيير كلمة " السياسة " فالسياسة من وجهة نظر الإسلام تعني العلاقة الرشيدة بين الحاكم والمحكوم، والنية الصادقة التي كانت تسود هذه العلاقة، فالجميع ـ الحاكم والمحكومون ـ كانوا يسعون دائمًا لتظل هذه العلاقة على أحسن حال.

السياسة في الإسلام تعني الخير والأمن والرخاء.. كان الرسول ﷺ رحيمًا بالمسلمين فلم يدع خيرًا إلا أمر به ولم يترك شرًا إلا ونهى عنه، لقد ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.. كان عليه الصلاة والسلام ينهى أصحابه عن الشدة في المعاملة، والقسوة في السلوك وكان ﷺ يضرب لهم بنفسه أروع وأعظم الأمثلة هلى الحلم والأناة واللين في المعاملة حتى مع الذين يعتدون عليه، أو يقسون عليه في القول، وقصة الرجل الذي جاء يطلبه (صلى الله عليه وسلم) دينًا، فأغلظ الرجل للرسول ﷺ القول، وشده من ثوبه فغضب عمر بن الخطاب وأراد البطش بالرجل لتجرئه على رسول الله ﷺ، وكيف هدّأ المصطفى ﷺ من ثورة عمر وألان القول للرجل، هذه القصة معروفة.

السياسة تعني الصدق والأمانة، وتعني كذلك حسن إدارة شئون الناس، وهي إنصاف المظلوم من الظالم، وتمكين أصحاب الحقوق من حقوقهم، وتحقيق تكافؤ الفرص بين الناس جميعًا على أساس النشاط

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٨٨/٧/٢٩م.

والجهد والسعي، وليس على أساس الحسب والنسب وكثرة العرض.. السياسة كانت العهد الذي قطعه الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق ﷺ على نفسه حين قال: " إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فإعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ له الحق، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم "[1].

والسياسة في بيان عمر بن الخطاب الذي أعلنه ﷺ حينما ابتلي بالخلافة: " أما بعد فقد ابتليت بكم، وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومن غاب عنا فقد ولينا أمره أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسنًا، ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم "[2].

وإن كانت السياسة اليوم قد لبست ثوبًا جديدًا مغايرًا لما أراده الإسلام وحولت معناها إلى معان مختلفة ومتباينة، فالسياسة اليوم تعني عند البعض عكس ما كان يعمل على هداه الخلفاء الراشدون، تعني الأخذ بما تدعو إليه النظريات الغربية التي زعمت أن السياسة هي الخداع والنفاق وأن الغاية تبرر الوسيلة، وهي أيضًا تعني عقد تحالفات ومعاهدات مع أمم تعادي الإسلام والمسلمين.

وباختصار شديد.. السياسة في الماضي تعني السعي الدائب من الساسة لتحقيق أقصى درجات الخير والسعادة لشعوبهم.. وكانت تعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.. كانت تعني المتابعة والمراقبة الدائمة للولاة والعمال على الأمصار لئلا ينحرفوا بالوظيفة عن الطريق المستقيم الذي رسمه الإسلام العظيم لهم، وكانت تعني المعاقبة الشديدة لأي وال أو عامل يسيء

---

(١) الخلفاء الراشدون/ د. أمين القضاة.

(٢) نفس المصدر السابق/ ص ٤٧.

استخدام السلطة إلى درجة الإضرار بمن ولّاه الخليفة عليهم من الناس، وليس هذا فحسب بل كانت تعني أولًا وقبل كل شيء محاسبة الناس لخلفائهم الراشدين وكانت تعني تشجيع هؤلاء الخلفاء للناس بأن يراجعونهم وينصحونهم إذا أخطأوا وهذا واضح جدًا في العهد المبارك الذي أعلنه خليفة (رسول الله ﷺ) أبو بكر الصديق حينما طلب من الناس صراحة أن يقوموه إذا أساء وأن يعينونه إذا أحسن.. السياسة كلمة واحدة ولكن حملت في الماضي مضامين مختلفة عن المضامين التي تحملها اليوم.

الأزهر.. عندما كان قلعة للصمود(*)

ما قبل قيام ثورة ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢م كان للأزهر دور بارز ومشهود في التصدي لأعداء الأمة الإسلامية، فلم يكن الأزهر ومنذ إنشائه مجرد دار للعلم الشرعي، ولم يكن مع جامعه مكانًا للصلاة وإلقاء الخطب يوم الجمع، بل كان مصدرًا من مصادر القوة عند الأمة، وكان شوكة في حلوق أعدائها، ولقد حاول أعداء الإسلام أن يجعلوا الأزهر يركع أو ينحني لرغباتهم، فلم يستطيعوا ذلك، وكان عملاقًا شامخًا يفسد مخططات الأعداء، ويفوت عليهم الفرص الكثيرة للنيل من الإسلام وأهله.

حاول نابليون السيطرة على الأزهر بادعائه الإسلام ولما لم يجد ذلك ممكنًا دخله بخيله وكان هذا التصرف الشائن منه إعلانًا بفشله وخيبة أمله.

ويحكي لنا تاريخ الأزهر الناصع كيف كان شيوخه يقفون أمام الظلمة من الحكام ليعلنوا كلمة الحق غير هيابين ولا مترددين، وكان الحكام على طغيانهم وجبروتهم يخشون الأزهر وشيوخه لعلمهم الأكيد أن له تأثيرًا كبيرًا على الناس، وكانت الثورات تنطلق من الأزهر، وتزلزل أرض مصر تحت أقدام الطامعين.. لم يكن للأزهر جيش مدجج بالسلاح يحميه ولم تكن الدولة أو الحكام يساندونه لسبب بسيط جدًا أنه يسير في اتجاه مغاير لاتجاهاتهم، ويعمل لصالح الأمة بينما الحكام يعملون لمصالحهم هم وحدهم، ولذلك كان من الطبيعي أن يحدث الصدام بين الأزهر وبين

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٣/١١/٥م.

الحكام ولهذا فلا يمكن أن يقف هؤلاء الحكام مناصرين للأزهر ذائدين عنه سهام الأعداء إذن فأين تكمن قوة الأزهر، وما سبب شموخه واستعصائه على الخضوع والركوع؟ وكيف لم ينجح الترغيب والترهيب في صرفه عن طريقه المستقيم؟

أسئلة تبدو للوهلة الأولى محيرة ولا جواب لها، ولكن في الحقيقة هي ليست كذلك، فجوابها معروف وإن حاول البعض إخفاءه، لأن في إظهاره إدانة للعصر الذي تم فيه ذبح الأزهر وتفريغه من قوته وتحويله إلى مؤسسة دينية رسمية تقليدية. الأزهر كان قلعة حصينة لم يستطع أعداء الأمة وأعداء الإسلام أن يقتحموها ويخربوها من الداخل، ولكن مع الأسف الشديد جاء الخراب والتدمير على أيدي أبناء المسلمين أنفسهم الذين شغلوا الناس بشعارات مثل الوطنية وزعموا أنهم يريدون تطوير الأزهر، وأنه لا يمكن تحقيق هذا التطوير ما دامت إرادة الأزهر ليست في يدهم، وما دام الأزهر له كيان خاص لا سلطة للدولة عليه.

نعم كان للأزهر قوة وكان له جيش من لون جديد لا يحمل سلاحًا حربيًا ولا ذخيرة ولكنه يحمل الحق والشجاعة الكافية لدحر الباطل.

قوة الأزهر كان مصدرها عنصرين هامين، الأول: هو طريقة اختيار شيخ الأزهر، حيث يتم ذلك عن طريق هيئة كبار العلماء التي تتولى بنفسها ودون تدخل من أية جهة رسمية في اختيار شيخ الأزهر من بين صفوفها ولنتصور كفاءة هذا الشيخ حين نعلم أن هيئة كبار العلماء تتكون من خيرة علماء العالم الإسلامي، وهؤلاء النخبة يعترفون لواحد منهم بأنه أفضلهم علمًا وورعًا وفقهًا، فيبايعونه بالطاعة والولاء، لأن هذا الاختيار لا يمر من خلال قنوات رسمية، فإن سلطة شيخ الأزهر تعادل سلطة الحاكم إن لم تتفوق عليها وتأثيره على عموم المسلمين وخاصتهم أشد وأقوى من تأثير الحاكم نفسه، وأن الحكام مهما كان طغيانهم وجبروتهم إلا أنهم أمام شيخ الأزهر لا يستطيعون أن يمارسوا طغيانهم وجبروتهم.

والعنصر الثاني من عناصر القوة في الأزهر أنه مستقل ماليًا، فلديه من

الأوقاف ما يغنيه عن تلقي الدعم من الدولة، وهذه الأوقاف من الضخامة بمكان لدرجة أن الأزهر كان ينفق على الطلاب القادمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان يجعل لهم مرتبات ويتولى توفير السكن لهم.

بسبب هذهين العنصرين كان الأزهر دولة مستقلة لها جيشها من الدعاة والمخلصين ولها ميزانيتها من الأوقاف الضخمة التي أوقفها المحسنون منذ القدم تقربًا إلى الله تعالى، وصدقه جارية تنفعهم في دنياهم وأخراهم.

وكان هذان العنصران سبب نكبة الأزهر حيث طمع فيه الطامعون، وخشيه من في نفوسهم مرض، فكانت الضربة القاضية التي وجهت إلى الأزهر ولم تقم له بعد ذلك قائمة، وكانت الخطة محكمة ومتقنة، فقاموا بتجريده أولًا من قوته المالية، فضموا أوقافه إلى الدولة، وجعلوا اختيار شيخ الأزهر يتم عن طريق تعيين الحاكم له، فوصل إلى مشيخة الأزهر من هم أقل كفاءة وورعًا، فتحول الأزهر إلى مؤسسة دينية رسمية، وصار شيخه وعلماؤه موظفين رسميين يستلمون رواتبهم من الدولة، وهم يخشون على هذه الرواتب من أن تزول وهم أصحاب أسر، والأولاد كما ورد في الحديث " مجبنة مبخلة " فغادرت كلمة الحق الأزهر أو كادت، وأصبح معظم علماء الأزهر تحفًا تاريخية وكثرت الفتاوى التي يريدها الحاكم، وتحول معظم العلماء إلى صف الحاكم يبررون له أفعاله ويبحثون له عن سند من النصوص الشرعية لتكييف هذه الأفعال تكييفًا شرعيًا، وفقد الناس ثقتهم في علماء السلطة، وصار الحاكم يحارب الإسلام والمسلمين بالعلماء الذين انضووا تحت لوائه وتمرغوا في ذهب المعز وجواهره.

ولن تعود للأزهر هيبته، ولن يستطيع أن يقوم بدوره إلا إذا استعاد شخصيته، وقوته في اختيار شيخه وفي استقلاله المالي، وليس ذلك على الله تعالى ببعيد..

صور فاضحة على دفاتر الطلبة(*)

كتبنا منذ سنة تقريبًا عن الشيكولاتة التي نزلت إلى الأسواق وبها صور تدعو إلى الفساد وترويج ألفاظ بذيئة، وبيّنا أن خطورتها تتمثل في أنها موجهة إلى أطفالنا الأعزاء، ونعَيْنا على أولئك التجار الذين إن أحسنا الظن بهم لا نستطيع أن نعفيهم من مسئولية ترويج الفساد في وسط قطاع كبير وعزيز علينا وهم أبناؤنا، وقلنا: إن على هؤلاء التجار أن يراعوا دينهم وأمتهم فلا يسعون إلى جمع المال من أي طريق جاء حتى ولو كان هذا الطريق يمر من خلال تدمير أبنائنا وفلذات أكبادنا خلقيًا وعقائديًا..

قلنا هذا منذ سنة تقريبًا ولقد استجاب المسئولون في حينه لذلك ولا ندري ما هي العقوبات التي فرضوها على مروجي الفساد، أو الضوابط التي وضعت حتى لا يتكرر مثل ذلك في المستقبل، وأظنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك والدليل على ذلك تكرار ما حدث بالأمس، فها نحن نرى تاجرًا آخر يروج لفساد جديد على شكل بطاقات توضع على الدفاتر ليكتب فيها اسم الطالب، واسم مدرسته والمادة والفصل، ولقد حرص الذين يريدون الشر لهذه الأمة أن يصمموا هذه البطاقات بحيث تكون دعوة صريحة ووقحة للفساد والانحراف، ويتعاظم خطر هذا الفعل الفاضح حين يوجه إلى فلذات أكبادنا: أبنائنا وبناتنا الطلبة حين يصدمون مشاعرهم، ويفجرون أحاسيسهم بصور فاضحة تظهر رجلًا يقبل امرأة في عنقها، وأخرى لامرأة تقبل كلبًا،

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٤/١٠/١٩٨٨م.

وثالثة لنوع آخر من العناق بين رجل وامرأة، قد تكون هذه الصور عادية جدًّا في بلاد غاب الحياء منها، وأخذ أبناؤها يمارسون الفعل الفاضح على الأرصفة، وفي الحدائق العامة والمنتزهات ثم يقولون هذه هي الحرية وهذه هي الحضارة، قد تكون هذه الصور عادية جدًّا وربما أكثر من عادية في بلاد يعرضون أدوات الجنس، والصور العارية في محلاتهم التجارية، وبلاد أخرى بها أندية للعراة، ونواد لتبادل الزوجات، وبرلمانات تبيح زواج الذكور بالذكور، في بلاد يؤجرون الأرحام، فتحمل الأم عن بنتها، والبنت عن أمها، في بلاد هذا حالها فإن أمثال هذه الصور وأشد منها لا يلفت النظر، ولا يخدش الحياء العام لأنه أصلًا لا حياء لديهم.. أما في بلادنا الإسلامية.. في البلاد التي تزعم أن دينها الرسمي الإسلام، وإنها تنتسب إلى رسول الله ﷺ.. في البلاد التي يقول رسولها الأكرم ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان "[1].

أمة دينها يقول: إن الحياء شعبة من شعب الإيمان، لابد أن تحترم عقيدتها، ويجب أن يُصان حياؤها، ويُحمى أطفالها وأبناؤها من إفساد المفسدين الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

نحن لا نريد أن تكتفي الجهات المسئولة بجمع هذه البطاقات من السوق فقط، بل نريدها أن تستشعر المسئولية الملقاة على عاتقها تجاه أطفالنا وفلذات أكبادنا، وأن تضرب بيد صارمة على أيدي مرتكبي هذه الفاحشة، وأن تعاقبهم العقوبة المناسبة التي تردع غيرهم عن تكرار ما حدث..

نريد أيضًا رقابة صارمة على ما يدخل البلاد من قرطاسية ومطبوعات تخدش الحياء العام للمسلمين، وتستفز مشاعرهم، وتخرب أخلاقهم.. نحن نريد أن نشعر أننا في بلاد دينها الرسمي الإسلام، وأن هذا الدين مصان

---

(١) حديث متفق عليه.

ومحترم لا مجرد كلمة في القوانين والدساتير.. إن التساهل في هذه الأمور يؤدي إلى كوارث أخلاقية، وانحرافات.. الله أعلم مدى خطورتها، وتأثيرها في بنية المجتمع..

نداء عاجل إلى الجهات المسئولة كل فيما يخصه أن يحققوا فيما حدث وتكرر، وأن يحددوا الجاني، وأن يوقعوا عليه العقوبة المناسبة لأمثاله، وأن يحرصوا ألا يتكرر ذلك مستقبلًا كما حدث هذه المرة، وإلا فإننا سوف نحصد خسرانًا مبينًا، وغضبًا من الله شديدًا، وفسادًا لأبنائنا عظيمًا وخطيرًا.

فهل نرضى هذا.. اللهم إني قد بلغت.. اللهم فأشهد.

الإسلام بريء!!(*)

الإسلام دين اليسر والسماحة والرفق، وهو ضد العنف بكل أشكاله وألوانه، والتشدد والتنطع في الدين أمر يرفضه الإسلام ويحذر منه ويقرن بين التشدد والهلاك.. جاء هذا على لسان رسول الله ﷺ في حديثه الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ".

وفي حديث آخر رواه عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: " هلك المتنطعون " قالها ثلاثًا(١).

والمتنطعون هم المتشددون في غير موضع التشديد.

بل إن من قوة الإسلام وصلابته وانتصاره دائمًا يسره وسماحته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إن هذا الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة "(٢). هذه الحقائق عن الإسلام لا تحتاج منا إلى برهان، ولسنا في حاجة إلى أن نقدم بين يديها أدلة وحججًا. ومع نصاعة هذه الحقائق، وظهورها على كل الشبهات والأراجيف التي يحاول البعض

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٥/١٢/٨م.

(١) حديث رواه الإمام مسلم.

(٢) حديث رواه الإمام البخاري.

إشاعتها عن الإسلام، فإن هناك من يحاول مستميتًا زج الإسلام في كل حادثة من حوادث الإرهاب، نستغرب هذا ونستهجنه من مبادرة الأجهزة الرسمية عند حدوث أي عمل إرهابي يرفضه الإسلام، بالقول: " إن الإسلام بريء من هذه الحادثة أو تلك!! ".

ولا أدري ما الذي أنطقهم بهذه العبارة؟ وما الدافع وراءها؟ وهل الإسلام متهم حتى نسارع لتبرئته ودفع الشبهات عنه؟

إن الإسلام دين الرحمة واليسر والسماحة والرفق، ودين هذا شأنه لا علاقة له بما يجري على الساحة العربية أو العالمية، ومن يزعم بأن ما يقوم به من إرهاب أمر يدعو إليه الإسلام أو يشجع عليه إما جاهل بحقيقة الإسلام، أو عدو ماكر أراد أن يعطي إرهابه شرعية دينية، ويتستر خلف الإسلام ليستثمر الشعور الديني عند المسلمين، ويجيره لصالحه، ولكن فاته أن المسلمين على وعي تام بحقيقة دينهم، وأنهم مدركون لمساحة اليسر والرفق والسماحة فيه، وأنهم لأنهم مؤمنون، فهم لن يلدغوا من جحر مرتين، ولن تنطلي عليهم هذه الشعارات الجوفاء التي يرددها الذين يدعون الانتساب إليه زورا وهم في الحقيقة يعملون لتحقيق مصالح شخصية لهم ولمن يقف معهم.

إن الزج بالإسلام في كل حادثة إرهاب أمر يثير الشكوك في نوايا من يفعل ذلك، فمن قال: إن الذين يقومون بهذه الحوادث الرهيبة التي يذهب ضحيتها الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين؟ من قال: إن هؤلاء يتكلمون باسم الإسلام، ولديهم تفويض بذلك؟ إن الإسلام لم يبح الشدة إلا عند ملاقاة أعداء الإسلام، ولقد كان من صفات المؤمنين برسالة الإسلام أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، ومن صفاتهم أيضًا أنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، ومن البيان المعجز الذي نزل على رسول الله ﷺ في شأن المخالفين لنا في الدين أنهم على صنفين: صنف مسالم ومعاهد ولا يصدر منه شر ضد الإسلام والمسلمين وهذا واجب على المسلمين أن يبروهم ويقسطوا إليهم، أما الصنف الثاني وهم المحاربون للإسلام

والمسلمين فلهم موقف آخر، دعونا نستمع إلى خطاب الحق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

هذه القاعدة الجليلة التي وضعها الحق سبحانه وتعالى للمسلمين لكي يتعاملوا مع غيرهم لا يشذ عنها مسلم، ونحن متعبدون لله تعالى بالتمسك بها، والوفاء بما تدعونا إليه من البر والإقساط لمن يعيش معنا ولا نستشعر منه ضررًا أو خطرًا علينا وعلى ديننا، أما من بدت البغضاء منهم فأعلنوا علينا وعلى ديننا الحرب فهؤلاء لا بد وأن نقاتلهم لنحمي ديننا وأرضنا وأرواحنا ولا أظن أن في ذلك تعديًا أو إرهابًا أو تشددًا، من هنا نقرأ في عبارة " الإسلام بريء " سوء نية، فإن تكرار هذه العبارة المشبوهة على الألسنة وفي أجهزة الإعلام وعلى أقلام الصحفيين مدعاة لأن يشك البعض في نزاهة الإسلام وطهره ونقائه، وهي عبارة قد توحي من كثرة تكرارها بأن الإسلام في حاجة إلى من يدفع التهمة عنه، ونحن نشعر حين نسمع هذه العبارة تطفو على السطح بمجرد حدوث عملية من عمليات الإرهاب التي سادت الأمم جميعها، نحن نشعر عند ذلك وكأن الإسلام يستدعي للتحقيق معه فيما نسب إليه، وأنه أصبح من المشبوهين الذين يستدعون قبل البدء في البحث عن مرتكبي الحادث ثم بعد ذلك يطلقونه إذا ثبت له أنه كان في مكان آخر غير المكان الذي ارتكبت فيه الجريمة، ومطلوب من الإسلام أن يثبت أنه كان قابعًا في المسجد لم يغادره مع الناس، وأن لديه شهودًا على ذلك يشهدون بأنهم لم يروه في الشارع أو قريبًا من المكان الذي ارتكبت فيه الجريمة.

على المسلمين ألا يعطوا أعداء الإسلام من الأمم الكارهة له، العاملة ليلًا ونهارًا لصد الناس عنه، على المسلمين ألا يعطوا هؤلاء مبررًا لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام تحت شعار " وشهد شاهد من أهلها ".

والمسلم يعجب من هذا الكم الهائل من الحقد والكراهية لرسالة

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٨.

ختم الله تعالى بها رسالات السماء، وجعلها دينًا كاملًا ونعمة تامة لخير البشرية وسعادتها. وإذا كان الإسلام يلقى كل هذه الحروب والعداوات وهو خارج أنظمة الحكم، فما بالكم حين تكون له دولة تطبق شرائعه وجيش يدافع عنه ضد من تسول له نفسه المساس بحياضه، لا شك أن الهجمة بل الهجمات عندها سوف تكون أكثر شراسة وأشد عنفًا، لأن الإسلام حين يسترد حقوقه من مغتصبيها فإنه سوف ينشر العدل ويطارد فلول الظلم والجبروت ولابد للظلم والجبروت من أنصار يدافعون عنهما ويقاتلون دونهما، ولهذا فلابد من الصدام بين أعداء العدل وأنصاره. إن الإسلام ليس متهمًا حتى نسعى لإثبات برائته، وكفاكم تشويها له ولحقائقه..

هارون الرشيد.. المفترى عليه(*)

استوقفتني معلومة ذكرها الأستاذ شريف العلمي في برنامجه " كيف وأخواتها " ولقد فجرت هذه المعلومة قضية من أهم القضايا، وهي التاريخ والمؤرخون.

لقد قال الأستاذ شريف العلمي في إحدى حلقات برنامجه هذا، إن أبا نواس الشاعر المشهور لم يلتق بهارون الرشيد طوال حياته وأنه كان من أقصى أمانيه وأحبها إلى نفسه أن يكون شاعر الرشيد ونديمه.. ولقد أحدثت هذه المعلومة التي أسمعها لأول مرة ما يشبه الزلزال بل هو الزلزال بعينه، حيث تهاوت الكثير من المسلمات والبدهيات التي نشأنا عليها وصارت تجري في دمائنا.. أبو نواس لم يلتق بالخليفة العباسي هارون الرشيد أبدًا طوال حياته، يالها من معلومة خطيرة.. نعم خطيرة، وخطورتها تتركز في أننا نشأنا جميعًا ونحن لا نستطيع أن نفصل بين هارون الرشيد وأبي نواس، وصار اسمهما معًا أشهر من الأسماء بل كان التلازم شديدًا جدًا بين هذا الخليفة المظلوم وبين هذا الشاعر الخليع، حتى إنه حينما تذكر أحدهما لا بد وأن يتداعى اسم الآخر دونما عناء منك، أو إعمال فكر..

ولكن لماذا قرن اسم هارون الرشيد باسم أبي نواس رغم أنهما لم يلتقيا قط!!

نقول: ويل للتاريخ من المؤرخين، إن أهواء المؤرخين وانحيازهم

(*) أخبار الخليج (البحرين) ٧/١٠/١٩٨٨م.

لفكر معين أو مذهب معين يجعلهم يخفون الكثير من الحقائق، ويضعون مكانها ما تجود به قرائحم من تلفيقات وانحرافات، فرأوا إن مجرد إلصاق اسم أبي نواس باسم هارون الرشيد كفيل بتشويه سمعة الأخير، وذلك لسبب قوي جدًا وهو أن سمعة أبي نواس كانت سيئة جدًا، وهو ـ أي أبي نواس ـ لا يخفي هذا السوء في سمعته بل يعلنه على رؤوس الأشهاد في شعره وممارساته العملية، فرأى الحاقدون أنهم إذا أرادوا تشويه سمعة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وتجريده من كل خلق وفضيلة فما عليهم إلا أن يقرنوا اسمه باسم شخص مشهور بفسقه وانحرافه، ووجدوا ضالتهم في أبي نواس فبدأوا ينسجون القصص الباطلة، والمواقف المشينة وكان الأبطال دائمًا في هذه القصص هارون الرشيد ونديمه وشاعره أبو نواس، ولقد حققوا ما أرادوا حيث انتشرت هذه الأخبار المكذوبة، والقصص الملفقة في كتب التاريخ، وسار بها الناس يتناقلونها، وأخذ كل قادر على التعبير يوظف هذه القصص والحكايات في أعمال أدبية كثيرة ويضيف إليها من خياله كل غريب وشاذ لتقترب من الصدق حتى يقتنع بها الناس..

وبعيدًا عن هذه المعلومة التي فجرها الأستاذ العلمي، ودون الاعتماد عليها كمصدر وحيد أو كدليل وحيد على براءة الخليفة العباسي هارون الرشيد مما نسب إليه، فإننا نحتكم إلى المنطق والعقل ونعرض عليه شيئًا من التاريخ الصحيح... كثير من كتب التاريخ تؤكد أن الفترة التي حكم فيها الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) كانت تعرف عند علماء التاريخ بأنها العصر الذهبي للدولة الإسلامية، وهذا الوصف الذي امتازت به خلافة الرشيد ليس مبالغة عاطفية أطلقها المعجبون بهذا الخليفة، بل هي واقع ملموس تؤكده الروايات الكثيرة الصادقة، فخبر إرسال هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا الساعة التي وقف علماء شارلمان وحكماؤه مبهورين أمامها وقالوا: إن فيها شيطانًا خبر صادق تؤكده المصادر التاريخية الصحيحة، واتساع أرجاء الدولة الإسلامية في عهده حتى أنه عندما رأى سحابة في السماء قال لها: أمطري حيث شئت فإن خراجك سوف يأتيني، وقصة الملك الفرنجي الذي أرسل بناته إلى بلاط هارون الرشيد لتلقي العلم والأدب مع الأميرات المسلمات

هي الأخرى قصة لها دلالتها العميقة في تأكيد التقدم العلمي والنهضة الحضارية التي كانت تتمتع بها الدولة الإسلامية في عهد الرشيد..

وقوة الدولة الإسلامية في عهد الرشيد نرصدها في هذا الخبر الذي ذكره الأستاذ محمد فريد وجدي في موسوعته " دائرة معارف القرن العشرين " والخبر يقول: إن "إيريني" كانت تدفع الجزية لهارون الرشيد فلما خلعت الروم هذه الملكة وأقامت "نيقفور" بدلها كتب إلى هارون الرشيد: (من نيقفور ملك الروم إلى هارون الرشيد ملك العرب.. أما بعد فإن الملكة إيريني حملت إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بأن تحمل أضعافه إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما أخذت وإلا فالسيف بيننا وبينك).

فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب استشاط غضبًا وكتب على ظهره:

" الجواب ما تراه دون ما تسمعه " وجهز جيشه وسار به حتى نزل على مقربة من القسطنطينية بعد أن دمر المدن التي مرّ بها فارتاع نيقفور من ذلك وطلب الصلح متعهدًا بدفع الجزية فعاد الرشيد ولم يكد يصل إلى بغداد حتى نكث نيقفور عهده، فعاد إليه الرشيد حتى وصل إلى البوسفور فجزع ملك الروم وبالغ في استماحة الرشيد فعفا عنه وعاد، ولكن ابن نيقفور أغرى أباه على السير إلى الرشيد فحشد جيشًا جرارًا ولحق بالرشيد في "فريجيه" فدارت بين الفريقين حرب شعواء قتل فيها من جيش الروم نحو أربعين ألف نسمة، ونهب الرشيد ودمر كثيرًا من مدن آسيا الصغرى وضرب الجزية على نيقفور ثم رجع..

وكان هارون الرشيد وديع الأخلاق محبًا للرعية حتى إنه كان يطوف بغداد ليلًا ليرى ما عليه العامة بنفسه فإن رأى منكرًا غيره وكان محبًا للعلم والعلماء، وبلغت العلوم والآداب في أيامه أوجهًا الأعلى وكان كثير العطاء حتى قيل: إنه لم ير خليفة قبله اعطى منه للمال.

وقد كانت أيامه أحسن أيام دولة العباسيين وأكثرها يمنًا وبركة وصفاء،

وقد بلغ من الشهرة في حياته وبعد مماته مالم يبلغه غيره من الخلفاء[1].

هل هذه سيرة رجل لا يفيق من الخمر ومن مجالسة النساء والندماء الفسقة كما تصوره الروايات الحاقدة الملفقة؟ إن التاريخ يجب أن يقرأ بحذر شديد وبتدبر أشد، وأن يستحضر قارئ التاريخ كل ما يملك من علم ودراية وثقافة حتى لا يقع فيما وقعنا فيه من قبول الروايات المكذوبة والأخبار الملفقة على أساس أنها حقائق ناصعة وروايات صادقة.. ومرة أخرى.. ويل للتاريخ من المؤرخين..

(١) دائرة معارف القرن العشرين/ الأستاذ محمد فريد وجدي/ المجلد السادس.

هذا ما بقي من نزاركم!!(*)

في الحوار الذي أجرته مجلة " الهلال " المصرية في عددها الصادر في يونيو ١٩٩٤م مع الشاعر نزار قباني تعرض لعدة قضايا ورغم أن نزار قباني شاعر متمكن إلا أن ما أثاره من قضايا تجعلنا نقف معه وقفة نرد فيها الحق إلى نصابه، ونكشف جزءًا هامًا من نزار قباني الشاعر، هو موقفه من الخلافة والخلفاء، وإجابات نزار قباني على أسئلة محاوريه متأثرة كثيرًا بأسلوبه في نظم الشعر، فهو يتلاعب بالألفاظ، ويستخدم الكلمات كحبال السيرك يسير عليها ويقفز من فوقها، وهو والحق يقال يفعل ذلك بمهارة، فلا يستطيع المحاور له أن يتابع حركته أو يتوقع القفزة التالية. في رده على سؤال الصحفي عاطف مصطفى حينما قال له: في الأمسية الأخيرة في الشارقة، قلت لجمهور الحضور: إنك ستقرأ قصائد عن المرأة، وطلبت السماح عن بعض ما تضمنته هذه القصائد، هل هو تراجع. أم أنك أحسست بأنك كشفت الكثير من مفاتنها، وتريد التوبة عما سلف؟ قال نزار في رده على هذا السؤال: "ما قلته في الأمسية الشعرية في الشارقة لا يحمل أبدًا" معنى التوبة ولا معنى الندامة، فأنا لم يسبق لي أن ندمت على أية كلمة كتبتها.. أو أي جنون مارسته.

الجنون هو أجمل فضائلي وأروعها على الإطلاق.

وعندما سأشفى من هذا الجنون. فلن يكون هناك شاعر اسمه نزار قباني.

(*) أخبار الخليج (البحرين).

ثم قال: ولأن جائزة سلطان العويس التي نلتها كانت تقديرًا للإنجاز الثقافي الذي قدمته خلال خمسين عامًا.. فقد أردت أن ألقي الضوء على الفترات الزمنية، والشروط الجسدية والتاريخية والإنسانية التي حرضتني على كتابة هذه القصائد لأن الأجيال الجديدة التي سمعتني، كانت بحاجة إلى إشارات صغيرة للوصول إلى مفاتيحي الشعرية، وهذا ما فعلته[1].

انظر عزيزي القارئ فإن نزار قباني لم يقل للصحفي عاطف مصطفى لماذا قال في أمسية الشارقة كلمة (السماح).. بل قفز على السؤال كما يقفز لاعب السيرك الماهر ليقدم حركات للجمهور لم يكن يتوقعها، قصدي ليتحدث عن قضايا لم يقصدها المحاور فتحدث عن الإنجازات التي قدمها طوال خمسين عامًا وعن مفاتيح وإشارات شعره لكنه لم يقل لماذا طلب من الجمهور السماح وهو يتأهب لإلقاء قصائده عن المرأة ولماذا المرأة بالذات التي طلب السماح من أجلها لماذا لم يطلب السماح لقصائده الأخرى السياسية مثلًا التي ربما تعبر عن مواقف مخالفة للأنظمة التي يتلقى الجوائز منها؟!

ولو اكتفى نزار قباني بهذه لكان الأمر ضمن الإطار الممكن الخلاف حوله ولكنه يتطاول على أنضر العصور الإسلامية وأرشدها ليقول عنها ما نقلته مجلة الهلال في عدد يونيو ٩٤، فقد سأله الصحفي عاطف مصطفى: "كيف استفاد نزار قباني من رحلته على مدار أكثر من خمسين عامًا. وما هي نصيحتك للشعراء الذين يسيرون على دربك.

وهل هناك من يخلفك؟

فماذا تتوقعون رده؟!

يقول الشاعر نزار قباني: دعنا من حديث الخلافة والخلفاء.

فلقد تعبنا من جميع الخلفاء الراشدين وغير الراشدين[2]..

هكذا فقد تعب نزار قباني من الخلفاء الراشدين ولا أدري ما الذي

---

(١) مجلة الهلال (المصرية) ١٩٩٤/٦/٦م.

(٢) مجلة الهلال (المصرية) محمد يونية ١٩٩٤م.

أتعبه من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب؟ ما الذي أتعبه من سيرتهم ومن طهرهم وعفافهم؟

هل يتعبه إقامتهم لدولة الإسلام؟

أم يتعبه أن يشتري الفاروق عمر بن الخطاب.. أعراض المسلمين من الشاعر الحطيئة ويدفع له ثمن ذلك ليكف لسان الشاعر الذي تعود الهجاء بشتم أعراض المسلمين؟

ربما أزعجه هذا فهو لا يريد خليفة يمنعه من أن يدخل مخدع النساء ويخلع عنهن ثيابهن ليتغزل في مفاتنهن، هو يعلم لو كان هناك خليفة راشد كعمر رضي الله تعالى عنه لحمى أعراض النساء من لسان هذا الشاعر، ولكف أذاه عنهن، ولأخذ على يده ولسانه بالقوة تارة وبالمال والجوائز تارة أخرى.

نعم نزار قباني يصرح بأن الخلفاء الراشدين أتعبوه فدعونا من ذكرهم ولا أدري حتى هذه اللحظة لماذا تعب شاعر الحب والغزل والنساء من الخلفاء الراشدين، وكنت أتمنى من الصحفي عاطف مصطفى أن يسال الشاعر نزار قباني: ماذا يقصد بكلامه هذا وما الذي أتعبه من الخلفاء الراشدين، ولكن يبدو أن التعرض للخلفاء الراشدين لا يشكل قضية عند الصحفي المحاور، كما لا يشكل موضوعًا ذا أهمية عند نزار قباني، ومرت العبارة في تجاهل تام.. ربما خشي الصحفي أن يحرج الشاعر، فيتوقف عن الحوار فيخسر الصحفي سبقًا صحفيًا مَنَّى النفس به منذ زمن؟

هذا هو نزار قباني الذي ترك نظم القصائد السياسية لا لأنها ـ كما يزعم ـ تغنى على مسرح عربي شديد الاهتزاز، بل لأنها تغضب من بيدهم منح الجوائز والمكافآت والشاعر يريد أن يؤمن مستقبله وألا يدخل في خصومة مع الساسة الذين قد يعجبون بشعره النسوي ولكنهم يغضبون أشد الغضب من شعره السياسي، وإذا طلق نزار قباني شعره السياسي، فماذا بقي له أو منه، بقي لا شك شعره عن المرأة ومفاتنها، وهي العملة الرائجة عند الجميع ولا تسبب له أي أذى بل قد تدر عليه أرباحًا طائلة وتعزز مكانته. هذا ما بقي من نزاركم.

أولاد حارتنا.. مرة أخرى(*)

ما زالت قضية الأديب نجيب محفوظ وروايته "أولاد حارتنا" تشغل الناس المؤيدين منهم والمعارضين على حد سواء، ولقد بالغ المؤيدون في تأييدهم للرواية ولصاحبها خاصة بعد أن نال عنها، وعنها هي وحدها، جائزة نوبل، ويرى هؤلاء المؤيدون أنه ما دام العالم ممثلًا في أصحاب جائزة نوبل قد اعترفوا به وأعطوه الجائزة فالرواية إذن جائزة شرعًا ولا تمس من قريب أو بعيد أمور العقيدة، وأما المعارضون فقد بالغوا في هجومهم على الأديب نجيب محفوظ إلى درجة إهدار دمه، والتشجيع على قتله لأنه خرج من الملة.

وبداية أريد أن أؤكد أني لست مع هذا الفريق أو ذاك، فالإفراط والتفريط كلاهما مما نهى الشرع الإسلامي عنهما، ونعى على أصحابهما طويلًا في النصوص من الكتاب والسنة.

ورغم ذلك فإن القضية سوف تظل تشغل الناس طويلًا ليس هي بذاتها على وجه القطع ولكن كل عمل أدبي يسيء إلى الإسلام، ويجازف في عرض قضايا الإسلام دون الالتزام بالأطر الشرعية لذلك..

وكلمتي سوف أوجهها لكلا الفريقين المعارضين والمؤيدين لأنهما في اعتقادي يحتاجان إلى وقفة يتدبران فيها الفهم الذي تبناه كل واحد منهما عن الرواية وعن الجائز منها وغير الجائز.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٠/٢/٢٣م.

المؤيدون الذين بالغوا في التأييد خاصة عندما فاز الأديب نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب، هم يرون أن فوزه بالجائزة هو جواز مروره إلى العالمية وهذا في رأيهم يغفر له كل شذوذ، أو خروج عن الأطر الشرعية التي ينبغي على الكاتب والأديب أن يلتزم بها حين يعرض لقضايا الإسلام، بل إن هؤلاء المؤيدين يصلون في مبالغتهم في التأييد إلى اتهام المعارضين بأن إيمانهم بالله تعالى أصابه مرض، وعلى هؤلاء المعارضين أن يجددوا إيمانهم بالله تعالى، وأن نجيب محفوظ ليس هو المتجاوز والمعتدي على قداسات الإسلام، بل هم المعتدون الذين ظنوا مجرد ظن أن الجبلاوي في الرواية ـ أولاد حارتنا ـ يرمز إلى الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ هذا ما قاله الكاتب محمد جلال كشك في معرض دفاعه عن نجيب محمفوظ..

وجلال كشك ومن يتخذ نفس موقفه يفترض أن علماء الأزهر الذين عارضوا نشر الرواية على حلقات في جريدة الأهرام القاهرية عام ١٩٥٩م، ثم عارضوا إخراجها في كتاب، الأستاذ جلال كشك يفترض في هؤلاء العلماء الجهل وعدم الفهم، رغم أن الرمز في الرواية واضح وضوحًا لا يمكن دفعه أو ستره.

إن المعارضين يا أستاذ كشك أصحاب غيرة على دينهم، وهم فهموا الرمز في الرواية كما فهمه علماء الأزهر الأجلاء الذين وقفوا بحزم ضد نشر الرواية.

وإذا كان هذا الكلام يصدق على كتاب سلمان رشدي "آيات شيطانية" فهو يصدق على كل أديب يتبنى نفس موقفه. صحيح أن ماجاء في الرواية لا يقوم دليلًا على تكفير الأستاذ نجيب محفوظ وهذا هو ردنا على الذين غالوا في معارضة الأديب نجيب محفوظ واتهموه بالكفر، وأحلوا دمه وأصدروا الفتاوى لقتله لكفره، وهؤلاء مخطئون ومنحرفون عن صراط الإسلام المستقيم الذي لا يقبل اتهامًا بالكفر إلا لمن أعلن كفرًا بواحًا، بل إن الرسول الكريم ﷺ يحذر المسلمين من التلاعب بكلمة الكفر لأنها

عند الله عظيمة، فإذا قال المسلم لأخيه: أنت كافر يبوء بها أحدهما، ولا يجوز في الإسلام إطلاق ألفاظ الكفر والتكفير على المسلمين - إلا إذا قامت البينة على ذلك.

للعائدين نقول أهلاً(*)

مؤامرة قذرة تدبر ضد المسلمين العائدين من أفغانستان، فقد بدأت بعض الصحف والمجلات العربية تمارس دورًا قذرًا ضد هؤلاء المنتصرين الذين شاركوا بإخلاص في حرب إسلامية ضد قوى الكفر والإلحاد، وبدل أن تستقبلهم هذه الصحف والمجلات بالفرح والعرفان لأنهم أسهموا بدمائهم في إجلاء المحتل الشيوعي عن قطعة غالية من أرض الإسلام، وتطهير أرض الإسلام في أفغانستان من أدران الكفر والإلحاد بدل أن يفعلوا ذلك راحوا يخوفون الأنظمة العربية من عودة هؤلاء، وأنهم يشكلون خطرًا على الأمن والاستقرار في المنطقة، وهذا التصرف من بعض صحفنا ومجلاتنا العربية ـ مع الأسف ـ لا تجد له وصفًا مناسبًا إلا أنه مؤامرة قذرة، حقيرة، وكأن المسلمين قد نعموا طويلًا بالأمن والاستقرار والحرية والعدالة وليس هناك أي مانع من أن يتحملوا بعض الابتلاءات..

تأبى أمثال هذه الصحف والمجلات ـ العربية ـ إلا أن تؤكد عمالتها، وكراهيتها للإسلام وللمنتمين إليه..

لم يكف هذه الصحف والمجلات ـ العربية ـ ما يواجهه الإسلام والمسلمون من الأعداء الخارجيين حتى يصطنعوا لهم أعداء في الداخل.

إن الأنظمة العربية في غير حاجة إلى الإثارة عندما يكون الموضوع متعلقًا بالمسلمين، فهم دائمًا عند حسن الظن بهم، فالمسلمون عندهم دائمًا

(*) أخبار الخليج (البحرين).

متهمون ولا تثبت براءتهم أبدًا، وكل شبهة تفسر ضدهم، وهم في نظر الأنظمة لا يستحقون أن يتمتعوا بشيء من حقوق الإنسان التي تسعى الأمم إلى تأكيدها وتحقيقها في حياتها..

لصالح من يحاول البعض إثارة المشاعر، واستعداء السلطة على هذه الفئة المؤمنة التي استشعرت واجبها الإسلامي تجاه أخوة لها في العقيدة فهبوا لنصرتهم، وبذلوا أرواحهم ودماءهم وأموالهم رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، ودحر الكفر والإلحاد؟!

هؤلاء النفر من الصالحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه فمنهم من لقي ربه مسرورًا باستشهاده ومنهم من عاد وهو على يقين أن تحرير فلسطين من أرجاس اليهود والصلبيين لا يمكن أن يتحقق إلا بنفس السلاح الذي ضاعت به فلسطين من أيدي العرب، إن فلسطين لن تعود إلا بمثل ما ضاعت به، فما أخذ بالدين لا يسترد إلا بالدين..

مجلة عربية تصدر من لبنان تحاول أن تحقق سبقًا صحفيًا بتقديم أجوبة للأسئلة التي تفترض إثارتها في رؤوس المسلمين العرب عن مصير هؤلاء العرب الذين سوف يعودون من أفغانستان بعد المشاركة الفعالة التي قاموا بها مع إخوتهم في العقيدة المجاهدين الأفغان.

المجلة تفترض أسئلة ثم تصنع لها أجوبة ترضي المسئولين العرب وتثير الغبار في طريق العائدين من أفغانستان، وكما حدث للأخوان المسلمين الذين شاركوا في الحرب ضد المحتل اليهودي قي سنة ١٩٤٨م عندما عادوا إلى ديارهم استقبلتهم الشرطة وأودعتهم السجون، وهو فيما يبدو التكريم الوحيد الذي تجيده السلطة، وهو أيضًا محاولة للحفاظ على الأمن والاستقرار وحتى لا يرووا للشعوب ما حدث على أرض فلسطين من خيانة ومن بيع لأرواح المسلمين بأرخص الأثمان.

بعض العاملين في الصحافة العربية يحاولون أن يكرروا ما سبق للأخوان في ١٩٤٨م للعرب المسلمين العائدين من حربهم وجهادهم الإسلامي في أفغانستان، لا يهدأ لهؤلاء العاملين بال، ولا ترتاح لهم نفس

إلا إذا غيبت السجون كل من عاد من أفغانستان فرحًا بنصر الله تعالى سعيدًا بما حققه من مشاركة إسلامية في الملحمة البطولية على أرض أفغانستان الغالية.

الحرب المعلنة والخفية ضد الإسلام وأهله في الداخل والخارج ستظل طالما هناك محاولة من المسلمين لإظهار إسلامهم، وإعلان الولاء له، والبراء كل البراء مما دونه من أنظمة وضعية، وأفكار بشرية.. وهذه الحرب تأخذ أشكالًا مختلفة، وأنماطًا متعددة فمن وصم الإسلاميين بوصمة الأصولية وهم يقصدون اتهام الإسلاميين بالتطرف والتشدد، إلى إلصاق كل ما يحدث في الكون من انقلابات ومظاهرات وسوء أفعال بهم، إلى التشكيك في نوايا العائدين من أفغانستان مع أن النوايا لا يطلع عليها غير الله سبحانه وتعالى..

ويظل النداء الإلهي الذي يضفي أمنًا وسلامًا وثقة في رعاية الله تعالى ورحمته ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

(١) سورة محمد الآية ٧.

إشكالية التوفيق بين النصوص(*)

آثار أحد الإخوة إشكالية التوفيق بين نصين من نصوص السنة المشرفة، وتساءل كيف التوفيق بينهما؟ وهذان النصان هما قوله ﷺ: " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم "(١).

وقوله ﷺ: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: أومن قلة بنا يارسول الله؟ قال: بل إنكم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل. وقد نزل بكم الوهن، قيل: وما الوهن يارسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت "(٢).

هذان الحديثان هما اللذان أثارا في عقل ذلك الأخ تلك الإشكالية، وقال كيف نوفق بين الحديث الأول الذي يحض فيه الرسول ﷺ المسلمين على تزوج الودود الولود لأنه عليه الصلاة والسلام يريد أن يكاثر بهم الأمم، والحديث الآخر الذي يصف كثرة المسلمين بالغثاء وأنهم رغم كثرتهم العددية إلا أنهم على درجة من الضعف والهوان حتى إن الأمم تتداعى عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها؟

هذا التساؤل الذي طرحه الأخ عن الإشكالية في التوفيق بين النصين اللذين يبدو عليهما التصادم والتعارض تساؤل مشروع، وهو خطوة على طريق التغيير والتصحيح.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١/١٠/١٩٩٩م.

(١) حديث رواه أبو داود في سننه.

(٢) حديث رواه أبو داود في سننه.

قلت له: لا تعارض البتة بين الحديث الأول والحديث الآخر.. لأن الحديث الأول يتكلم عن كثرة إيجابية، كثرة، مؤمنة قوية، تحب الموت كما يحب أعداؤها الحياة، وكثرة تقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

الكثرة التي يريد رسول الله ﷺ أن يفاخر بها يوم القيامة هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا.. هم الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا..

الرسول ﷺ يريد أمة تنشر الخير وتصنع الحضارة وتدل الناس على سبل السلام وفق منهج الله تعالى الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. منهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، منهج قال الله تعالى عنه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[1].

هذه الكثرة التي يريد الرسول ﷺ أن يكاثر بها الأمم هي التي جاءت نتيجة زواج مبارك بين فتاة ذات دين " فاظفر بذات الدين تربت يداك "[2]. وبين زوج ذي دين وخلق " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه. إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض "[3].

الكثرة التي يريدها ﷺ هي التي قال عنها: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان "[4].

هذه هي الكثرة التي يباهي بها رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة. أما الحديث الآخر فيؤكد حقيقة انفصال الأمة الإسلامية عن منهج ربها ﷻ،

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.
(٢) حديث متفق عليه.
(٣) حديث رواه الترمذي وأحمد.
(٤) حديث رواه مسلم.

وإذا فعلت ذلك أصابها الوهن ولم تغن عنها كثرتها التي تبلغ في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين المليار وربع مليار مسلم، ورغم ذلك فهم غثاء كغثاء السيل لأنهم أحبوا الدنيا وكرهوا الموت.

فالكثرة هنا وفي هذا الحديث ليست لها علاقة بالكثرة في الحديث الأول..

الكثرة هنا تنكرت لمبادئ الإسلام، وقطعت صلتها بكتاب الله الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

ولقد شعرت بارتياح على صاحبي وهو يسمع هذا التفسير ورأيت الاطمئنان يعلو قسمات وجهه.

ذلك هو الإسلام العظيم الذي لا تناقض بين الصحيح من نصوصه، والمتيقن من أحكامه، والموثق من أوامره ونواهيه، وعلى المسلم أن يحسن الظن بالله ورسوله ﷺ، وأن الإسلام لا يأمر إلا بما هو خير، ولا ينهى إلا عما هو شر.

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

معلوف بين الأصول والجذور(*)

في حوار أجرته معه مجلة "الوسط" اللندنية في عددها رقم (٤٤٦) الصادر بتاريخ ١٤/٨/٢٠٠٠م، قال الروائي أمين معلوف في رده على السؤال عن سبب بغضه لكلمة "جذور" ولماذا يفضل كلمة "أصول" عليها قال: "أفضل كلمة "أصول" على كلمة "جذور" لكوني لا أحب تلك الصورة التي توحي بها كلمة "جذور" إذ تتمثل في شيء يغرس في الأرض وعلينا أن نتمسك به مهما اختلط بالوحل! ولا يخفى عليك أن وظيفة الجذور تتمثل في منع الشجرة من التحرك، وقد يكون ذلك مواتيًا للنباتات أو الشجر، أما الإنسان فإن صيرورته مرتبطة بالقدرة على الحركة والتنقل والتطور "(١).

هذه هي معظم الإجابة التي قدمها الأستاذ أمين معلوف على سؤال الصحفي.

وأنا أحاول في هذه الكلمة أن أعيد إلى كلمة "جذور" الاعتبار، وأن أزيح ما علق بها من أوحال تسيء إلى سمعتها، وتلوث شرفها، وتنفر الأدباء منها.

يكفي "الجذور" شرفًا ومكانة أنها مصدر للعطاء والبذل، فالنبات لولا أنه يستمد بقاءه ونماءه من الغذاء، الذي يأتيه من الجذور، لمات ولذبلت

(*) أخبار الخليج (البحرين) ٢٥/٨/٢٠٠٠م.

(١) مجلة الوسط/ ص ٥١.

أوراقه ولجفت سيقانه، ولكن استمرار تدفق العطاء من الجذور يضمن للنبات والشجر البقاء والبهاء والاستمرار، والإنسان خلق من التراب ومادة غذائه من التراب مباشرة، عن طريق الثمار أو عن طريق غير مباشر من خلال لحوم الحيوانات التي تتغذى على الحشائش.

والجذور حتى بالنسبة إلى النبات والشجر لا يمنعها من الحركة والنمو والعطاء بل كلما ازدادت الجذور ثباتًا في الأرض كلما كانت الشجرة أكثر عطاء وأطول عمرًا، أما الجذور بالنسبة إلى الإنسان فهي شيء معنوي لا يحد من حركة الإنسان أو انطلاقته لتحقيق ما يطمح إليه من تقدم ورقي.

أما الوحل الذي ينفر الأستاذ معلوف من الجذور، فهو الوسط الذي يوفر عناصر الغذاء للجذور أولًا وللنبات أو الشجر ثانيًا، فالوحل هو في حقيقته مجموعة من العناصر التي يحتاج إليها النبات والحيوان والإنسان، وإذا كان النبات يأخذها مباشرة من التربة أو الوحل والحيوان والإنسان يأخذانها عن طريق النبات، فإن الجميع يعتمدون في حياتهم المادية على هذا الوحل الذي يتقذره بعض المثقفين لكنه هو سبب النماء وسبيل العطاء.

لو قال الأستاذ معلوف: إن "الجذور" ينصرف معناها في الغالب إلى النبات وأن الأصول تدل دائمًا على الإنسان لكان كلامه مقبولًا، ووجهة نظر لا اعتراض عليها، أما أن يشعر بكل ذلك النفور من الكلمة رغم ما تحمله من وظيفة شريفة، وما تقدمه من عطاء إلى النبات والحيوان والإنسان.

فهذا ما لا نوافقه عليه ونحتفظ بحقنا في مخالفته، ويحضرني هنا أن الحق سبحانه وتعالى حينما أراد أن يضرب مثلًا للكلمة الطيبة، فقد جعل الشجرة، الثابتة والضاربة جذورها في الأرض هي ذلك المثل، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

(١) سورة إبراهيم الآيات ٢٤، ٢٥.

ونلاحظ هنا أن الحق سبحانه وتعالى قال " ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ وهذا إشارة واضحة إلى أن الجذر هو الأصل، والأصل هو الجذر، وهذا يعني أن الجذور تتساوى مع الأصول، وأنهما في منزلة واحدة ومقام كريم واحد.

والمثال الذي ضربه الحق سبحانه وتعالى وجعل الشجرة الضاربة في أعماق الأرض بجذورها الراسخة مثلًا على أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد إذ لا يوجد في الوجود كلمة أطهر ولا أعظم ولا أسمى من كلمة التوحيد " أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله " وهذا يعني أن الشجرة تحتل في الإسلام مقامًا كريمًا، ومنزلة شريفة.

وبعد، فهل بقي شك في كرامة الجذور ومقامها الشريف وأن الوحل الذي ينفر منه البعض.. فيه أسباب الحياة للنبات والحيوان والإنسان.

من قتلنا فليس منا(*)

دخل رسول الله ﷺ السوق يومًا ليقوم بالرقابة اليومية وليرى مدى التزام المسلمين بضوابط الحلال والحرام في بيعهم وشرائهم، وأثناء تجواله مر بصاحب طعام، فأعجبه حسن عرضه لبضاعته، فأدخل يده الشريفة في صبرة طعام، فوجد فيها بللا فسأل البائع: " ما هذا يا صاحب الطعام "؟

قال أصابته السماء يا رسول الله.. قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس! من غشنا فليس منا(١).

وفي حديث آخر عنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من حمل علينا السلاح، فليس منا، ومن غشنا فليس منا(٢).

الغش في البيع والشراء يخرج المسلم من صفوف المسلمين، لأن من خلق المسلم الأمانة في كل ما يأخذ أو يدع من أمور دينه ودنياه، وإذا كان رسول الله ﷺ استنكر على صاحب الطعام إخفاءه للبلل الذي أصابه، فإنه ﷺ على من يحمل السلاح على المسلمين ويفجر السيارات ويحرق البيوت والمحلات، ويزرع أدوات التدمير في كل مكان، نقول: إن رسول الله ﷺ لهؤلاء ولأفعالهم الشريرة لأشد استنكارًا وشجبًا ووعيدًا لهم بعذاب شديد يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بعمل صالح وقلب سليم من كل ألوان الحقد والكراهية.

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٦/٣/٢٢م.

(١) حديث رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) حديث رواه مسلم.

وقبل أن نستعرض أقوال الرسول ﷺ وأحاديثه الشريفة في هذا المقام، الدالة على تحذيره ووعيده لمن يروع الآمنين، دعونا نفتح كتاب الإسلام الخالد، القرآن الكريم لنستمع إلى البيان الإلهي حول هذه القضية الخطيرة، يقرر سبحانه وتعالى في سورة النساء أنه ليس من خلق المؤمن، ولا يستقيم إيمانه، ولا تصلح عبوديته لخالقه ﷻ إذا هو قتل أخًا له في الإسلام عمدًا وبدون ذنب ارتكبه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾..[1].

هذا عقاب من يقتل أخًا له خطأ، فما بال من يقتل إخوانه متعمدًا؟ وما جزاؤه عند ربه سبحانه وتعالى؟ يأتي البيان الإلهي صريحًا مدويًا تنخلع له القلوب، وتتزلزل له النفوس، ويصاب القاتل باليأس من رحمة ربه، يقول الحق ﷻ في بيانه المعجز: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[2].

ما فعله القتلة بالسبعة البسطاء الذين لقوا حتفهم نتيجة الحريق الذي سد عليهم سبل النجاة، وشل حركتهم، هذا العمل الدنيء يدخل ضمن هذا الوعيد الإلهي.. أي قلب فيه مثقال ذرة من إيمان يقدر على ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنيعة؟! أي نفس تحمل قدرًا ولو ضئيلًا من يقين باليوم الآخر وما أعد الله تعالى فيه للقتلة من عذاب، تستطيع أن تفكر مجرد تفكير في القيام بمثل هذا العمل الذي لا تقره الأديان السماوية ولا الوضعية؟!

لقد روع مجتمع البحرين الآمن الذي لم يعتد على مثل هذه الجرائم حين شاهد الجثث المتفحمة والمبعثرة في المطعم، وكل جريرة هؤلاء الفقراء العاملين أنهم جاءوا من بلادهم ليكسبوا رزقهم ويساهموا في خدمة البحرين من خلال ما يقدمون للناس من خدمات فإذا بهم يصبحون للنار غذاء وحطبا.

---

(١) سورة النساء الآية ٩٢.

(٢) سورة النساء الآية ٩٣.

أي مبررات يسوقها هؤلاء القتلة ليقنعوا بها أنفسهم قبل غيرهم؟!

ليس مسلمًا من فعل هذا، وليس مؤمنًا من اقترفت يداه هذا الفعل الساقط، لا نصدر هذا الحكم تشددًا وتعصبًا، بل ننقل ما قاله المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، الذي استأذنه ملك العذاب في أن يطبق على الكفار الأخشبين ـ جبلين بمكة ـ قال: لا ـ لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى، ولا يوافق ﷺ على قتل رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول رغم أن من سيقوم بقتله هو ابنه عبدالله رضي الله عنه عندما سمع مقالة السوء التي قالها أبوه في رسول الله ﷺ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: لا تقتلوه، سيقولون محمدًا يقتل أصحابه!! وعندما مات رأس المنافقين وقف رسول الله ﷺ على قبره يدعو له كرامة لابنه الذي أسلم وحسن إسلامه حتى منعه القرآن من ذلك.

الرسول الأعظم ﷺ الذي قال للملك الذي يريد إطباق الجبلين على المشركين: لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى، دعا لأعدائه بقوله " رب أهد قومي فإنهم لا يعلمون ".

هذا النبي المبارك يقول في تعريفه للمسلم والمؤمن: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[1] ويقول عليه الصلاة والسلام: " المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم "[2].

فإذا لم يحقق المسلم السلام لإخوانه المسلمين فليس مسلمًا، وإذا لم يوفر المؤمن الأمن والأمان لإخوانه المؤمنين فإنه ليس مؤمنًا، ونستطيع أن نقول في كامل وعينا الإسلامي وتمام يقيننا الإيماني.. من قتلنا فليس منا.. ومن روعنا فليس منا.. ومن حرق بيوتنا ومؤسساتنا فليس منا.. ومن نشر الذعر في بلادنا الآمنة المطمئنة فليس منا..

وصدق الله العظيم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن

(١) حديث متفق عليه.

(٢) حديث رواه الإمام أحمد في مسنده.

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

لا.. للعنف وسيلة للحوار(*)

الزملاء الذين كتبوا يستنكرون حادث اغتيال الدكتور فرج فودة، نحن معهم في ذلك نستنكر وندين، وإذا كانوا يحتمون بالإسلام، فالإسلام دائمًا يدعو المعاندين له إلى كلمة سواء ويحاورهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يمتشق الإسلام الحسام في يوم من الأيام في أي حوار بينه وبين أعدائه والمناوئين له، فالحوار هو الأسلوب الذي يفضله الإسلام، بل إن الأمر على العكس من ذلك في جانب خصوم الإسلام، فدائمًا يصادرون حق الإسلام في إبداء وجهة نظره، وأبدًا يبدأون هم بالهجوم على الإسلام والرد على الكلمة بالرصاصة ـ نحن ندين ونستنكر مقتل الدكتور فرج فودة، ونؤكد أن هذا الأمر لا يقره الإسلام ولا يدعو إليه.. ولكن هناك سؤالًا هامًا وجوهريًا يجب أن نتوقف عنده، بل هناك عدة أسئلة هامة تتدافع لتبحث عن أجوبة مقنعة، وهذه الاسئلة تبدأ بالسؤال الهام وهو: هؤلاء القتلة الذين أطلقوا الرصاص على الدكتور فرج فودة هل ولدوا وفي أيديهم المسدسات، بل هل جاءوا إلى الدنيا وهم يحملون هذه النوايا السيئة، لو كان الأمر كذلك فهم مجرمون منذ نعومة أظفارهم ولا رجاء فيهم، وواجب على المجتمع أن يتخلص منهم ليستريح ويريح، وهم كالعضو الفاسد الذي لا يسلم الجسد إلا ببتره.

ولكن العلم لا يقول بذلك، فالإنسان لا يولد مجرمًا سفاحًا، بل أنه

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٢/٦/٢٦م.

يكتسب هذه المهارات الشريرة من البيئة التي يعيش فيها، ومن الضغوط التي تمارس ضده لتصادر حقه في إبداء وجهة نظره، وفي التعبير عن همومه وما يواجهه من عقبات..

والإسلام أكد هذه الحقيقة الفطرية قبل العلم، قال ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[1].

تعالوا نسأل أنفسنا سؤالًا منصفًا: ما هي الأسباب التي جعلت هؤلاء الشباب قتلة وإرهابيين، إذا كانوا لم يولدوا بهذه الصفة، فمن أين اكتسبوها؟ وحتى نكون منصفين في الإجابة يجب أن نقول: أن الذي دفعهم إلى هذا هو الإرهاب الذي مارسته الأنظمة الدكتاتورية، التي صادرت حقهم في إبداء وجهة نظرهم، والتعبير عن همومهم وشجونهم، ولنضرب لذلك مثلًا بالذي حدث في الجزائر، ألم يقبل جماعة جبهة الإنقاذ الإسلامية الدخول في الانتخابات التي أجرتها الدولة، وكان ذلك اعترافًا منهم بالدستور رغم ما فيه من بنود قد تخالف الإسلام مخالفة صريحة، ورغم ذلك قبلوا بالشرعية الدستورية كما كانوا يسمونها، وحققوا في ظل هذه الشرعية نجاحًا منقطع النظير، فماذا حدث؟ استكثرت عليهم السلطة ذلك، وعملت على إلغاء نتائج الانتخابات خوفًا من نجاح الجبهة في المرحلة الانتخابية الثانية، وبالغت السلطة وتعسفت في مصادرة حق أعضاء الجبهة في التعبير عن وجهة نظرهم وألقت القبض على زعماء الجبهة، وزجت بالمئات في السجون لا لذنب ارتكبوه ولكن خوفًا من أن يصلوا إلى الحكم بالطرق الديمقراطية، وشن جهاز الشرطة الجزائري هجمات على مقار الإنقاذيين وأخذوا يطاردونهم كما يطاردون المجرمين والقتلة، فماذا كانت النتيجة، أن أحس الإنقاذيون بأن حياتهم مهددة بالخطر من أجهزة الدولة الأمنية مما دفعهم إلى الدفاع عن أنفسهم فاعتبرت السلطة ذلك إرهابًا، ونسيت أنها هي التي بدأت الإرهاب حينما ألغت نتائج الانتخابات التي حققتها الجبهة بوسائل ديمقراطية، وظلت السلطة تتعسف وتستفز مشاعر المسلمين حتى بلغ الأمر

---

(١) حديث رواه البخاري في صحيحه.

بالإنقاذيين، أنهم هددوا بتفجير الأوضاع في الجزائر إذا أصرت السلطة على محاكمة زعماء الجبهة.

ومثل آخر نسوقه إلى الذين يدينون القتلة ويغضون الطرف عن الذين علموهم الإرهاب والقتل، ووضعوا في أيديهم المسدسات ودربوهم على استعمالها، يقول الشيخ الغزالي في إحدى لقاءاته الصحفية أنه أرسل العديد من الردود إلى جريدة الأهرام القاهرية مناقشًا ومفندًا بعض الاتهامات التي يسوقها العلمانيون والشيوعيون فرفضت جريدة الأهرام نشرها، وضربت بمبدأ حرية النشر واحترام الرأي الآخر عرض الحائط، وإذا كان عالم جليل كالشيخ محمد الغزالي المشهور بالاعتدال والعقلانية في مناقشة خصومه ترفض الأهرام نشر ردوده، فماذا عن الكثير من الردود التي تصل إلى هذه الصحف العلمانية وهي تحمل آراء مخالفة للاتجاه الذي تتبناه الجريدة؟ وأما عن مصادرة حق الإسلاميين في إصدار صحف لهم بغلق مجلة الدعوة والاعتصام فحدث عن ذلك ولا حرج، وأيضًا فإن السلطة التي تبيح للشيوعيين والعلمانيين والقوميين تأسيس أحزاب، ترفض أن تعامل الإسلاميين بهذه السماحة واليسر وترفض أن تمنحهم حق إنشاء حزب إسلامي أسوة بغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى..

نعم نحن نستنكر وندين قتلة الدكتور فرج فودة رغم استفزازه الدائم لمشاعر المسلمين، ونقر أن الإسلام الذي نؤمن به يأمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن فما بالنا ونحن نجادل المسلمين، ولكن الإنصاف يدفعنا إلى أن نبحث وراء هذه الظاهرة الشاذة في مجتمعاتنا لنقول: إن هؤلاء لم يولدوا إرهابيين وقتلة وحملة مسدسات ولكن كان ذلك نتيجة لمقدمات بدأت بها السلطة حينما مارست ضدهم الإرهاب، وصادرت أي حق لهم في إبداء وجهة نظرهم والتمتع بما يتمتع به الآخرون من حقوق..

كلمة أخيرة لا بد منها، لا ندهش، ولن نصاب بالحيرة، ولن يستبد بنا العجب إذا فتحت ملفات القضية الحقيقية، فاكتشفنا أن هناك جهات رسمية وراء جريمة الاغتيال، وما أولئك الشباب إلا أدوات التنفيذ لتلك الجهات.

مسيلمة الكذاب.. يحصل على الدّكتوراه![*]

قال لي أحد الأخوة: هل سمعت عن الدكتور داهش؟ قلت له: لقد قرأت عنه شيئًا يسيرًا في مجلة "المجتمع" الكويتية. قال إذا أردت أن تعرف عنه الكثير فاذهب إلى "معرض الشرق الأوسط للكتاب" فهناك جناح خاص تحتله دار للنشر اسمها "دار النسر المحلق".

قلت له: إنني لم أسمع بهذه الدار قط.

وأنا صادق فيما أقول فعلى فرط ولعي بالكتب وبحثي عنها في كل مكان، فلم يقع في يدي كتاب مطبوع في هذه الدار.

ولقد عرفت السبب بعد ذلك وهو أن هذه الدار متخصصة في نشر كتب الدكتور داهش "المدهش".

كنت قبل أن أسمع هذا الكلام قد قررت عدم الذهاب إلى هذا المعرض، بعد الكلام الذي سمعته من أنه لا يدخل الإنسان إلا ببطاقة معينة، وأنه لا يوجد فيه كتب جديدة وأن كل ما فيه هو كتب باللغة الإنجليزية وهي ليست للبيع وإنما للحصول على وكلاء توزيع في البحرين، هذا الكلام جعلني أقرر بيني وبين نفسي ألا أذهب، ولكن خبر هذا الدكتور دفعني إلى الذهاب لمعرفة المزيد عن هذا الداهش أخذت أبحث عن الدار معظم الوقت فلم أعثر لها على أثر، وسألت أحد المسئولين عن المكتبات في البحرين فكان هو الآخر يجهل موقع هذه الدار وتعجبت كيف يكون من

(*) أخبار الخليج في رحاب الإسلام/ ١٤ يناير ١٩٨٣م.

المسئولين والمهتمين بالمكتبات العامة ولا يعرف دارًا تشترك في معرض المفروض أن إدارة المكتبات على علم ومعرفة به وتشرف على تنظيمه.

المهم في الأمر دلني أحد الأخوة على مكان هذه الدار، فذهبت ووجدت العجب! كل الكتب المعروضة لمؤلف واحد، ووجدت صاحب الدار يرحب بالزوار ويجري معهم حوارًا سمعت بعضه عرضًا وإذا به محاولة مستميتة لإقناع الزوار بفكر وعقيدة صاحب هذه المؤلفات!

انتقيت مجموعة من الكتب حرصت أن تكون منوعة بالقدر الذي يعطيني صورة واضحة المعالم عن هذا الداهش، وفعلًا عدت بما أحمل إلى البيت وبدأت القراءة، وإذا أنا برجل تجري المعجزات على يديه ببساطة وسهولة، معجزات تفوق ما جاء على يد أولي العزم من الرسل!

وسألت نفسي كيف يكون هذا الإنسان بهذه المهارة في كل شيء في الأدب والشعر والقدرات الروحية ولا نعرف عنه شيئًا، ولماذا لم تصلنا مؤلفاته أو أخباره رغم أنه بدأ ممارسة نشاطة منذ وقت مبكر جدًا؟!

ولكن ماذا يريد أن يقول هذا الرجل؟ وماهي دعوته؟ وعلى أي الأسس تقوم؟ وإذا كان بهذه القدرة العجيبة فلماذا لم يستخدمها لنفسه حيث تعرض لكثير من الحروب والاضطهاد والسرقة ولم يرد عن نفسه شيئًا منها؟! أين كانت هذه القدرات والمعجزات ساعة جرده بشارة الخوري من جنسيته وسحب منه جواز سفره وطرده خارج البلاد - إنسان بلا هوية؟! لماذا لم يستطع أن يمنع وكيله من سرقة العشرين ألف جنيه فلسطيني من حسابه في البنك العربي في فلسطين؟ ولماذا لم يسترجعها منه بعد أن سرقها واكتفى بأن ألغى التوكيل الذي منحه إياه والذي بموجبه استطاع أن يأخذ ذلك المبلغ الكبير؟!

اسئلة كثيرة.. كثيرة أخذت تدور في رأسي وتمنعني من الاسترسال في القراءة.

لن أتكلم عن مولده فقد سبقني إلى ذلك بعض الزملاء، ولكني سأتكلم عن هذه العقيدة المدعاة.

إن القرآن الكريم يؤكد لنا بما لا يدع مجالًا للشك في أن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل جميعًا، وأن رسالته عقيدة الإسلام ـ هي خاتمة الرسالات، فيها المنهج الكامل للبشرية جمعاء، وهي ناسخة لما سبقها من شرائع لا من حيث الإيمان بل من حيث التطبيق، فالإيمان بالكتب والرسل السابقين لسيدنا محمد ﷺ جزء من عقيدة المسلم، ولكن العمل بها في مجالات الحياة أمر يرفضه الإسلام والأدلة على ذلك كثيرة لا مجال لذكرها الآن.

إذن فمن أين جاء هذا الدكتور بهذه العقيدة -، يقول إنها دعوة إلى وحدة الأديان ـ الإسلام واليهودية والمسيحية ـ وهذا مخالف لحقيقة وأصل من أصول الإسلام وهو خاتمية الإسلام كعقيدة وشريعة، وخاتمية الرسول ﷺ كمبلغ عن الله، كما هي مخالفة أيضًا إلى ما ثبت من أن الوحي انقطع بوفاة الرسول ﷺ.

والدعوة التي يدعو إليها هذا المدعي والمروجون لها تبدو عقيدة لها نبي يأتيه الوحي من السماء، ولنستمع إلى تعريف المؤمنين بهذا الداهش: " أن حياة الدكتور داهش لا يمكن أن تختصر في صفحات ولا في كتاب فالرجل معجزة بكل ما تعنيه أبعاد هذه الكلمة بل وأكثر منها " ثم يتحدثون عن أدبه فيقولون: " والكلام عن أدب الدكتور داهش له نفس امتدادات أدبه الذي يشرق في كل أفق من آفاق الأدب، والذي يتسنم كل قمة من قممه، متخطيًا بذلك حدود المألوف والمعروف. فأدب الرجل هو بحق أدب فوق الأدب، أنه معجزة شأنه في ذلك شأن حياة صاحبه ".

ثم يتحدثون عن حياته من يوم مولده وكيف بدأت المعجزات تجري على يده وهو في سن صغيرة جدًا حيث مشى على الماء ولم يبتل حذاؤه، أعاد دراجة أحد الأطفال إلى الحياة بعد أن تهشمت أجزاء صغيرة كما مسح على جراح ذلك الطفل الذي سقط مع دراجته فجرح في مواضع كثيرة من جسده، وبعد أن مسح عليها داهش اختفت وقام الطفل يمشي وكأنه لم يصب بأي جروح.

وكيف كان يقرأ القرآن الكريم وهو صبي وعندما منعته خالته التي كان يعيش في كنفها، وأطفأت الشمعة التي كان يقرأ على ضوئها تظاهر بالنوم حتى ذهبت خالته إلى سريرها ثم عاد إلى القرآن ليقرأ فيه واستيقظت خالته على صوته وهو يقرأ فجاءت لتتفقده فوجدته وهي مندهشة يقرأ في القرآن دون الاستعانة بالشمعة وأن هناك نورًا يضيء له القرآن ويسهل له القراءة.

ولنعد الآن لنتحدث قليلًا عن هذه العقيدة الجديدة وصاحبها.

تأسست العقيدة الداهشية في ٢٣ آذار ١٩٤٢م، وبدأت بجلسة روحية عقدها الدكتور داهش في بيروت.

وأن هذه العقيدة جاءت استجابة للحاجة الملحة التي يتطلبها القرن العشرون عصر القلق والاضطراب والخوف، وأن صاحب هذه العقيدة يتلقى الوحي من السماء وحول هذا المعنى يقول الكتيب الذي نشر للتعريف بهذه العقيدة وصاحبها: " ليست التعاليم الداهشية مقتبسة من العلوم والفلسفات أو العقائد المعاصرة، إنما هي حقيقة أوحتها الأرواح العلوية في الجلسات الروحية وأيدت صحتها بالمعجزات ".

تقوم هذه العقيدة ـ المدعاة ـ على أساس الإيمان بوحدة الأديان الجوهرية، وتقوم كذلك على الإيمان بالتقمص، وهو الحلول الذي تؤمن به العقائد الهندوسية.

وتقوم أيضًا على الإيمان بالسببية الروحية والجزاء العادل، وبأن السيالات هي نسيج الكون وقوام كائناته.

ويقول صاحب هذه العقيدة أن له ست شخصيات أعدمت واحدة في أذربيجان بإيران ١٩٤٧م وسرعان ما بعثت حية لأن الموت ـ على حد زعمه ـ غير قادر عليها، والغريب في الأمر أن هذا المدعي يستشهد بآيات من القرآن الكريم، وهي محاولة لإقناع المسلمين بأن هذه العقيدة لا تتعارض مع عقيدتهم الإسلامية بدليل أن صاحبها يومن بالإسلام ويستشهد بالقرآن، وهذا مما يجعلنا نعتقد أن هذه العقيدة ـ المدعاة ـ موجهة إلى الإسلام

والمسلمين خاصة وأن بواعثها لا يمكن الثقة فيها رغم الكتب والمقالات التي دبجت في مدحه والإشادة به.

والذي يقرأ آثار هذا المدعي وما كتب عنه وعن معجزاته يخلص إلى نتيجة هي:

أن الدكتور داهش يجمع في نبوته ـ المدعاة ـ ومعجزاته نبوة ومعجزات عدد كبير من الأنبياء وذلك أمر طبيعي حتى يؤكد دعوته القائمة على وحدة الأديان، فهو بإمكانه أن يقوم بمعجزات نبي الله سليمان عليه السلام وذلك عندما أحضر البيانو من حلب إلى بيروت وفي هذا تشبيه بإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ، وهو بإمكانه أن يقوم بمعجزات نبي الله موسى عليه السلام وهو السحر بأنه كان يختفي عن أنظار الشرطة وهي تبحث عنه وعندما يحاول ابن صاحب الدار التي كان الدكتور داهش موجودًا فيها وكان ساعتها واقفًا بجانب الابن عندما حاول هذا الابن أن يدل الشرطة على الدكتور داهش بأن أشار إليه عنفوه واتهموه بالكذب لأنهم لا يرون الدكتور داهش بعد أن خرجت الشرطة قال الدكتور داهش: إنهم لا يستطيعون رؤيتي! إذن فهو قد سحرهم فلم يستطيعوا رؤيته، وهو في قدرته أن يقوم بمعجزات نبي الله عيسى عليه السلام وهو إحياء الموتى وإبراء المريض، فكان يضع يده على طائر محنط مثبت على قاعدة خشبية فينطلق هذا الطائر من قاعدته ويؤخذ ويوضع في قفص سنين طويلة، كما أنه مسح على الطفل الذي سقطت به دراجته فشفاه من جراحه، وهو فوق ذلك بإمكانه أن يأتي بمعجزة سيدنا محمد ﷺ وهي البلاغة والإعجاز فيما يكتب من كتب وما ينظم من أشعار وأن الضجة التي يثيرونها حول بلاغته وإعجازه في النظم والتأليف كما سبق وأن أوضحناه ـ محاولة لتشبيهه ببلاغة وإعجاز القرآن ـ إذن فهو نبي لا يكتفي بمعجزة واحدة بل بمعجزات متعددة وحرص أن تكون مما جاء به الأنبياء السابقون وخاصة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام حتى يجعل لدعوته إلى توحيد الأديان أساسًا تقوم عليه.

هو يحاول حل المتناقضات التي تواجه أتباعه في تضارب الأقوال

الواردة في الكتب الثلاثة: التوراة، الإنجيل، القرآن: ففي قضية صلب المسيح مثلًا نجد أن الإنجيل ـ كما يقول بذلك المسيحيون ـ يقول بصلب المسيح، وأن القرآن ينفي صلبه، وللخروج من هذا المأزق يقول الدكتور داهش: أن المسيح له أكثر من شخصية ـ كما هو الحال بالنسبة إليه حيث أعدمت شخصيته في أذربيجان بإيران وسرعان ما عادت إلى الحياة وكان وقتها في بيروت بين المؤمنين به ـ وأن الإنجيل عندما تحدث عن صلب المسيح كان يقصد شخصية من شخصياته المتعددة، أما القرآن عندما نفى الصلب فكان يعني صلب المسيح الجسد والروح وهكذا فلا تعارض مع القولين.

إن هذا المنطق لا يمكن أن يقبله العقل السليم بل إن فكرة قيام عقيدة على أساس وحدة الأديان أمر يرفضه المنطق السليم ونحن كمسلمين نؤمن بالقرآن وهو الكتاب الموثق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا الكتاب يؤكد في أكثر من آية أن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو الدين الوحيد الذي يجب على البشرية جميعها، أن تؤمن به وتسير على نهجه: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١).

وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٢).

وقال كذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾..(٣).

إذن فهذه عقيدة باطلة، وأن هذا الدكتور مدع، لم يأت بجديد مما جاء به مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وسجاح الذين ادعوا النبوة في العهد الأول من الإسلام وكشف الله تعالى زيفهم وادعاءاتهم، واليوم نحن مطالبون بأن نكشف زيف هذه الدعوة التي تحمل أدلة بطلانها في ذاتها

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٣.

ومهما قيل أو كتب عن هذا الداهش وداهشيته فإن المسلمين الذين هداهم الله تعالى إلى العقيدة الحقة، وآمنوا برسوله الخاتم في حصن حصين، وفي مأمن من أن يتأثروا بهذه الأكاذيب التي قد يكون اليهود المزورون والمحرفون وراءها، كما أننا لا نستطيع أن نجزم بصحة ما نسب إلى بعض الشخصيات الأدبية كالشيخ عبدالله العلايلي والدكتور محمد حسين هيكل بأنهم أشادوا بهذا المدعي وحتى على فرض صحة، ما نسب إليهم فلا يعقل أبدًا أن نترك أدلة الله تعالى التي وردت في أصح مصدر لنأخذ أية أدلة أو أقوالًا ساقها البشر مهما وصلوا من علم ودراية.

ونسأل الله تعالى أن يجنب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، فهم يكفيهم هذا التنازع والفرقة التي هدمت بنياهم، وأذلتهم ولسنا في حاجة إلى دعوات تحاول أن تنهي دور الإسلام في الحياة لتحل محله عقيدة مدعاة تخلط الأديان في وعاء واحد لتخرج شيئًا لا يمكن أن يعتمد عليه.

السابحون ضد التيار(*)

العرب قبل أن يكونوا أمة ويتوزعوا في أقطار عديدة، كانوا قبائل متناحرة تغير هذه القبيلة على تلك، وتهاجم تلك القبيلة هذه بسبب عصبية متأصلة أو خلاف على كلأ أو بئر ماء، ولما جاء الإسلام استطاع أن يزيل ما بين هذه القبائل من أسباب النزاع والخصومة، فعمل على التأكيد على أن الناس جميعًا خلقوا من أب واحد وأم واحدة، فالناس جميعًا لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، وأكد القرآن العظيم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(١).

فأزال الإسلام بهذا المبدأ العظيم ما بين القبائل العربية من تفاخر بالعصبيات، وجعل مجال التفاضل بين الناس هو التقوى فقط، والتقوى حتى تتحقق لا تحتاج إلى نسب أو عصبية، ولكن إلى توطيد العلاقة مع الله تعالى، والإقرار له بالفضل فيما يتمرغ الإنسان فيه من نعم جليلة، وأن يحرص الإنسان على أن يراه مولاه ﷻ حيث أمره وأن يفتقده حيث نهاه.

أيضًا كان من أسباب الصراع الدائر بين القبائل العربية قبل مجئ الإسلام انتماءاتهم المختلفة، فالغساسنة مثلًا كانوا يدينون بالولاء للروم

(*) أخبار الخليج (البحرين) ١٩٩٧/٤/٤م.

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

والمناذرة يدينون بالولاء للفرس، فإذا دخلت الدولتان في حروب دخل العرب تبعًا لهم في حروب فيتقاتل الأخوة والأقارب لا لسبب خاص بهم، بل لأن من يدينون له بالولاء دخل هذه الحرب، ولا يخرجون منها، ولا يلقي العربي سلاحه الذي يرفعه في وجه أخيه العربي إلا إذا توقفت الحرب بين الفرس والروم، فكان من فضائل الإسلام ومحاسنه أنه خلّص العرب من هذه التبعية الكافرة، وجعل ولاءهم لخالقهم ﷻ، لأنه سبحانه الأحق والأولى بالولاء من غيره، لهذا فنحن لا نستغرب بغض دولة فارس المجوسية ودولة الروم الصليبية للإسلام، وعملهم الدائب على وقف انتشاره، وتحجيم دوره، ومناهضة كل من يدعو إليه، كما أننا لا نستغرب ولا نندهش ولا نعجب من وقوف الدول الحديثة التي استعمرت ديار الإسلام ووضعتهم ضمن نفوذها، وسلبت حرياتهم وثرواتهم، وما زالت هذه الدول تمارس نفس الدور القديم بآليات حديثة، وتحت مبررات مختلفة، منها الحماية، والمعاهدات، وحماية المصالح المشتركة، لا نعجب من موقف الدول الاستعمارية المعادي للإسلام المناهض لكل سعي مبرور لاستئناف مسيرة الإسلام المظفرة والمباركة لرفعة شأن المسلمين، وإعادة دورهم الريادي الذي مارسوه أيام عزهم ومجدهم.

إننا لا نستغرب مناهضة دولتي فارس والروم للإسلام قديمًا، ولا نعجب من مناهضة بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا - وكل من يدين بدينهم وينهج نهجهم للإسلام والوقوف صراحة تبلغ حد الوقاحة لكل محاولة لإعادة الإسلام إلى حياة المسلمين، ولقد قالها (ويلي كلاس) الأمين العام السابق للناتو بأن الإسلام هو عدو الغرب الجديد وذلك بعد سقوط الشيوعية، بل إن العديد من الخبراء الغربيين يعلنونها صراحة بأن تدخل دولهم عسكريًا في دول الإسلام أصبح واردًا حين يمتد الصراع الداخلي في أية دولة عربية إلى الخارج ويهدد مصالح هذه الدول، ولكن هؤلاء الخبراء ينسون أو يتناسون تدخل دولهم السياسي في الدول العربية قبل أن يصيبهم أو يصيب مصالحهم أي أذى، ومواقف فرنسا من الصراع الدائر في الجزائر معروف، وانحيازها إلى العسكر واضح، بل أن ما يثير الريبة ويؤدي إلى

الكثير من علامات الاستفهام أن العديد من الدول العربية والإسلامية التي حدثت فيها انقلابات عسكرية يقفز على السلطة أو يقود الانقلاب إناس لهم ولاء للغرب أو صلة من قريب أو بعيد بهذه الدولة الغربية أو تلك. أمامنا نموذجان حاضران من عالمنا العربي والإسلامي مرشحان للتدخل العسكري الغربي فيهما، الأول هو تركيا حيث يؤكد خبير أمريكي في الشئون التركية أن أمريكا ستؤيد العسكريين إذا قرروا الانقلاب، ففي حديثه إلى مجلة "المجلة" اللندنية الصادرة في ٢٣ مارس ١٩٩٧م، قال د. أموس بيرلماتا، أستاذ العلوم السياسية وعلم الاجتماع في الجامعة الأمريكية في واشنطون، ورئيس تحرير "جورنال للدراسات الاستراتيجية" ومؤلف الكثير من الكتب عن الإرهاب الدولي وعن تركيا وإيران، والذي عاد أخيرًا من تركيا، قال د. آموس في رده على سؤال المجلة: هل تتوقع انقلابًا عسكريًا في تركيا ضد حكومة نجم الدين أربكان؟

قال: كل شيء يعتمد على أربكان، فهو الذي أثار التوتر عندما بدأ حكمه بزيارة إيران وليبيا ودول إسلامية أخرى، وهو حتى الآن، لم يزر الولايات المتحدة، وهذا ليس شرطًا، أو اختبارًا لنجاحه أو فشله، ولكن تركيا لها أهمية خاصة لحلف الأطلسي وللاستراتيجية والمصالح الأمريكية، ثم بدأ أربكان يمارس سياسات داخلية لصالح الإسلاميين، وهذا كله زاد قلق وغضب العسكريين والعلمانيين وقيام انقلاب عسكري يعتمد على ما سيفعله أربكان الآن: هل سيزور الولايات المتحدة ويتعايش مع العسكريين والعلمانيين أو سيتمادى في السير في الاتجاه الذي سيقلب الميزان السياسي في تركيا "؟

وحول رد فعل الولايات المتحدة إذا اتجه أربكان إلى تحقيق مصالح الشعب التركي المسلم، ولم يخضع لضغوط العسكريين والعلمانيين أجاب الدكتور أموس أستاذ العلوم السياسية وعلم الاجتماع في الجامعة الأمريكية بواشنطون قائلًا: " يجب تحذير أربكان من نتائج السياسة التي يسير عليها، ويجب إعلان تأييد كامل للعسكريين، إذا قرروا أن لا مفر من القيام بانقلاب عسكري، فيجب أن نؤيدهم مسبقًا ".

وكأن مندوب المجلة يريد التأكد مما سمعه، فأعاد السؤال بصيغة مختلفة قائلًا: وماذا إذا وقع الانقلاب العسكري الآن؟

فأجاب د. أموس: " لابد أن نقول لأربكان أنه سيتحمل مسئولية الانقلاب العسكري، وإذا وقع الانقلاب فلابد أن نؤيده لأننا نعرف أن العسكريين ما كانوا سيفعلون ذلك إذا لم يضعهم أربكان في هذا الموقف ".

هذا عن تركيا، فماذا عن الجزائر واحتمالات التدخل العسكري فيها؟

يؤكد تيري ذي فونبريال، رئيس مركز الدراسات الفرنسي للعلاقات الدولية، وهو أحد كبار خبراء الشئون الدولية في فرنسا وله العديد من المؤلفات في هذا الميدان، وهو قد بدأ حياته المهنية دبلوماسيًا في وزارة الخارجية الفرنسية كأول مدير لقسم الدراسات والتوقعات الاستراتيجية وذلك بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٩م، ثم قام بتأسيس مركز الدراسات الفرنسي للعلاقات الدولية الذي ما زال يرأسه حتى اليوم. قال تيري ذي فونبريال: إن التدخل العسكري الدولي في الجزائر وارد إذا تعدى النزاع الحدود وهدد أمن جيرانه.

وقال أيضًا: ما يجري في الجزائر هو حرب أهلية، والتدخل العسكري الدولي في الحروب الأهلية لا يتم إلا بطلب من الدولة المعنية وبقرار أممي، وما دامت الجزائر لم تطلب من أحد التدخل لا سياسيًا ولا عسكريًا في أحداثها الداخلية فإن أمر التدخل الأجنبي لم يطرح بعد للنقاش، ولكن إذا تصورنا أن النزاع في الجزائر انفجر وتعدى حدودها فإنه يكون من حق الدول المجاورة الدفاع عن نفسها بمفردها أو بالتعاون والتنسيق مع دول أخرى[١].

هكذا العالم يخطط ويدبر وينفذ، ويستعين بنا في تحقيق مآربه، وتنفيذ خططه والاستيلاء على خيرات بلادنا وثرواتها ويكون له من المعارضين للإسلام، المناهضين لدعوته من أبناء المسلمين من الذين أعطوا ولاءهم

---

(١) مجلة "المجلة" اللندنية ٢٣/٣/١٩٩٧م.

للغرب، ويكون من هؤلاء آليات للتنفيذ ولتحقيق ما يدبر ويحاك ضد أمتهم ودينهم.

إنهم يسبحون ضد التيار العربي الإسلامي، إن الإسلام قادم شئتم أم أبيتم، وسوف يبلغ ما بلغ الليل والنهار، هذا وعد غير مكذوب ممن وصفه ربه ﷻ بأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1].

(١) سورة النجم الآيات ٣، ٤.

كتب صدرت للمؤلف

١ ـ الإسلام والوصاية على الأديان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

٢ ـ وماذا بعد الانتفاضة؟ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م

٣ ـ الذين يحرثون في البحر ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

٤ ـ قوة الإسلام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م

٥ ـ حديث النفس المطمئنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

٦ ـ الشيوعية أفيون الشعوب ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

٧ ـ الدولة في الإسلام ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

٨ ـ أمريكا من القمة إلى القاع ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

*** كتب تحت الإعداد**

١ ـ هذا الدين تحت الإقامة الجبرية

٢ ـ هذا هو الإسلام (سلسلة)

٣ ـ هذا بيان للناس

٤ ـ ميراث النبوة

٥ ـ ميراث العلماء

٦ ـ شرخ في الجدار العربي

٧ ـ تداعي الكلمات

٨ ـ الإسلام رؤية شمولية

٩ ـ الصلاة رؤية معاصرة

١٠ ـ الأجوبة النموذجية في الأحاديث النبوية

١١ ـ تساؤلات في الدنيا والدين

١٢ ـ وللبلاء عطاء

١٣ ـ زكاة الجوارح

*** نشرت له العديد من المقالات في الصحف والمجلات المحلية والخليجية والعربية:**

الصحف

١ ـ صحيفة أخبار الخليج ـ البحرينية.

٢ ـ صحيفة الأضواء ـ البحرينية (توقفت عن الصدور).

٣ ـ صحيفة الخليج ـ الظبيانية.

٤ ـ صحيفة الاتحاد ـ الإماراتية.

٥ ـ صحيفة المسلمون ـ السعودية.

٦ ـ صحيفة الشرق الأوسط ـ السعودية.

٧ ـ صحيفة الأمة الإسلامية ـ المصرية.

*** المجلات**

الهداية - البحرينية.

البحرين الخيرية - البحرينية.

آفاق أمنية - البحرينية.

عطاء - البحرينية.

الرفاع الخيرية - البحرينية.

المواقف - البحرينية.

الشروق ـ القطرية.

أسرتي ـ الكويتية.

التعاون الخليجي ـ الكويتية.

الناقد ـ اللندنية.

المؤلف في سطور

- ولد عام ١٩٤٣م وأنهى دراسته الثانوية ولم يواصل الدراسة لظروف خاصة، وقد عوض توقفه عن مواصلة الدراسة بانكبابه على الثقافة من خلال القراءات المتنوعة والطويلة والعميقة.

- عمل في تشارترد بنك منذ عام ١٩٦٢م، وحتى عام ١٩٧٦م. انتقل بعد ذلك إلى بنك البحرين والكويت في عام ١٩٧٦م وعمل فيه حتى عام ١٩٧٩م. انتقل بعد ذلك للعمل في بنك البحرين الإسلامي منذ بداية إنشائه في عام ١٩٧٩م وحتى عام ٢٠٠٣م حيث أنهى علاقته بالبنك ليتفرغ للعمل الفكري والكتابة الصحفية.

- عضو مؤسس في الجمعية الإسلاميةوعضو في مجلس إدارتها لأكثر من دورة.

- عضو مؤسس في جمعية الشورى الإسلامية (وهي جمعية سياسية) واختير نائبًا للرئيس.

- اختير عضوًا في مجلس إدارة الأوقاف السنية لأكثر من دورة ولا يزال.

- عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- أجريت معه العديد من اللقاءات في الصحف والإذاعة والتليفزيون حول قضايا الإسلام وبعض مؤلفاته.

- يشرف في صحيفة أخبار الخليج على صفحتي " في رحاب الإسلام " الأسبوعية و " مع الصائمين " اليومية وحرر في بداية صدور

الصحيفة صفحة أسبوعية باسم " إسلاميات " يشرف الآن على " الملحق الإسلامي ".

- له مقال أسبوعي في صفحة " قضايا وآراء " يقدم وجهة نظر إسلامية في القضايا السياسية وينشر هذا المقال كل يوم أحد.

- يسعى جاهدًا فيما يكتب إلى توضيح قضايا الإسلام، ورد الشبهات عنه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بعيدًا عن القضايا الخلافية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتوى

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
من البيان الإلهي	٧
المقدمة	٩
الفصل الأول: الحكومة الإسلامية	١٣
الشريعة الإسلامية.. والردة الحضارية	١٥
الإسلام شيء.. والحكومة الدينية شيء آخر	١٨
يقولون: افصلوا الدين عن الدولة، ونقول لهم: أي دين تعنون؟! [١]	٢٢
يقولون: افصلوا الدين عن الدولة، ونقول لهم: أي دين تعنون؟! [٢]	٢٦
من هنا نبدأ	٣١
أفحكم الجاهلية يبغون؟!	٣٥
أيها المسلمون.. بأي منطق تريدون أن تُحكموا؟	٣٨
في الإسلام دولة.. وإليكم الدليل	٤١
المسلمون.. وحل المشكل الحضاري	٤٥
الذين يخافون الإسلام!!	٤٨
إنهم يخشون يقظة الإسلام	٥٠
قل أطيعوا الله والرسول	٥٣
هل كان عُمر مستبدًا؟!	٥٦
في تركيا الإسلام يعود من جديد	٥٩
نجم الدين أربكان وديمقراطية العسكر!!	٦١

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني: العلمانيون.. إلى أين؟	٦٥
العلمانية ضد العلمانية	٦٧
العلمانية.. والوهم	٧٠
مناقشة هادئة جدًا..	٧٢
.. وماذا عن تطرف العلمانيين؟	٧٦
الدعوة إلى علمنة التاريخ الإسلامي	٧٩
لا عَلْمانية في الإسلام	٨٢
وقفتان.. مع دعاة التنوير	٨٦
من هنا.. ننتهي	٩٠
المثقفون.. بين الرأي والعقيدة	٩٤
تضليل النخبة!!	٩٨
النخبة المتخاذلة	١٠٢
الحاقدون!!	١٠٥
الدكتور صادق جلال العظم واختلاط المفاهيم	١٠٨
مأساة إبليس أم مأساة العظم؟!	١١٣
سلامة موسى والحجاب	١١٨
أميّة الرّسول.. بين الكتاب والسنة [١]	١٢١
الرصَافي وشبهات حَول الرسول [٢]	١٢٦
الفصل الثالث: الغرب والإسلام	١٣١
نصائح أمريكية.. للتصدير!!	١٣٣
وما خفي كان أعظم!!	١٣٦
نيكسون.. ينتهز الفرصة	١٣٩
إنهم يشوهون الحقائق!!	١٤١
لن يخذل إسرائيل أبدًا..	١٤٤
الغرب.. يستأنف حروبه الصليبية	١٤٦
البوسنة والهرسك يصرخون.. وا إسلاماه!	١٤٩
إرهاب دولة أم إرهاب أفراد ويظل السؤال حائرًا؟	١٥٢

الموضوع	الصفحة

بل.. أنتم الإرهابيون... ..... ١٥٥
الشجرة الخبيثة! ١٥٨
يا لعارنا بأوروبا!! ١٦١
ليس حبًا في اليهود ولكن بغضًا في الإسلام ١٦٤
١٩٩٢م عام الكراهية ١٦٧
صفقات خاسرة ١٧٠
ماذا يحدث في الصين؟! ١٧٤
الغرب.. وانحطاط القيم ١٧٩
المؤامرة ١٨٣
سيبقى الإسلام رغم أنف الحاقدين ١٨٥
لا تعينوا الشيطان الأوروبي على صاحبكم.. ..... ١٨٩
تلك هي حضارتهم ١٩٢
الناكرون للجميل ١٩٥
أمهات بالإيجار ١٩٨
الفصل الرابع: الوعي الغائب ٢٠١
.. أمام محكمة العقل ٢٠٣
دائمًا.. التربية قبل التعليم ٢٠٧
هل العامية.. لغة المستقبل؟ ٢٠٩
اللغة العربية.. تشكو جحود أبنائها ٢١٢
اسم.. على غير مسمى!! ٢١٥
كلمات تبحث عن هوية ٢١٨
الأزهر.. عندما كان قلعة للصمود ٢٢١
صور فاضحة على دفاتر الطلبة ٢٢٤
الإسلام بريء!! ٢٢٧
هارون الرشيد.. المفترى عليه ٢٣١
هذا ما بقي من نزاركم!! ٢٣٥
أولاد حارتنا.. مرة أخرى ٢٣٨

الموضوع	الصفحة

للعائدين نقول أهلاً ٢٤١
إشكالية التوفيق بين النصوص ٢٤٤
معلوف بين الأصول والجذور ٢٤٧
من قتلنا فليس منا ٢٥٠
لا.. للعنف وسيلة للحوار ٢٥٤
مسيلمة الكذاب.. يحصل على الدّكتوراه! ٢٥٧
السابحون ضد التيار ٢٦٤
كتب صدرت للمؤلف ٢٦٩
المؤلف في سطور ٢٧٣
المحتوى ٢٧٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقم الإيداع في إدارة المكتبات العامة:
د/ع/ ٣٨١٢/ ٢٠٠٤م
ISBN: 99901-549-1-0

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذا الكتاب

نقول لهؤلاء، مع إقرارنا بما تقولون، وإيماننا المطلق بأن الإسلام حصن منيع، وبناء عملاق لن تؤثر فيه معاول هؤلاء. ولكن حق الإسلام علينا أن نكشف سوءات هؤلاء، بل إنهم يخدمون الإسلام من حيث لا يشعرون حين يستفزون الأقلام المخلصة، والعقول الراجحة لكشف عظمة الإسلام، وجوانب الحسن فيه، ورحم الله شيخنا فضيلة العلامة محمد متولي الشعراوي الذي قال، شكراً للمستشرقين الذي يشككون في قضايا الإسلام، فإنهم بذلك يستنفرون طاقات علماء الإسلام ومفكريه لإماطة اللثام عن عظمة الإسلام وجمال تعاليمه وجوانب الإعجاز في أحكامه وتكاليفه وما كان للمسلمين أن ينشغلوا بهذه الأمور والمباحث لو لم يستفزهم المستشرقون ويثيروا حميتهم للذود عن حياض هذا الدين العظيم.

المؤلف في سطور

ولد سنة ١٩٤٣م. وأنهى دراسته الثانوية ولم يواصل الدراسة لظروف خاصة، وقد عوض توقفه عن مواصلة الدراسة بانكبابه على الثقافة من خلال القراءات المتنوعة والطويلة والعميقة.

عمل في تشارترد بنك منذ عام ١٩٦٢م وحتى عام ١٩٧٦م. انتقل بعد ذلك إلى بنك البحرين والكويت في عام ١٩٧٦م. وعمل فيه حوالي أربع سنوات حتى عام ١٩٧٩م. انتقل بعد ذلك للعمل في بنك البحرين الإسلامي منذ بداية إنشائه في عام ١٩٧٩م.

عضو مؤسس في الجمعية الإسلامية، وعضو في مجلس إدارتها لأكثر من دورة ولا يزال. اختير عضواً في مجلس إدارة الأوقاف السنية لأكثر من ثلاث دورات ولا يزال عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية. عضو مؤسس في جمعية الشورى الإسلامية ونائب رئيس مجلس إدارتها.

أجريت معه عدة لقاءات في الصحف والإذاعة والتليفزيون حول قضايا الإسلام وبعض مؤلفاته.

يشرف في صحيفة أخبار الخليج على صفحتي (في رحاب الإسلام) الأسبوعية و(مع الصائمين) اليومية، وحرر في بداية صدور الجريدة صفحة أسبوعية باسم (إسلاميات).

يسعى جاهداً فيما يكتب إلى توضيح قضايا الإسلام، ورد الشبهات عنه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، بعيداً عن القضايا الخلافية.